مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن استنّ بسنّته واهتدى بهداه ، أمّا بعد :

فهذه طبعة ثالثة من هذا الكتاب الّذي أحسب أنّه جاء في وقته بياناً لغوائل مجموعة من العلوم المُحدَثة تحت عباءة واحدة ، وهي البرمجة اللغوية العصبيّة.

ومن العجب بمكان ، أنّه مع تنبّه الكثيرين من العلماء وطلبة العلم والعامة وكثير من المخدوعين بهذه السفسطات ، ومع تحسّن كبير في منهجية وطريقة من لا يزال مصراً على تبنّي هذا الهراء ، ومع تلاشي وغياب كثير من الهالة الّتي كانت تصاحب دورات البرمجة وما يلف ملفّها ، فإنّه ما زال بعض المتكسّبين مصراً على فتح باب الشرور ، وإهلاك الخلق بصرفهم عما ينفعهم إلى دورات تسويق الوهم والغش فضلاً عمّا يُدرج ضمن ذلك من الشركيات والوثنيات .

ومن الجميل الذي يستحق الإشادة أنّ بعض المهتمين بالبرمجة بعد أن أدرك ما في هذا العلم من خلل استطاع أن يفصل ما فيها من قواعد وأصول إدارية تنظيمية وقدمها في دورات تحت مسمى إداري ، وهذا جيد نافع وجهد مشكور .

أمّا الاستمرار في تقديمها تحت مسمى البرمجة اللغوية فهذا لا يجوز كما أشرنا في الكتاب إلى سببه وعلّته .

ومن الطريف ما أخبرني به أحد الزملاء ، حيث أعطاني شريطاً مصوراً للدكتور مصطفى محمود وهو عبارة عن حلقة من برنامجه العلم والإيمان ، وكان يتحدث في الثمانينات عن علوم البرمجة والطاقة ونحو ذلك وكيف أنّها عبارة عن مخلفات تجارب شركات روسية وأمريكية خلال الحرب الباردة حيث حاولوا تطوير قدرات تأثير عن بعد بدون استخدام السلاح المادي ، والتأثير في الآخرين والسيطرة عليهم عن بعد ، بل واستعمال خاصية المحادثة عن بعد وتوقع المستقبل وكثير من مفردات ما يُقدم الآن في دورات البرمجة ، وقد وصلت تلك الشركات إلى قناعة أنّ هذه العلوم وإن كانت أمور حقيقية ملموسة لكنّها لا تخضع لقانون علمي ولا يمكن السيطرة عليها وضمانها ، لذلك تخلّت عنها وتمّ الكشف عنها بعد ذلك بسنين .

فسبحان الله ، انظر كيف نتلقّف فقط مخلّفات الغرب وقمامة مختبراتهم ، ويُقدّم إلينا على أنّها علوم راقية متطورة عصرية .

وعلى العموم فهذه الطبعة استجبت فيها لكثير من الإخوة الّذين أشاروا عليّ بتهذيبها وتخليصها من النقول والفقرات التي يصعب على البعض فهمها وإدراك مرامها ، وتلخيص ما يمكن ، فأعدت النظر فيها وقمت بما تيسّر لي حسب الوقت والجهد الممكن ، سائلاً ربي أن ينفع بهذه الطبعة كما نفع بسابقتيها من شاء من عباده ، هو وليّ ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ،،

وكتب :

أحمد بن صالح الزهراني

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدلله ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

مضى على صدور كتابي هذا في طبعته الأولى عدة شهور ، لقي فيها بحمدالله قبولاً وصدى طيباً لدى قطاع عريض من الناس ، وقد كثر السؤال عنه ، علمت هذا مما وصلني من الرسائل الإلكترونية أو مما يخبرني به بعض أصحاب المكتبات ، عدا ما نُشر عنه هنا وهناك .

وإني لأحمد الله كل الحمد وأكمل الحمد على ما من به علي من تقييد هذا الاعتراض الشرعي على هذا العلم الزائف وتسويقه .

وقد انتقد بعض الإخوة أشياء رأوها في الطبعة الأولى :

منها : الشدة والقسوة .

ومنها : قولهم : مع الاتفاق معك على سيئات هذا العلم فلا ضير من الاستفادة من حسناته .

ومنها : كيف يحكم على البرمجة من لم يأخذ دورة واحدة على الأقل ، فإن الحكم على شيء فرع عن تصوّره .

وأقول : أمّا القسوة والشدة فسببها وضوح الخطر لدى من يحذر ، فمن رأى النار اشتعلت ليس تحذيره وصراخه كمن يحذر من شرر .

إن ما رأيناه من الموج الهادر الذي اكتسح الساحة بسبب الطمع والجشع والكسب المادي الرخيص وسقوط أعداد كبيرة من الناس ضحية تسويق هذا الوهم في صورة الفن والعلم وما يتضمنه من مخالفات شرعية هو الذي أدى بي إلى نوع من الشدة ، لكنها شدة وقسوة محب مشفق .

إن من يريد أن ينقذ غافلاً من أمام سيارة مسرعة يحتاج إلى دفعه بشدة قد تؤذيه فعلاً لكنه يفعل ذلك شفقة عليه من خطر يراه محدقاً به .

وأسراب القطا التي نراها منساقة خلف سحرة التنويم ومدربي البرمجة ((وبعضهم طلاب علم)) يحتاجون إلى صرخة عالية وهزّة شديدة توقظهم من غفلتهم وتنبههم من سِنَتهم حتى يستفيقوا ويدركوا الهوّة العقائدية الخطيرة التي يسوقهم إليها ((شِلل)) من الجهلة والضالين عن صراط الله ، وتعجبني كلمة الدكتور المحمود في تعليقه على ندوة ((البرمجة اللغوية العصبية ومحاذيرها)) حين قال : ((ويجب على كل من عنده غيرة على دين الله تعالى أن يستنكر ويصرخ بقوة ليحذّر الناس ، وأنا أحيي وأشكر كل **من حذر بقوة** مع اعترافنا بحسن النية للآخرين ، **ولكن عندما يأتي السيل الجارف فيجب أن يقابل بما يوازيه وهذا من حسن النصح**)).

وأما قولهم الثاني فيأتي بيان مافيه في طيّ هذه الطبعة .

وأما الثالث : فجوابه ما ذكره الشيخ المحمود في رده على سؤال : هل الحكم على الشيء يلزم الدخول فيه ؟ فقال : لقد حرم العلماء السحر بالأدلة الشرعية دون أن يكونوا سحرة ، وحرموا المذهب الشيوعي بالتصور الكامل له دون أن يعتنقوا الشيوعية ، فلا يلزم الدخول والتلبس بالشيء للحكم عليه وإنما يكفي في ذلك التصور الدقيق له[1].

بل كما قال ابن القيم جواباً على مثل هذا السؤال : « ليس من شرط قبول العلم بالشيء من العالم به أن يكون ذائقا له، أفتراك لا تقبل معرفة الآلام والأوجاع وأدويتها إلا ممن قد مرض بها وتداوى بها؟ أفيقول هذا عاقل؟»[2].

وأحب هنا أن أنبه إلى أمر طالما سبب إشكالاً عند البعض وهو أن بعض المدربين للبرمجة من أصحاب التخصص في العلم الشرعي .

أقول : إن من المهم قوله هنا : هو أن هذا العلم وتبنيه وقع فيه بعض المنتسبين للعلم الشرعي وليسوا من أهله ، وتراهم أصبحوا يذكرون من مؤهلات مدربيهم أنه ((خريج كلية شرعية)) ، كل هذا تلبيساً على الناس ، وسيحاسبهم الله على ما أضلوا من الناس بسبب تأكلهم بانتسابهم للعلم الشرعي .

---

(١) من تعليقه على ندوة البرمجة اللغوية ومحاذيرها التي عقدت في مركز الدعوة بحي النسيم في ١٣ / ٨ / ١٤٢٤هـ .

(٢) طريق الهجرتين لابن القيّم ، (ص٣٥٢) .

إن هؤلاء المفتونين الذين غرتهم الألقاب وغيرهم من المتسبين للعلم الشرعي ممن انغمس في هذا السخف ضرب لهم الله تعالى أقذع مثل وأشده ، قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦] ، وهذا والله حقيقٌ بكل من ترك الكتاب والسنة وأقبل على مناهج وعلوم يبتغي فيها صلاح نفسه وشفاء روحه واستقامة أمره .

ذكرَ ابن القيم رحمه الله من أنواع الهجر : « والخامس هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به . وكل هذا داخل في قوله : {وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً} »[1] .

ولهذا لم أشغل نفسي كثيراً بالاشتراك مع هؤلاء في مناظرات وجدل عقيم سواء على صفحات الجرائد أو في ندوات حية ، لعلمي بتاريخهم ومناهجهم المخالفة للسنة من قبل أن يتقحّموا مستنقع البرمجة ، والبرمجة ما هي إلاّ حلقة في مسلسل الهلكات الّتي جلبوها للأمة وأوقعوا الشباب المقبل على الله في غمراتها بدلاً من صرفهم للعلم النافع والعمل الصالح ، وسبب هذا معروف من قديم : هو بعد أصحاب هذه الدعوات عن الأصول الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة ، بل الواحد منهم إذا تعلم العلم وحصل

---

(١) الفوائد ص١٥٦ .

على شهادة فغاية مأموله أن يؤصل لضلاله ويستدل لمخالفاته الشرعية ، تماماً كما يفعل ذلك المفتون الفتّان بالبرمجة ، و هذه إشارة تكفي اللبيب .!

وعلى العموم أخي القارىء : هذه هي الطبعة الثانية من الكتاب ، زدت فيها وأصلحت وقدمت وأخرت ، رغبة والله في وصول الحق بلا غبش ، ودون تشويه ، أرجو أن تقرأها بعد أن تتشبع بأصل شرعي ضخم للغاية : **أن الحق أكبر من كل أحد ،** وأنّه لا أحد في الدنيا مهما بلغ جلالة وقدراً وعلماً يستحق أن تعرّض عقيدتك ودينك للمجازفة ، وأن تجعل من ذهنك وفكرك حقلاً لتجربة هرطقة البرمجة اللغوية .

دينك أعظم وأهم وأجل من أن يكون عرضة للمزايدات من قبل تجّار البرمجة ودجاجلة الطاقة ، فاتق الله في نفسك ، وأنا لا أطالبك أخي الآن إلاّ بالتوقّف ، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : ((**ويمكن أن يدخل في البدع الإضافية كل عمل اشتبه أمره فلم يتبين أهو بدعة فينهى عنه ؟ أم غير بدعة فيعمل به ؟** فإنا إذا اعتبرناه بالأحكام الشرعية وجدناه من المشتبهات التي قد نُدبنا إلى تركها حذراً من الوقوع في المحظور ، والمحظور هنا هو العمل بالبدعة ، فإذاً العامل به لا يقطع أنه عمل ببدعة ، كما أنه لا يقطع أنه عمل بسنة ، فصار من جهة هذا التردد غير عامل ببدعة حقيقية ، ولا يقال أيضاً : إنه خارج عن العمل بها جملة .

وبيان ذلك أن النهي الوارد في المشتبهات إنما هو حماية أن يقع في ذلك الممنوع الواقع فيه الاشتباه ، فإذا اختلطت الميتة بالذكية نهيناه عن الإقدام ، فإن أقدم أمكن عندنا أن يكون آكلاً للميتة في الاشتباه ، فالنهي الأخف إذاً منصرف نحو الميتة في الاشتباه ، كما

انصرف إليها النهي الأشد في التحقق .. وكذلك سائر المشتبهات إنما ينصرف نهي الإقدام على المشتبه إلى خصوص الممنوع المشتبه ، فإذاً الفعل الدائر بين كونه سنة أو بدعة إذا نهي عنه في باب الاشتباه نهي عن البدعة في الجملة ، فمن أقدم على منهي عنه في باب البدعة لأنه محتمل أن يكون بدعة في نفس الأمر ، فصار من هذا الوجه كالعامل بالبدعة المنهي عنها ، وقد مر أن البدعة الإضافية هي الواقعة ذات وجهين ، فلذلك قيل : إن هذا القسم من قبيل البدع الإضافية))[1] نعم ، توقف قليلاً وراقب عن كثب ، فكما ترى ، الأمر في غاية الالتباس والاشتباه بسبب كثرة الملبسين المتاجرين بعقول الناس ، بأحلامهم وآمالهم ، وقريباً ، قريباً جداً سينجلي الظلام وتسطع شمس الحقيقة ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

ينبع الصناعية

في ٢٨ / ١٢ / ١٤٢٤هـ

(١) الاعتصام للشاطبي ص٣٠٩ .

مقدمة الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرّحيم

الإسلام : دين الله الخاتم ، جاء به محمّد ﷺ مُرسلاً من الله ليخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور .

جاء الإسلام ليطلق العنان للعقل البشري من قيود الجهل والخرافة ، ويضع حداً لعنائه في بحثه الحثيث عن الحقيقة ، حقيقة كلّ شيء ، وجوده ، هدفه ، غايته ، نهايته ، كلّ شيء يلفّه ويتّصل به .

عاش النّاس في ظلّ الإسلام ومناهجه التربوية والسياسيّة والعلميّة والإنسانية والاقتصاديّة في خير عيش وأهنأ حياة .

حدّد الإسلام للمؤمن قاعدته ومنطلقه ، إذ الإسلام جاء ليقيّد ما أطلقته الجاهليّة ، وليطلق ما قيّدته الجاهليّة ، وهذا إعجاز في ذاته إذا تأمّله المؤمن .

لقد قيّدت الجاهليّة العقل البشري ومنعته من الانطلاق في مجال قدراته الحقيقية ، وعلم الجميع ما فعلته بمن حاول أن يطوّر نفسه وينظر ويتأمّل في ملكوت الله ، وخصوصاً جاهليّة الصليب في أوروبا .

وفي الوقت نفسه أطلقت له العنان في مجالات لا يطيقها ولا يملك أدوات البحث فيها وهي مجالات الغيب والاهتداء ، فضلّ النّاس وتشعّبت بهم طرق الباطل في كلّ واد .

ثمّ جاء محمّد ﷺ ليعيد كلّ شيء إلى مكانه ويصحّح الأوضاع الّتي أفسدتها الجاهليّة ويعيد العقل والفكر إلى مساره الصّحيح ويوظّفه في مجاله الحقيقي الّذي يملك أدوات الإبداع فيه والارتقاء به .

وخلال قرون عديدة بلغت الأمّة في بعض الفترات أوج القمّة في الحضارتين الروحيّة والماديّة ، من خلال التّمسّك بالأصول الشّرعيّة الّتي ترعى الحضارة الروحيّة للأمّة وتحفظ لها التوازن وتصحح مسيرة الإبداع المادي ، ومن أروع صوره حضارة الأندلس المفقود .

أقول : خلال قرون عديدة شهدت بعض أزمنتها ما ذكرناه لم يُنقل إلينا أيّة **أزمة علاقة** بين العلم الشّرعي وأهله وبين العلم المادي وأهله[1]، إلاّ إذا انحرف العلم المادي عن المنهج العلمي وبدأ هو يصطدم في بحثه إمّا بالمنهج الشّرعي الإسلامي ، وإمّا بالأصول الشّرعية والعلمية في الإسلام والسّنّة ، فحينئذ حدث الاصطدام وقامت معارك جدليّة شهدت نتائجها بسلامة الأصول العلميّة الإسلاميّة ، وصواب نظرة أهل العلم في تلك المضائق ، كما حصل أن تجلّى هذا الخلاف في علم المنطق وعلم الكلام .

---

(١) نقصد بالعلم المادي ما كان خلاف العلم الشرعي المستند على النصوص الشرعية ، فيدخل في ذلك العلوم النظرية كالأدب والنحو والفلسفة وكذلك التطبيقية كالطب والكيمياء والهندسة والفلك وغير ذلك .

إنّ الإسلام لم يقف يوماً من الأيّام في وجه التقدم العلمي المادي بل على العكس ، لقد شجّع الإسلام على هذا وحثّ في نصوص عديدة على التفكّر في خلق الله والاستفادة من المعطيات الكونيّة الّتي أودعها الله تعالى في الكون ، كقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٩٥-١٠٣] وما كان الإسلام يوماً ما عائقاً للمسلمين عن تسلّم زمام القيادة الحضاريّة في كلّ نواحيها ، وقد حصل ذلك فعلاً لقرون شهدت امتداد الأمّة جغرافياً وتاريخياً حين كان مفهوم الأمّة حاضراً في ضمائر المسلمين .

وما كان لأمّة ضعيفة حضارياً أن تتوسع وتمتد جغرافياً كما حدث لأمّة الإسلام حتى وُئدت على أيدي حثالة من القوميين الّذين تعاونوا مع الاستعمار الغربي الصليبي في تقطيع أوصالها وحدث ماحدث .

إنّني أستحضر قطعاً من التاريخ لأنبّه نفسي وغيري أن لا نلقي باللوم في تخلّف الأمة على إسلامنا الأصيل ، وإنّما علينا أن نعزو تخلّفنا وسبب ارتكاسنا الحضاري إلى تخلينا عن ثوابتنا ومبادئنا غروراً بما وصل إليه الغرب لما تخلى عن أصوله الكنسيّة ، لكنّا في

الحقيقة قارنا بين الثرى والثريا حين قارنا أوضاع الكنيسة الأوروبية بأوضاع العالم الإسلامي الّذي كان ينعم بالإسلام منهجياً وجزئياً .

وإذا كانت الصور تتكرّر فإنّ بعض أفرادنا ممن يقلقهم حال الأمة يكررون الخطأ الآن فيتلمسون أسباب تخلف الأمة من خلال أسباب نجاح الآخرين هناك في أوروبا وأمريكا ، فيظنون أنّ كلّ ما يصلح لهم يصلح لنا .

وهنا يجب أن نلفت النظر إلى أمر قد يغيب عن ذهن البعض ، فإنّ الّذي يتتبع مسيرة الحضارة الإسلاميّة يجد أنّ الحضارة المادّيّة جاءت نتيجة استقرار حضاري روحي كان مهداً وحضناً ودافعاً للحضارة الماديّة بمختلف فروعها .

وكأنّي بهذا الذي قلته أقترب كثيراً من قاعدة الإسلام الحضاريّة : أنّ العلم المادي بلا مهد أخلاقي روحي دمار لا عمار .

ونحن نعلم الآن بصورة واضحة أثر غياب هذه الحقيقة : فماذا فعل الغرب حين توصل إلى أسرار الذرة ، والشفرة الجينية ؟

لقد صنع السلاح النووي الذي دمر به البشرية ، وحاول بالآخر أن يتلاعب بخلق الله فكان نتاج ذلك مخلوقات غريبة شاهدها الجميع وشاهد كيف رخصت حياة الإنسان في سبيل السعار العلمي المنفلت من حضارة الروح .

نعود لنقول : إن الحضارة العلمية الإسلامية نمت في مهد الحضارة الروحيّة : فكانت أنموذجاً حقيقياً للعلم التنموي ، فلذلك لم نسمع في تاريخ علماء المسلمين ما يخزي من الناحية الخلقيّة .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجب أن نعي حقيقة مهمة ، إنّ النجاح في تاريخ الأمة يختلف عن النجاح في حياة الفرد ، أعني أنّ الله تعالى وعد هذه الأمة بالعز والتمكين ، وجعل لذلك سبباً ، **ألا وهو تمسّكها بدينها وانتصارها لربها ولرسوله ﷺ** ، فإن هي فعلت ذلك حصل لها العز والتمكين ، لا أقول فقط بنزول الملائكة تقاتل معها ، وإنما بتمكينها من وسائل العلم المادي ، لكنّ الله تعالى يخذلها ويتخلى عنها إذا هي تركت دينه وتنكرت لمبادئها .

و لا يقولن قائل : إن الغرب أخذ بوسائل التقدم فتقدم وارتقى وامتلك أسباب القوة فلماذا لم تحصل له أسباب الانتكاسة مع أنه أعظم كفراً وتمرداً على الله من الأمة المسلمة ؟

لأن قائل هذا الكلام يقوله في ذهول عن موقع الأمة المسلمة من الأمم ، إن هذه الأمة التي اختيرت أن تكون من أمة محمد ﷺ هي أمّة رسالة ، والأمة الّتي تُكلّف برسالة ويشرّفها الله هذا التشريف ثم تتخلى عن هذا الشرف وهذه المنزلة لهي أمة تستحق أن تصطلي نير الذلّ والهزيمة : قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ

ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران:١١٠].

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة:١٤٣] ، وقال ﷺ : ((**إنما بعثتم ميسرين**))(١).

فأما إذا تخلت عن هذه المهمة وتنازلت عن هذا التشريف وتنكرت لهذه الفضيلة فإن مصيرها كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التوبة:٣٨-٣٩] .

وقال أيضاً : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد:٣٨] .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال :((والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يُستجاب لكم))(٢).

---

(١) أخرجه البخاري ح٢٢٠ .

(٢) أخرجه الترمذي ح٢١٦٩ وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ح٧٠٧٠ .

وفي مسند الإمام أحمد عن حذيفة رضي الله عنه قال : ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليسحتنكم الله جميعا بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم))[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :((إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم))[2].

أما الكفار بشتى أممهم فإنّ الله تعالى وعدهم بالدنيا وأعطاهم إيّاها لسبب بسيط وهو : أنه ليس لهم في الآخرة حظ ولا نصيب .

كما أنّهم ليسوا أمة رسالة ولم يُعطوا هذا الشرف فنكلوا عنه ، وتأمّل الفرق بين الكافر الأصلي والكافر المرتد : لماذا يُقتل الثاني حتماً ؟ لأنّه تنكر لنعمة الإسلام والإيمان بعدما عرفها فكان جرمه أشد وأعظم من الكافر الأصلي .

لهذا نقول : من كان له همٌّ بعودة هذه الأمة إلى سابق عهدها وشرفها فليعلم أنّ ذلك معقود أوّلاً وآخراً بعودة هذه الأمة إلى دينها وإلى ربّها ، ذلك بالتمسّك بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولهذا يجب أن تكون دعوتنا

---

(١) المسند ح٢٢٨٠١ .

(٢) أخرجه أحمد ٤٩٨٧ وأبو داود ح ٣٤٦٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ح٤٢٣ .

ومشاريعنا الحضاريّة كلّها تنطلق من هذا المبدأ ، وأيّ تنازل عنه يعني أنّنا سنظل مكاننا إن لم نرجع القهقرى .

وهذا لا أعني به التوقف عن السعي في تحقيق منجزات حضارية ماديّة ، بل هذا مطلوب ، لكن ذلك وحده لا يحقق نجاحات على مستوى الأمة طالما بقيت تتنكر لأصولها الإسلامية النقية : لأنّه هكذا كتب الله عليها .

وإنما قدمت هذا الكلام حتى نعلم كم نتناقض حين نزعم أنّنا نسعى لتقديم طرائق وأساليب وعلوم حديثة من أجل رقي هذه الأمّة ، وفي الوقت ذاته نقوم بعمليّة تحييد لأصولنا الإسلاميّة شعرنا بذلك أم لم نشعر .

فإنّ كثيراً من العلوم التي استقدمها بعض المسلمين ووجدوا فيها نفعاً خصوصاً ما يمس التربية والسلوك والنفس والإنسان من حيث روحه هي إما باطلة في شريعتنا منهيٌّ عنها ، أو أنّها موجودة في شرعنا بصورة أو بأخرى ، وما كان كذلك كان تطلبه من خارج الشريعة جرمٌ عظيم لأنّ مؤدّاه ما ذكرته سابقاً من تحييد مصادر الشريعة ، إذ تتحول لمراجع يرجع إليها من يريد أن يثبت لنظريته أصلاً إسلامياً فقط !

وبدون تضخيم الأمور والمواقف فإنّ محور الحديث في هذه الرّسالة هو الكلام في نقد بعض مضامين العلم الجديد[1] المُسمّى **بالبرمجة اللغوية العصبيّة** أو الهندسة النّفسيّة

---

(١) ومازال البعض يناقش في كونه علماً ، وهذا حق ، فإنّ أغلب مافيه ممارسة وليست علماً ، فللعلم ضوابطه وحدوده .

وما يلفّ ملفّه من العلوم الّتي هجمت علينا هجمة واحدة وانتشرت بسرعة كبيرة عبر دورات قام بها روّادها سواء من خارج البلاد أو من داخلها .

ومن المهم قبل الكلام أن نقول : إنّ سبب هذا النّقد ليس رفض الجديد كما يحب البعض أن يرهب من ينتقد علم البرمجة وغيره من العلوم العصريّة .

ولا يدّعي عاقل يعرف أصول الشّرع أنّ كلّ جديد أو أيّ جديد مصدره الشرق أو الغرب مرفوض ، أبداً، بل الحكمة ضالّة المؤمن ، والعلم قصد شريف مهما كان مصدره : إذا كان علماً حقيقياً نفعه أكبر من ضرّه .

وإنّما النّقد يتوجّه إلى مضامين هذا العلم ، عباراته وألفاظه وقواعده وقوانينه ، من حيث كونها خطأً في ذاتها أو كونها مخالفة للشّريعة الإسلاميّة من حيث معناها أو من حيث لوازمها .

ومن باب الإجمال قبل التفصيل لقارىء هذا الكتاب ، فإنّي بعد أن قرأت بعض المنشورات في هذا العلم على وجه الخصوص ، وتابعت لمدة سنة تقريباً مواقع البرمجة العصبية وعلوم الطاقة ونحوها على الشّبكة العنكبوتيّة ، فقد خرجت بنتيجة مؤدّاها أنّ هذه العلم يتضمّن مجموعة من العلوم والمهارات تنقسم إلى ما يلي :

١ . علوم ومهارات لا يجوز تعلّمها البتّة ولا نشرها بل هي ضرب من ضروب الدجل والسحر أو الكهانة كما في **علوم الطّاقة والبايوجيومتري** وقد تكلّمت عنها في نهاية الكتاب بصورة مختصرة .

٢ . علوم هي محض تجارب بشريّة ، وحِكم مقولات من جنس الحكم والوصايا النافعة ، ونتائج الملاحظة والمقارنات الّتي يجريها الإنسان ، وكذلك بعض المهارات الّتي استفادها وأفادها البعض من خلال حياته الوظيفية أو التعليمية أو الدعوية أو العمليّة الاقتصادية أو السياسية في الحوار والإقناع أو كسب الآخرين ونحو هذا مما يمكن أن يُصنّف كإرث يتوارثه الأجيال اللاحق عن السابق ، وهذا ما كان منه لا يصادم نصوصاً شرعيّة فهو مباح تعلّمه بل من الحكمة الاستفادة منه وتفعيله .

٣ . علوم هي من جنس الثّاني لكنّه محرّم تعلّمه وتعليمه لأكثر من سبب : فإمّا أن يكون مخالفاً للقواعد الشّرعيّة والأصول الإسلاميّة ، وإمّا أن لا يكون مخالفاً في ذاته لكنّه موجود في الإسلام بصورة أحسن وأفضل فيكون تعلّمه من باب الإحداث في الإسلام وصرف النّاس عن علوم الإسلام والسّنن النّبويّة ، وإمّا أن يكون بسبب ما يترتب عليه وما يستلزمه من الباطل في معناه أو في تطبيقه ، وإمّا أن يكون استعماله في جهة معيّنة أو في مجال معيّن هو المحرّم ، وكلّ هذا يتبين إن شاء الله في ثنايا الرّسالة .

وغرضي من هذا الكتاب أن يكون فاتحة باب لدراسات أعمق وأشمل لبيان مقدّمات هذا العلم الّذي يظهر لي من خلال نظرتي الخاصّة أنّه من العلوم المحدثة الّتي لا يجوز تعلّمها لأنّ ضررها ومفاسدها أكثر من نفعها .

ذلك أنّ ما فيه من نفع فهو إمّا موجود في شريعتنا ، وإمّا أن يكون من باب الترف والزيادة بحيث لا يُعدّ تركه أو الجهل به سبباً في تأخّر وبطء عجلة الرّقي والحضارة في كلّ النّواحي .

وما كان من فوائد وحكم وتجارب نافعة فيمكن نقلها وإدراجها في علوم يقوم المسلمون بتأسيسها وتأصيلها من خلال الأصول الشّرعيّة ، دون الحاجة لنقل العلم بكامله ومن ثمّ البحث عن أصول له في الشّرع أو التّاريخ الإسلامي ، ممّا يدلّ على هزيمة حضاريّة نفسيّة نعانيها فأصبحنا نلهج خلف كلّ العلوم الّتي يُعزى إليها نجاح وتقدّم غربي .

وأنا لا أنكر أنّ هذه العلوم ساهمت إلى حدّ ما في **بعض** النجاحات **الدّنيويّة المادّيّة** الّتي حقّقها الغرب، وهذا من ضمن ما تتضمنه من منافع يصدق عليها قول الله تعالى في الخمر ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ [البقرة:٢١٩] لكن مع ذلك فإنّ من المهمّات الّتي تناساها أو غفل عنها المعجبون بالبرمجة أمران :

الأوّل : أنّ الأرضيّة الدينيّة الغربيّة تختلف عن الأرضيّة الإسلاميّة ، فإنّ الأرضيّة هناك أرضيّة لا قيد فيها ، وهذا يعني أنّها منفلتة من الشّرع الربّاني مما يعني انعدام المسؤوليّة ، ولست أعني أنّ هذا أمر إيجابي بل على العكس فهو أمر سلبي لأنّ ذلك يعني بلاشكّ أنّ هذه العلوم تزيد من تكريس الانحراف عن دين الله عند هؤلاء ، خاصّة وأنّ أهدافهم مهما ارتقت تربوياً فهي في النهاية تخدم الدنيا فقط وأمّا الآخرة فلا ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧] وهذا يفسّر سبب التّعب الشّديد والمعاناة الّتي يلاقيها العرب والمسلمون

حين يدرّبون على هذا العلم في بيئة إسلاميّة ، ومن ثمّ يحاولون تطعيمه بآيات وحوادث وظواهر تاريخية إسلاميّة ولكنّهم زادوا الطين بلّة .

الثّاني : أنّ هذه العلوم بدأت تأخذ مكانها وتحقق ما فيها من نقاط الإيجابيّة عندما تكوّن في الغرب بيئة صالحة من حيث الإمكانيّات العلميّة والبحثيّة والأرضيّة العلميّة الّتي ترعاها الدّول قبل الأفراد ، فمن الحماقة فعلاً أن ننشر نحن هذا العلم في بيئة لم تتكوّن بعد فيها أرضيّة لنموّ بل لفاعليّة هذا العلم ، تماماً كما نفعل حين نعلّم علوم الهندسة الصّناعيّة والفيزياء النووية في بيئات لا يوجد فيها معمل نووي واحد ولا يوجد فيها مصانع إلاّ مصانع رقائق البطاطا ومصانع تركيب القطع الجاهزة !!

إنّ هذا الملحظ هو سبب كبير لفشل النّاتج عن هذه العلوم في البيئات العربيّة الّتي هي بحاجة أوّلاً إلى إيجاد الأرض الخصبة من حيث التّوجّه العام للإنتاج والابتكار وتوظيف العلم دون عوائق وخوف من نتيجة البحث العلمي !!

وليست هذه دعوة لليأس وإنّما للواقعيّة الّتي بسبب فقدها رأينا هذه الأعداد الغفيرة الّتي ألهاها البحث عن لقمة العيش حتّى عن صلاتها تقضي الساعات والأيّام في تعلّم البرمجة ودوراتها بحثاً عن النجاح والثّراء !!.

وهذا أقوله هنا وأنا أنظر بعين الأسى لأفواج المتنسبين للدين بل وللدعوة أحياناً وهم يتهوّكون ويتساقطون أمام أيّ دعوة برّاقة ، كما قال عليّ رضي الله عنه : ((يا

كميل[1] إنّ هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها للخير ، النّاس ثلاثة : فعالم ربّاني و متعلّم على سبيل نجاة ، **وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق))**[2].

بل إنّ أكبر المدافعين عن هذا العلم هم من المنتسبين للدعوة للأسف الشّديد ، ولعل البصير لا يضلّ إذا تأمّل حوله عن هؤلاء الرعاع الّذين أشار إليهم علي رضي الله ، ولو تأمّلت في أتباع دعوات الباطل لوجدتهم غالباً من هؤلاء الرعاع ، والسّبب في ذلك أنّ غالبيّة كبيرة من المنتسبين للدعوة والصحوة الإسلاميّة يصح فيهم هذا الوصف الّذي ذكره رضي الله عنه ((**لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق**)) ، فكثير منهم لديه ثقافة واطلاع لكن لا تحقيق لديه ولا أصل عنده يسير عليه إلاّ عمومات الإسلام ولهذا يستجيب لكل دعوة ظاهرها الخير ، وهذا يعذر فيه العامي الجاهل ربّما : أمّا أصحاب الدعوة والمنتسبون للعلم فهذا ارتكاس وتهوّك !

في هذا العصر المادي المليء بآثار المعصية من محق البركات وانتشار الفشل والسّقوط في رحى الدّنيا : تظهر الدعوات الّتي تنتهج للكسب المادي والشّهرة منهج دغدغة عواطف الناس ، وإلقاء الطعوم الزائفة تحت شعارات برّاقة جوفاء لا طائل تحتها .

أصبح الوعد بالنجاح وتحقيق الأحلام والإثراء والوصول للهدف تحقيقاً ، هي العناوين البارزة الّتي تحتل الصدارة في الكتب والمجلات والمعاهد والمدارس ، فيقبل

---

(١) كُميْل بن زياد بن نهيك الكوفي ، تابعي ثقة ، من أصحاب علي وشيعته .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص٤٤٣ ورواه مطوّلاً المزّي في تهذيب الكمال ٢٤ / ٢٢٠ .

النّاس تحت تأثير هذا **السحر** زرافات ووحداناً لتعلّم هذا العلم الجديد القديم : الّذي يزعم أصحابه أنّهم يعتمدون فيه على أسس علميّة صِرفة ومبادىء نفسيّة مسلّمة تتضمّن تدريب الناس على طرق وأساليب في إعادة ترتيب التسلسل النمطي في النفس البشريّة ليمكن لها تحقيق أفضل النتائج بأقل التكاليف وفي أسرع الأوقات !

وأنت عندما تقرأ مثل هذه العبارات يخيّل لك أنّك تقرأ شيئاً يخص الجانب الإداري البحت سواء كان هذا المجال الإداري مسلّطاً على مضمون شرعي أو دنيوي : المهم أنّه أسلوب إدارة للنفس أو للغير .

وهذا ما جعلنا لا نكترث كثيراً عندما بدأنا نسمع عن البرمجة اللغوية ، لكن لمّا رأينا هذا الإقبال منقطع النظير مع بروز أشخاص لا هم من العلم في العير ولا في النفير تبوؤوا مكانة كبيرة بسبب إتقانهم ((زعموا)) لهذا العلم وريادتهم لنشره في العالم العربي : زاد ذلك من لفت النظر لحقيقة هذا العلم : فلمّا اقتربنا رأينا مخالفات شرعيّة لا يجوز السّكوت عليها .

وأخيراً وبعد أن تجمّع لي ما أردت شرعت في كتابة هذه الورقات والوقفات مع هذا العلم والمنافحين عنه غرضي وهدفي النّصح لله ورسوله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامّتهم ، وتحذير المسلمين وخصوصاً طلبة العلم من خطورة الانزلاق في مثل هذه الدعوى الجائرة من أساطين هذا العلم المحدث كما سنرى إن شاء الله تعالى .

سائلاً ربي أن يجعله ذخراً ليوم الدّين وأن لا يحرمني أجره ولا يفتنّي بعد إذ هداني وأن يزيدني بصيرة به وبدينه ، وأنا في ذلك كلّه أبرأ إليه من كل حول وقوّة إلى حوله وقوّته وأستغفر الله العظ

أحمد بن صالح الزّهراني

ص .ب : ١٥٠١٥٨ ينبع الصناعية ٤١٣٢٥

AZAHRANY@YAHOO.COM

قال ابن القيم : «والأمم الذين لم يتقيدوا بالشرائع لهم اعتبار عظيم بهذا وكذلك من قل التفاته واعتناؤه بما جاءت به الرسل فإنه يشتد التفاته ويكثر نظره واعتناؤه بذلك. وأما أتباع الرسل فقد أغناهم الله بما جاءت به الرسل من العلوم النافعة والعمال الصالحة عن هذا كله فلا يعتنون به ولا يجعلونه من مطالبهم المهمة لأن ما يطلبونه أعلى وأجل من هذا ومع هذا فلهم منه أوفر نصيب بحسب متابعتهم الرسل من الفراسة الصادقة والمنامات الصالحة الصحيحة والكشوفات المطابقة وغيرها. وهممهم لا تقف عند شيء من ذلك بل هي طامحة نحو كشف ما جاء به الرسل من الهدى ودين الحق في كل مسألة وهذا أعظم الكشوف وأجله وأنفعه في الدارين مع كشف عيوب النفس وآفات الأعمال. وأما الكشف الجزئي عما أكل فلان وعما أحدثه في داره وعما يجري له في غده ونحو ذلك فهذا مما لا يعبأ به من علت همته ولا يلتفت إليه ولا يعده شيئاً على أن مشترك بين المؤمن والكافر، فلعباد الأصنام والمجوس والصابئة والفلاسفة والنصارى من ذل شيء كثير وذلك لا ينفعهم عند الله ولا يخلصهم من عذابه، وهؤلاء الكهان وعبيد الجن والسحرة لهم من ذلك أمور معروفة وهم أكفر الخلق فغاية هذا المنجم اليهودي الذي أخبر ابن عباس بما أخبره أن يكون واحداً من هؤلاء فكان ماذا وهل يقف عند هذا إلا الهمم الدنيئة السفلية التي لا نهضة لها إلى الله والدار الآخرة لما يرى لها بذلك من التمييز عن الهمج الرعاع من بني آدم».[1]

---

(1) مفتاح دار السعادة ، (٢/ ٦٨٩) .

وقال: « ونحن لا ننكر علم تقدمة المعرفة بأسباب مفضية إليه تختلف قوى الناس في إدراكها وتحصلها وإنما كلامنا معكم في أصول علم الأحكام وبيان فسادها وكذب أكثر الأحكام التي يسندونها إليها وبيان أن ضرر هذا العلم لو كان حقاً أعظم من نفعه في الدنيا والآخرة وأن أهله لهم أوفر نصيب من قوله: إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين»[1].

---

[1] مفتاح دار السعادة، (٢/ ٦٩٦).



[مقدمة]

. ما هو علم البرمجة ؟

البرمجة اللغوية العصبيّة : هو فن وعلم الوصول إلى حالة الامتياز الّتي بها يستطيع أن يحقق أهدافه ويرفع دائماً من مستوى حياته [1].

. جذوره وأصوله :

البرمجة اللغوية العصبية هي تقنية جديدة ولدت في السبعينات من القرن الماضي وبالتحديد في عام ١٩٧٢ وقد رمز لها بالحروف (([illegible])) وهذه الحروف ما هي إلا رموز لـ (([illegible] [illegible] –[illegible])) بدأت بالبروفوسير **وجون جرندر** وتلميذه **ريتشارد باندلر** في مدينة سانت كروز في جامعة كليفورنيا .

فكلمة (([illegible])) تشير إلى الجهاز العصبي وأخذ منها الحرف الأول [illegible] .

وكلمة (([illegible])) هذه الكلمة تدلّ على أن اللغة جزء أساسي في هذه التقنية فأخذ الحرف الأول [illegible] .

وكلمة(([illegible])) تشير إلى مقدرتنا على تنظيم هذه الأجزاء أو برمجتها في أدمغتنا وأخذ منها الحرف الأول[illegible] ، وأصبحت كلمة [illegible] معروفة بشكل كبير لدى المهتمين بها أكثر من أصول هذه الحروف .

---

(١) البرمجة اللغوية العصبية للفقي (مذكّرة) ص١٢ .

تبدأ قصة هذا العلم عندما كان **باندلر** طالباً في الجامعة يدرس الفلسفة وعلم النفس والمنطق والكمبيوتر والرياضيات ، ولم يكن مهتما كثيراً بهذه المواد ، وفي أحد الأيام عندما كان يحضر مادة علم النفس مع البروفوسير **بيرت** وكان الموضوع عن تفسير الملفات الشخصية ، وكان البروفوسير **بيرت** يتحدث بشكل نظري عن كيف يمكن قراءة تعبيرات الوجه ، هنا ثار **باندلر** بشكل أذهل الجميع على هذه المادة ، وأخذ يتحدث بصخب ويتكلم بحماس جعل الجميع يقف مندهشاً ولا يعرف سبباً لهذا الصراخ ، وكان يعني بذلك أن علم النفس يجب أن يكون أكثر عملياً منه نظرياً ، وضرب مثال على ذلك **الجاشتلية** (([illegible])) فرع من علوم النفس يبحث في دراسة الإدراك والسلوك من زاوية الصور الكلية ، كان ذلك في السنة الرابعة له في الجامعة ، كان **باندلر** مهتماً جداً بمدرسة التفكير التي تدعى **الجاشتلية** التي تركز على تنمية الخبرات ، كان **باندلر** يحرر كتابات **فيرتز بيرلز** مؤسس **الجاشتلية** ، وكان أيضاً مهتماً بعلم حل مشاكل العائلة حيث كان هذا العلم يقوم على نظام الإيحاء .

وكان نتيجة هذه الأعمال ظهور أول كتاب له بعنوان (([illegible])) وكان فخوراً به ، وبناءً على ذلك ومن حسن حظه كان الطلاب في آخر سنة في الجامعة من حقهم أن يطوروا إنتاجهم وذلك بعمل محاضرات وبتدريس الطلاب المبتدئين ما تعلموه خلال سنوات الدراسة في الجامعة ، فقرر **باندلر** تدريس مادة الجاشتلية للطلاب .

. وماذا بعد ؟!

في كلية **كرسيج** للدراسات العليا تعرف **باندلر** على **جون جرندر** وأصبح **جرندر** مشرفاً عليه ، وكان موضوع البحث حول تغيير **السلوك الإنساني** ، في ذلك الوقت كان **جرندر** بروفوسير في الجامعة ، وقد حصل على الدكتوراه من جامعة سان فرانسسكو، وكانت دراسته عن نظرية اللغوي اللساني الشهير **نعوم شومسكي** وكان مركزاً على بنية الكلمة أوالجملة ، وكان **جرندر** قد ألّف مع آخرين كتاب يُدعى الحذف في اللغة، وكانت له اهتمامات باللغة السواحلية وبالمرونة السلوكية وكذلك بالنماذج اللغوية .

وبدأ أول درس بينهما تحت عنوان الإدراك **الجشتالي** ، وكان عبارة عن دورة بسيطة في الإقناع وحل المشاكل .

هنا وجد كل من **باندلر وجرندر** نفسه محتاجاً للآخر، **باندلر** بخبرته في نماذج المهارات السلوكية، **وجرندر** الخبير في النماذج السلوكية اللغوية، فكل منهما متمم للآخر، وظهر من هذا التمازج منهج الاتصال البشري .

ثم بدأ الاثنان بدراسة نماذج كل من **فرتز بيرلز** و **فرجينيا ساتير** ثم أخيراً **ميلتون أريكسون** ، وقاما بتطبيق طريقة كل من **فرتز بيرلز في الجاشتلية وفرجينيا ساتير** في حل مشاكل العائلة ، و**ميلتون أريكسون** الشهيرة في استخدام **الإيحاء** أو ما يسمى **التنويم المغناطيسي** بعد أن اكتشفا الصيغة الأساسية لهم ، واستطاعا الحصول على نتائج مشابهة بل أفضل منها، لأن **باندلر وجرندر** مزَجا بين هذه العلوم الثلاثة وظهَرا بالصيغة الجديدة، ولقد بنى **جرندر** و**باندلر** صياغتهما الأولى (([illegible])) من خلال استخدام هذه الصيغة المدموجة .

وهذه الصيغة عملت بشكل أساسي على أنها صيغة للاتصال البشري، حيث أننا نتطور بشكل دائم تبعا لاستجاباتنا ولردود أفعالنا، وهذه الصيغة ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث أنها رسمت الاستراتيجية المثلى لاستخدام المهارات الشخصية في الابتكار والتطوير والتغيير .

ثم تطورت الـ (([illegible])) وذلك بدمج علوم وموضوعات أخرى له مثل: الفلسفة[1]وعلم النفس بجميع فروعه ودراسات العقل الباطن وعلم الجهاز العصبي وعلم وظائف الأعضاء وغيرها[2]، وبعد ذلك عملا معاً على وضع صيغة عن كيفية تحول الإنسان إلى إنسان مُبرمج إذا جاز التعبير[3].

. الهندسة النفسية :

اصطلاح عربي آخر لعلم البرمجة اللغوية العصبية ، وهو: ((طريقة منظّمة لمعرفة تركيب النّفس الإنسانية والتّعامل معها بوسائل وأساليب محددة يمكن بها التأثير بشكل

---

(١) هذا يؤكّد ما سنذكره من أنّ بعض قواعد هذا العلم له أصول فلسفيّة .

(٢) وهذا يؤكد أن البرمجة اللغوية العصبية ليس علماً ذا صيغة محددة وإنما هو مهارات ، بدليل ما ذكروه من ((تحويشة)) العلوم المذكورة فكل شخص له تعلق بشيء من هذه العلوم يستطيع أن يكون مبرمجاً ممارساً أو مدرباً .

(٣) الفقي ص١٣ ـ١٤ ، وهذا التعريف من مقابلة مع د . عبدالناصر الزهراني وهو من مدربي البرمجة في المملكة ، وانظر الهندسة النفسية للتكريتي ص٦ .

حاسم وسريع في عمليّة **الإدراك والتصوّر والأفكار والشّعور** ، وبالتّالي في السّلوك والمهارات والأداء الإنساني الجسدي والفكري والنّفسي بصورة عامّة))[1].

ويقول بعضهم متحدثاً عنها : ((تمدّنا البرمجة اللغويّة العصبيّة بأدوات ومهارات نستطيع بها التّعرّف على إدراك الإنسان ... وكذلك تمدّنا بوسائل وطرق يمكن بها **إحداث التّغيير المطلوب في سلوك الإنسان وقدرته على تحقيق أهدافه**))[2]، هذا مختصر عن هذا العلم لمن لم يعرف عنه شيئاً قبل هذا .

وبودّي أن يتوقّف كلّ منّا عند الاختيار الدّقيق لكلمات هذا التعريف ويهمّني منها محوران :

الأوّل : البرمجة .

الثّاني : التّمكّن والقدرة .

أمّا الأوّل : وهو البرمجة .

فإنّ الّذين وضعوا هذا العلم وأبجدياته من الغربيين كانوا يعنون هذه الكلمة بالذّات حين عبروا عن غاية هذا العلم ، ونحن نعلم أنّ البرمجة كلمة يُعنى بها أن يُتحكّم في تصرّفات وانفعالات من يقع في دائرة البرمجة وفق مايريده المُبرمِج ، فأنت تعلم أنّ أيّ سلوك أو تصرّف خاطىء يقوم به جهاز الحاسوب يُعزى إلى خطأ في البرمجة ، لأن

---

(١) الهندسة النفسية للتكريتي (مذكرة) ص٧ .

(٢) انظر الهندسة النفسية للتكريتي ص٩ .

البرمجة يُراد منها السّير وفق نمط سلوكي واحد لا يتغيّر مهما تغيّرت الظّروف المحيطة ، وكذلك جهاز الحاسوب ، فإنّ الحرب لو قامت من حوله فإنّ المفترض أن لا يتغير أداؤه لأنّه بكلّ بساطة ((مُبرمَج)) .

وهذه النظرة للإنسان على أنه يمكن تحويل سلوكه أو التحكم فيه من خلال تقنيات مادية له أصل في أبحاث غربية قديمة منذ بدء انفصال علم النفس عن أمه الفلسفة في القرن العشرين ميلادي ، فقد حاول عالم النفس الشهير ((ديكارت)) وهو من رواد علم النفس المعاصر أن يطبق الطبيعيات على إدراك الحيوان وسلوك الإنسان ، أما السلوك فقد أقامه على ما يسميه علماء النفس الفعل المنعكس ، ويُقصد به أن العلاقة والتفاعل بين المخ والعضلات يقوم به سائل معين في الأعصاب (١)، وهذا يشبه كثيراً تقنيات البرمجة مثل عملية الإرساء والرابط مثلاً ، ويأتي الكلام عنها إن شاء الله .

إنّ التّعامل مع النّفس البشريّة وفق هذه النّظرة خطأٌ علمي مخالف للنصّ الشّرعي من أساسه ، صحيح أنّ الانضباط في السّلوك أمر مُحبّب ، غير أنّ الظنّ أنّ الإنسان يُمكن أن يُبرمج وفق نمط معيّن من السّلوك لا ينخرم عبر علمٍ ((ما)) بحيث يُفترض أن يؤدي إلى تحقيق الأهداف المرجوة لا محالة يصطدم بحقائق شرعيّة ، من أهمّها :

١ . إنّه لا أحد ممن يدعي الإيمان يستطيع الزّعم بوجود علوم تتعامل مع النّفس البشرية وتستطيع تحقيق أهدافها خير وأفضل من علوم الأنبياء عليهم السّلام ، لأنّهم

(١) مدارس علم النفس المتعاصرة روبرت ودورث ، ترجمة : كمال دسوقي . ط ١٩٨١م ، ص ٥١ .

ببساطة شديدة رسلٌ من خالق النّفس العالم بحالها وما يصلحها وما يصلح لها ، ومع هذا فإنّا نعلم كلّنا أنّ أمّة من البشر تعامل معهم الأنبياء ومع هذا كانوا غاية في الانفلات والتمرّد وعدم الانضباط .

فإن قيل : إنّ البرمجة تفيد وتعطي النتائج مع من يقبل بها ويقتنع بها أمّا أولئك فقد رفضوا الدّعوة من أساسها ، قلنا : هذا يفنّده الحقيقة الثانية وهي :

٢ . أنّ الّذين اقتنعوا وآمنوا بالدّعوة وعزموا على التزامها ليسوا كلّهم يستطيعون الوصول إلى أهدافهم، بل منهم أمّة كثيرة تضعف وتعصي بل ربّما تكفر يوماً ما ، وهذا هو معتقد السّلف الصّالح في القدر وأنّه تعالى يحول بين المرء وقلبه .

وإذا كان كذلك فإنّ التوصل إلى هندسة النّفس البشريّة بهذه الصّورة الّتي يروّج لها أصحاب الهندسة النفسية فيه مبالغة مرفوضة .

وأمّا المحور الثّاني : وهو القدرة والتّمكّن ، فأحب أن أشير إشارة عابرة إلى أمرٍ قد يخفى على البعض ، ألا وهو أنّ كثيراً من العقائد المخالفة للسّنّة الّتي تبنّتها فرق من أهل البدع ـ سواء كانت من الفرق المندثرة أم الّتي مازالت حيّة ـ هي في الأصل انطباعات نفسيّة وتصوّرات عقليّة رتّب عليها أصحابها تصوّرات أكثر تعقيداً عن الوجود أو عن الربّ تعالى أو عن النّفس الإنسانيّة .

وبدون توسّع في هذا المجال أذكر مثلاً أنّ عقائد المعتزلة القدريّة في باب القدرة مبني على تصوّر فاسد كان له أثر بارز في تكوين معتقدهم في باب القدر ، وهذا التّصوّر هو أنّ العبد إذا كان له قدرة وتوفّر لديه الإرادة والاقتناع التّام بما يريد فإنّه لا بدّ أن يصل إلى

هدفه ، ويقول الفخر الرازي مصوّراً هذه العقيدة في جملة واحدة : ((إنّ أفعالنا يجب وقوعها على وفق دواعينا))[1].

وأنت تلمح بجلاء أنّ تعريفات أصحاب علم البرمجة هذا بل وشروحاتهم لتعريفهم وأمثلتهم يظهر فيها وبقوّة الرّبط بين إرادة الإنسان وقدرته وبين حصول أهدافه ، كما تقدم قول بعضهم عن البرمجة : ((وكذلك تمدّنا بوسائل وطرق **يمكن بها إحداث التّغيير المطلوب في سلوك الإنسان وقدرته على تحقيق أهدافه**)) ، وهذا نفس الملحظ الّذي بنى عليه المعتزلة القدريّة مذهبهم في باب القدر ، وهو أمر نفسي ليس شرطاً أن يعلنه الممارسون لهذا العلم كمعتقد .

فالعقيدة القدريّة لدى واضعي علم البرمجة وهم نصارى على الأغلب : تقول إنّ أفعال الإنسان أسباب تامّة في نتائجها : بمعنى أنّ أيّ خلل في حصول النّتائج المرغوبة يُعزى بالدّرجة الأولى إلى خطأ بشري أو خطأ في البرمجة ، وأنّ الحل في تصحيح هذا الخلل يرجع إلى قدرة الإنسان وإرادته ، وهذا وإن صحّ في جزء من واقع الإنسان فإنّه لا يصح في أجزاء أخرى ، لأنّا نعلم أنّ من عقيدة أهل السّنّة أنّ العبد لا يخلق فعله ، وأنّه مكلّف فقط بالتّسبب لحصول النّتائج ، ويبقى حصول النّتيجة مرهوناً بقدرة الله تعلى وإرادته .

ولقد لمحت أثناء قراءاتي لمقالات بعض الّذين كتبوا في هذا العلم ظهور **الاتّجاه القدري** البدعي في هذا العلم ، حتّى مع الصّيحات الّتي صاحها بعض المنادين بهذا

---

(١) كتاب القدر ص٢٢٦ .

العلم مقررين أنّهم يؤمنون بأنّ كلّ شيء بقدر وأنّهم يقولون مع علمهم هذا بأنه لا بدّ من مشيئة الله في تحقق النتائج و..و..و إلى آخر ما ذكروا وهو لا ينفع في هذا المجال لأكثر من سبب :

منها : أنّا مع احترامنا لصدقهم نقول إنّهم ليسوا وحدهم الّذين ينشرون هذا العلم ، بل يشترك معهم ألوف من الكفّار ومن المسلمين الّذين لا يعلمون عن الإسلام غير اسمه ، وأنّ هؤلاء هم الكثرة الكاثرة ، وكلّ هؤلاء لا عبرة عندهم بما يعتقده المؤمنون في باب القدر .

ومنها : أن العبرة في باب الأسباب والنتائج بالعادة لا بالخوارق ، فلا يجوز أن يقول شخص ما أنا سأنجح دون مذاكرة بإذن الله ومشيئته ، ولا أن يتطلب الشبع بلا أكل بمشيئة الله وقدرته ، ونحو هذا كله مع أنه ممكن في قدرة وممكن إن شاء الله ذلك لكن العادة لم تجر به .

وكذلك لا يجوز أن يقنن شخص في دورات البرمجة تعلم التأثير في الآخرين عن بعد وتحريك الأشياء عن بعد مثلاً ثم يقول : بمشيئة الله أو بإذن الله لأن العبرة ليس كونه واقعاً ليس بمشيئة الله أو نفي ذلك بل العبرة هل ما يدعيه رواد البرمجة من ترتيب نتائج معينة على طرائق وأساليب مخترعة مبتكرة لم تجر بها العادة جائز أم لا فإن كان جائزاً فحينئذ يكون إلحاق المشيئة حسن من باب لإخلاص الاعتماد أما إن كان الجواب بالنفي فإن تكرار عبارة إن شاء الله وبقدرة الله كل هذا يصبح تلبيساً ولفتاً للانتباه عن موضع العلة .

ومنها : أنّ العبرة بالسّلوك التّعليمي لهذا العلم ، فأكثر الممارسين للأسف ليس لديهم التّخصص الدّقيق في مسائل فكريّة تمسّ هذا الجانب ، فإنّه من المعلوم لدى المتخصصين أنّ العلوم الإنسانيّة والرّوحيّة امتدّت لها أيدي **الفلاسفة** كثيراً ، وتعمّقوا فيها بدرجة كبيرة ، بل إنّ كثيراً من الكتابات المعاصرة ما هي إلاّ اقتباسات أو شروح أو تتميم لدراسات سابقة للفلاسفة المتسبين للإسلام أو غيرهم ، وأنّ هذه العلوم الإنسانيّة المعاصرة حسّنت عبارة الأقدمين أو غيّرتها ، فيأخذها المتعلّم في هذا العصر كعلم فذّ وهو لا يدري لعلّها بعض البدع الّتي ردّ عليها أهل السّنّة قديماً .

خصوصاً في باب الإرادة والقدرة ، فإنّ للفلاسفة ومن تأثر بهم من القدريّة والباطنيّة مباحث غاية في الدقة والخطورة مبثوثة في المذاهب الغربيّة المعاصرة ، ومفكروا الغرب استفادوا وتأثّروا كثيراً بهذه المباحث وطوّروها ونشروها كدراسات نفسيّة وروحيّة ، ومن هذه الدّراسات ـ أقول : لعلّه ـ تسرّبت الأفكار المخالفة لهذا العلم الّذي نتحدث عنه .

المآخذ الشّرعيّة على هذا العلم

عند التّأمّل في هذا العلم وأبجديّاته وضمّ الشّبيه إلى شبيهه يمكن تلخيص هذه المآخذ على البرمجة اللغويّة فيما يأتي :

١ . خطوط عامّة . ٢ . مآخذ على الأهداف .

٣ .مآخذ على الوسائل . ٤ .مآخذ على المقولات والقواعد .

خطوط عامّة

أوّلاً : مأخذ منهجي يتعلّق بالتّلقّي والاتّباع :

أرسل الله تعالى نبيّه محمّداً ﷺ بكلّ صلاح للبشريّة جمعاء ، وأنزل معه الكتاب والحكمة كما قال تعالى ممتنّاً على المؤمنين : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤] فالكتاب هو القرآن الكريم ، والحكمة هي السنّة النّبويّة ، فالله تعالى امتنّ علينا بهذه النعمة العظيمة ، فأرسل لنا رسولاً يبلّغنا دين

الله وهذه هي التلاوة ، ويعلّمنا تفاصيل الشرع وهذا هو تعليم الكتاب والحكمة ، ويربّينا تربية نفسية وجسدية وعلمية دينية ودنيوية ، وهذه هي التّزكية ، وهذه التزكية شاملة هدفها بناء النفس المسلمة وتصحيح سلوكها كما قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٧-١٠] .

وقد اشتملت هذه الأصول الشّرعيّة على كلّ ما يحتاجه المسلمون من الأصول العلميّة والمنهجيّة الّتي تكوّن الخطوط العريضة للمشروع الحضاري الكبير ، هذا المشروع الّذي عرف التاريخ نتائجه ونجاحاته الباهرة في فترات معيّنة كما في الأندلس مثلاً ، وإنّما ضربتها مثلاً دون غيرها لبيان أنّ هذا المنهج لا يقف عائقاً أبداً في طريق الإبداع والتطوير والارتقاء الدنيوي المادي مادام نفعه أكبر من ضره ومادام لا يتعارض مع عقيدة الإسلام وشرائعه .

وإذا كان كذلك ، فإنّ من المعلوم عند أهل العلم من السّلف والخلف أنّ أيّ محاولة للتّقليل من أهميّة أصل التّلقي والاتباع والتّزكية أو تحييده أو الإشراك به يُعدّ كبيرة وجرماً ، بل هي معدودة من أمارات النفاق الاعتقادي .

إنّ من واجب المؤمن الحفاظ وبقوّة على مكانة وصدارة الكتاب والسّنّة والأصول الإسلاميّة الكبرى ومن أهمّها طريقة السّلف ومنهج السّلف في تمكين هذا الأصل مع فتح المجال للإبداع والابتكار والتطوير دون أن يحدث بينهما تقاطع البتّة .

ومن المهم أيضاً استفراغ الوسع والجهد في ما جاء عنه ﷺ في كلّ باب خصوصاً في باب التّزكية والتربية واستخلاص المنهج النبوي والعمل به وتمكينه في حياتنا ، فإنّه أكمل المناهج وأفضلها وأحسنها ، وما حصل في المسلمين ما حصل من التخلّف والانحطاط إلاّ بسبب تفريطهم فيما جاء به النّبيّ ﷺ وابتغائهم الهدى في غيره إمّا كلياً وإمّا جزئياً ، قال شارح الطّحاويّة : ((فكلّ من طلب أن يُحكّم في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرّسول ويظنّ أنّ ذلك حسن وأنّ ذلك جمعٌ بين ماجاء به الرّسول وبين ما يخالفه فله نصيب من ذلك [1]، بل ماجاء به الرّسول كافٍ كامل يدخل فيه كلّ حق ، وإنّما وقع التّقصير من كثير من المنتسبين إليه فلم يعلم ماجاء به الرّسول في كثير من الأمور الكلاميّة الاعتقاديّة ، ولا في كثير من الأحوال العباديّة ، ولا في كثير من الإمارة السياسية ، أو نسبوا إلى شريعة الرّسول بظنّهم وتقليدهم ما ليس منها ، وأخرجوا عنها كثيراً مما هو منها .

فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وبسبب عدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم كثُر النفاق ودرس كثير من علم الرّسالة .

---

(١) أي من قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴾ [النساء:٦٠-٦٢] .

بل إنّما يكون البحث التّام والنّظر القوي والاجتهاد الكامل فيما جاء به الرّسول ﷺ ليُعلم ويُعمل به ظاهراً وباطناً فيكون قد تُلي حقّ تلاوته وأن لا يُهمل منه شيء))[1].

ومن المهم هنا أن نبيّن أنّ هذا الكلام لا يعني أنّ التمسّك بهذا المنهج يعني البحث في كلّ مجال علمي يُراد الابتكار فيه عن أصول علميّة في الكتاب والسنة وحياة السّلف ، كلاّ ، بل هذا هو الخطأ الّذي وقع فيه من حاول تنـزيل نصوص الكتاب والسّنّة على بعض الحقائق أو النظريّات العلميّة بتكلّف وتأويل بل وتحريف يثير السّخرية .

بل المراد أن يكون الباحث والدارس يمارس عمله بكل حريّة لكن في إطار عام يقنّن هذا البحث ، ويمكن إجماله في نقاط :

١ . أن لا يكون مجال بحثه ودراسته وتجربته في قضايا حسمها الوحي ، إلاّ من باب تأكيد المؤكّد كما قال إبراهيم عليه السّلام : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

٢ . أن لا يؤدي الأخذ بنتيجة معينة في بحث ما أو دراسة ما إلى إبطال حقائق شرعيّة ، أو التّملّص من أحكام شرعيّة جاء بها الكتاب والسّنّة .

٣ . أن لا يكون في بحثه منهجياً أو جزئياً منتهكاً لنصوص شرعيّة بأمر أو نهي .

٤ . أن لا نصوغ مبادىء بعبارات ومقولات أعمّ من الأهداف المشروعة ، بحيث يمكن أن تتّسع لمعانٍ وأهداف باطلة تُضمّن فيها مع مرور الزّمن إما جهلاً وإمّا عمداً .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٧٤ .

فإذا عرفنا هذا : فإنّ من البيان المطلوب لهذه الفقرة أن نقول : إنّ من القضايا الّتي حسمها الوحي ـ أي الكتاب والسّنّة ـ قضايا التربية والسّلوك الإنساني أو ما يُسمّى ((منهج التّزكية)) .

فإنّ هذا الجانب من الشّرع الحنيف جاءت به الشّريعة على أتمّ وجه وأكمل نظام ، فالكتاب والسّنّة جاء فيهما كلّ ما يحتاجه النّاس من النظم البشريّة السّلوكيّة ، وعلاج حالات التخلّف السّلوكي سواء كان مما هو ذنب ومخالفة أو كان من الأمور التي ترجع إلى الشّخص في معيشته ودنياه الخاصّة ومنه الحالات النفسيّة المرضيّة كالإحباط والخوف والرّهاب الاجتماعي وغير ذلك .

وهذا الّذي قلته ينطلق من أصل مهم عند المسلمين كافّة يؤمنون به كإيمانهم بالله تعالى : ألا وهو أنّ الله تعالى هو خالق النّفس ، وخالق النّفس أعلم بحالاتها وخصائصها وأدوائها وعلاجها : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الملك:١٤] .

فإذا ضممنا هذه الحقيقة إلى حقيقة أخرى : هي أنّ الله تعالى إنّما بعث الرّسل وخاتمهم محمّداً ﷺ بمكارم الأخلاق وأنّه بعثه بكلّ ما فيه صلاح النّفس في دينها ودنياها ، عرفنا وتيقّنّا أنّ المؤمن لا يحتاج إلى أيّ بحث أو تنظير من خارج الكتاب والسنّة يستعين به في صلاح نفسه وصلاح غيره ، خصوصاً في مجال السّلوك .

وإذا كان كذلك فإنّ الأمر أيضاً لا يقتصر فقط على كونه لا يحتاج إليه، وإنّما لا يجوز للمؤمن أن يتطلّب صلاح نفسه وصلاح غيره في دينه أو دنياه من خارج البيئة الإسلاميّة .

ومن المهم هنا ملاحظة أنّنا نتكلّم عن النفس الإنسانيّة ، لا نتكلّم عن التراتيب الخارجيّة كتنظيم الوقت أو ترتيب الأولويات التفصيليّة فهذه تركها الشّرع للنّاس ليكيفها كلٌّ بحسب مصالحه الفرديّة .

وإنّما كلامنا مركّز عن الخصائص النّفسيّة للفرد ومحاولة التحكّم فيها وإصلاحها .

فلو افترضنا أنّ مفردات هذا العلم لها فوائد يقتنع بها روّاده فإنّ الأمر ليس بهذه العفويّة ، **إنّ المنهج النّبوي الصّريح يرفض رفضاً قاطعاً أن يتطلّب المؤمن هداه وصلاح نفسه وتهذيبها من مصادر أخرى غير الإسلام ، حتّى ولو ظنّ المرء أنّ فيها فائدة ما ،** والسّلف رحمهم الله تصدّوا بكلّ قوّة لأيّ محاولة من هذا القبيل فنشأت بينهم وبين **المتهوكين** في سائر الأزمنة صراعات فكريّة أثبت التّاريخ أنّ السّلف كانوا على حقّ حينما أنكروها ، ومن أبرز وأوضح هذه المناهج : **المنطق** و**علم الكلام** .

فإنّ **المنطق** عند أتباعه علم يُصان به الفكر من الخطأ في التفكير ، وترتيب القضايا العقليّة وربطها بعضها ببعض بغضّ النّظر عن مضمون القضيّة شرعيّة كانت أو طبيعيّة .

لقد كان لهذا العلم عند أهله من اليونان مكانة مرموقة ، وترجمه إلى العربيّة فئة من المعجبين به فنقلوه إلى أهل الإسلام وحسّنوه وزيّنوه حتّى تهافت عليه المغرورون ، إذ كان تعلّم المنطق صنعة فريدة كما هو الحال بالنسبة للبرمجة اللغويّة الآن ، وبادر السّلف من الأئمّة والدّعاة إلى تحذير النّاس من هذا العلم وما سوف تجرّه مقدّماته وقواعده

الفلسفيّة على الإسلام من الشّرور ، وكان هذا ضرباً من المبالغة في ذلك الوقت اعتماداً على صحّة الاعتقاد والعقول من جهة .

ومن جهة أخرى فإنّ عمومات مقدّمات **المنطق** لا تتّجه صوباً إلى العقيدة الإسلاميّة والأصول الشّرعيّة ، لكن ما إن أوغل الجهلة فيه ، وتعمّقوا وجهلوا أصول السّنّة حتّى حكّموا مقدّمات المنطق وقواعده وأساليبه على أصول السّنّة والإسلام ، فأدّى ذلك إلى فساد علوم الإسلام كما ذكر ذلك غير واحد من السّلف ، فلا يكاد يوجد علم من علوم المسلمين إلاّ وقد كدّر صفوه علم الكلام والمنطق اليوناني ، عداك عن فساد العقائد ونشوء مقالات التّعطيل والتّأويل وغير ذلك من المقالات الباطلة المبتدعة الّتي أفسدت على أهل الإسلام عقائدهم وعباداتهم .

هذا في مجال المنطق العلمي والتفكير المنهجي ، أمّا في مجال التّهذيب السّلوكي فقد قام ثلّة من العلماء في أزمنة ما بتطلّب مناهج لتهذيب السّلوك وتزكية النفوس فنظروا في **الفلسفة الإشراقيّة** وأخذوا عن **النصرانية والبوذيّة** ما ظنّوه حسناً لا يخالف شريعة الله .

وقد تطلّبوا ذلك واعتنوا به فحذّر السّلف من تطلّب ذلك من غير سنّة النّبيّ ﷺ الّتي نعتقد يقيناً أنّها ما تركت شاذّة ولا فاذّة في التربية والسّلوك إلاّ ولها فيها أعلى قدح وأرفع راية .

ولكنّ النّاس صمّوا آذانهم وتهوّكوا في هذه المناهج التربويّة المستوردة فماذا حصل ؟

لقد نشأ في المسلمين من البدع والضّلالات ما لا يعلم مداه إلاّ الله تعالى ، وأصبح التّصوّف الغالي منهجاً تربويا معتمداً عند شريحة كبيرة من المسلمين ضلّوا بسبب

إعراضهم عن سنّة النّبيّ ﷺ وتطلّبهم للصّلاح من غيرها ، وهم في هذا كما قال الشّاعر : **متطلّبٌ في الماء جذوة نار** .

وقد نظرت في هذا العلم المسمى البرمجة اللغويّة العصبيّة فما وجدت فيه شيئاً نافعاً من الوسائل والأهداف إلاّ وفي سنّة النّبيّ ﷺ من الطرق والوسائل ما لا يدانيه ولا يقاربه شيء من **سخافات** الهندسة النّفسيّة .

ومن الواضح أنّ روّاد هذا العلم يحسّون بهذا ، ولهذا يلجؤون إلى الاستشهاد بحوادث من السّيرة أو النّصوص على أنّ لهذا العلم أصلاً .

والدكتور محمّد **التكريتي** مؤلّف كتاب ((آفاق بلا حدود)) هو رائد هذه الفكرة ، لكنّه مع الأسف تكلّم في كتاب الله بما لا يعلم فوظّف الآيات توظيفاً سيّئاً ، فهل يظنّ الدكتور ومن نحا نحوه أنّ الكلام في كتاب الله تعالى بهذه السّهولة ؟

وسأورد أمثلة من تكلف إيراد النصوص والاستشهاد بها على غير محلّها :

. يورد الدكتور **التكريتي** قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [النور:٣٩] في أكثر من موضع [1] عند الحديث عن الخداع البصري : مع أن ظاهرة السراب مشاهدة ولا تحتاج نصاً ، والنص يُحتاج فيما إذا كانت الظاهرة غير محسوسة أو

---

(١) المذكرة ص٢٢ .

كان فيها شك ، وإنّما هذا يفعله لخلق جوّ الألفة بين هذا العلم وبين البيئة العربيّة والإسلاميّة .

. استعمل **التكريتي** قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١] خطأ فهو يستشهد بها في موضوع تغيير النفس للواقع بناء على تغييرها هي اعتقادها أو سلوكها وأهدافها : فالتّغيير كما يتحدث عنه **التكريتي** ينطلق من النفس : مع أن الآية تتحدث أنّ الله تعالى هو الذي يغير ما بالنّاس إذا هم غيّروا ما بأنفسهم .(١)

والآية تتحدث عن أنّ الله تعالى لا يغير ما بقوم من نعمة إلاّ إذا غيّروا هم ما بأنفسهم من الإيمان والطاعة إلى ضد ذلك .

. **أيضاً** : استشهد **التكريتي** بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر:٤٩] على أنّ الله تعالى خلق الأشياء بمقادير من حيث الكمية والكيف ، وهذا حقٌ بلا شك ، لكن إقحام الآية في هذا الموطن استدلال بعيد ، ولفت عن معناها الأوفى ، وهو أنّ الله تعالى خلق كلّ شيء بقدر :أي بعلم سابق وتقدير للمعاصي والذّنوب والطّاعات والإيمان ، وقد نصّ المفسّرون على أنّ هذه الآية نزلت تعييراً للمكذّبين بالقدر من المشركين الّذين خاصموا النّبيّ ﷺ في القدر وكذّبوا به(٢).

(١) التكريتي ص٢/ ٩ .

(٢) انظر تفسير الآية في تفسير ابن كثير .

عوداً على بدء :

فالأمر إذاً ليس ذوقاً واختياراً أن يعمد المؤمن إلى مناهج من خارج الإطار الشّرعي في التربية والتهذيب ، أمّا الأمور الّتي يحكمها ظرف العصر والوقت الراهن فكما قلنا هذا أمر متروك للإنسان يكيفه حسب المصلحة : مثل ترتيب الوقت ترتيب الهرم الإداري والصلاحيات الإدارية ، وطرق ومهارات التعامل مع المرؤوسين والعملاء او الطلاب في أحوال وظروف محدثة معاصرة لم يعرفها المسلمون في السابق ونحو هذا .

أمّا ترقية الشّعور الإنساني وتهذيب الإرادات ورفع الثقة بالنفس أو السّمو بالسلوك والأهداف وعلاج الكآبة والفشل والفراغ الروحي فهذه أمور شرعيّة محسومة في الإسلام وتطلّب الهدى فيها من غير الإسلام ضلال بلا شك ولا ريب .

فإن زعم البعض أنّ للبرمجة أصولاً إسلاميّة فأنا أزايد عليه وأقول : بل كلّ ما هو نافع من البرمجة ففي الإسلام والسنة ما هو أفضل وأحسن بأحسن طريقة ووسيلة .

ولولا أنّ المقام يضيق لالتزمت أن أورد مقابل كلّ خير مضنون في البرمجة إن كان كذلك : ما هو خير منه في السّنّة .

وأكثر من يُوجّه لهم هذا الكلام هم المنتسبون للدّعوة والعلم : فإنّ الواحد منهم لو استفرغ وسعه في تعلّم السّنّة والاطّلاع على دواوين الإسلام لعرف أنّ البرمجة مقارنة بالتشريع النبوي إمّا سخافة وإمّا ضلال وإمّا ضياع وقت بلا نفع .

ومع هذا يعرضون عن تعلّم السنة ويكتفون بظاهر من القول ويتعمّقون في البرمجة ويستهويهم الشّيطان ويزيّنها لهم ويشعرهم بتميّز عن النّاس بهذا العلم الزّائف ثمّ يعتقدون أنّهم يحسنون صنعاً وهم في الحقيقة يفسدون ولا يصلحون ، ويصرفون النّاس عن السنة والعلم الشرعي من حيث يشعرون ولا يشعرون .

شبهة :

قال بعض النّاس ، نحن نعلم أنّ في البرمجة مخالفات شرعية وفيها مفاسد ، ودور المسلم هو أخذ العلوم ودراستها والاستفادة مما فيها من الخير وترك ما فيها من الشر .

وجوابها :

إنّ الإشكالية الكبيرة تأتي من المرجعية في تصنيف الخير والشر ، والنافع والضار ، فنحن نعرف بعض من يقول هذا الكلام : يرى من النافع الاستفادة من علم الطاقة وعلاقة الطاقة الكونية بحياة الإنسان ، ومنهم من يرى من النافع الاستشفاء بالألوان والأصوات والمعادن ، ومنهم من يرى من النافع تعلم القدرة على تحريك الأشياء من بعد ، وهكذا أصبح هذا الكلام مجرد شعار أجوف لا حقيقة له .

فلو أنّ هؤلاء يعتمدون مرجعية معتمدة وهي الكتاب والسنة وأقوال العلماء الكبار ((لا بعض المفتونين بالبرمجة من الدكاترة)) لكان يمكن ذلك ، بل الواقع أنّ العلماء حين قالوا كلمتهم في بعض الوسائل ((البرمجيّة)) جاء جواب هؤلاء : العلماء لم يعرفوا حقيقة هذا الشيء ، أو أنّهم لم يتصوروا ذلك ، فمثلاً قال العلماء حكمهم على التنويم

المغناطيسي وأنه من ضروب السحر فقال هؤلاء : التنويم المغناطيسي ليس سحراً والعلماء لديهم تصور مغلوط عنه وبدؤوا في الروغان عن الحكم الشرعي .

وعلى هذا فإنّ هؤلاء المبرمجين الذين يقولون هذه المقولة يدعون أنّهم هم المرجعية في تحديد النافع من الضار والموافق للشرع من المخالف ، فأصبحوا مثل الاقتصاديين الّذين يدّعون أن العلماء لم يفهموا الاقتصاد الحديث فلا يرجعون إلى العلماء إلاّ لتبرير بعض الحيل على الربا ، وكذلك الإعلاميون يدعون أن العلماء لا يعرفون حقيقة الواقع الإعلامي فلا يرجعون إليهم في تحديد الموافق والمخالف للشرع ، ومثلهم السياسيون وهكذا دواليك ، وأصبح قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء:٥٩] وقوله : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء:٨٣] كل هذا أصبح لا قيمة له بسبب هذه الحجة العقيمة ، هذا **أولاً** .

وثانياً : أنّ نفس هذه الحجة مرفوضة في مثل هذا العلم ، لأني قدمت لك أنّ منهج التزكية وتربية النفس موجود في الشرع فلا يجوز تطلبه من غيرها ، وكون البعض لا يجد فيه هذا لا يدل على أنه غير موجود ، وإنّما أُتي من جهله وتقصيره في تطلب هذا في كتاب الله ، وهذه الحجة هي نفسها الّتي أدت بعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أن يحاول الاستفادة من كتب أهل الكتاب ، فيما رواه الإمام أحمد وغيره عن جابر بن عبد

الله أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي ﷺ فغضب فقال : ((**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى ﷺ كان حيّاً ما وسعه إلا أن يتبعني**))[1].

ومن هنا اختلف العلماء في حكم النظر في كتب أهل الكتاب ولخص ذلك ابن حجر بعد ذكر قول من حرّمه ونقل فيه الإجماع على ذلك : ((وَالأَوْلَى فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَة التَّفْرِقَة بَيْن مَنْ لَمْ يَتَمَكَّن وَيَصِرْ مِنْ الرَّاسِخِينَ فِي الإِيمَان فلا يَجُوز لَهُ النَّظَر فِي شَيْء مِنْ ذَلِكَ بِخِلافِ الرَّاسِخ فَيَجُوز لَهُ وَلا سِيَّمَا عِنْد الاحْتِيَاج إِلَى الرَّدّ عَلَى الْمُخَالِف))[2] وإنّما أشرت إليه هنا لأنّه يتنزّل عليه الخلاف في النظر في أيّ علم أو كتب يُراد الازدياد منها علماً إلى ما في شريعتنا من مناهج التربية والإيمان والسلوك ومنها علم البرمجة اللغوية العصبية .

ولهذا يُقال : لو أنّ مصادر ومراجع البرمجة جيء بها ككتب ومراجع ليستفيد منها الراسخون في العلم الذين يميزون الخطأ من الصواب ويفيدون من بعض ما قد يكون

---

(١) المسند ح ١٤٧٣٦ وقد جاء من طرق كثيرة كلها ضعيفة ذكرها ابن حجر رحمه الله في الفتح ثم قال : ((وَهَذِهِ جَمِيع طُرُق هَذَا الْحَدِيث وَهِيَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَا يُحْتَجّ بِهِ لَكِنَّ مَجْمُوعهَا يَقْتَضِي أَنَّ لَهَا أَصْلا)) فتح الباري ١٣ / ٥٢٥.

(٢) الفتح ١٣ / ٥٢٥.

خارجاً عن الإطار الذي جاء ت به الشريعة المحمدية : أعني ما كان مرجعه إلى التراتيب الإدارية وطرق استغلال أو تنظيم الوقت لكان هذا سائغاً .

أمّا أن تأتي كعلم ومنهج وبرنامج متكامل فيه الغث والسمين فهذا لا شكّ في أنّه من الباطل منهجاً وأصلاً ، فضلاً عما فيها من الأخطاء ، وأنقل لك هنا كلمتين من رجلين فاضلين أحدهما متخصص في العلم الشرعي والآخر من في علم النفس وهما فضيلة الشيخ الدكتور : عبدالرحمن بن صالح المحمود أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وسعادة الدكتور : عبد العزيز بن محمد النغيمشي أستاذ علم النفس والمهتم بالتأصيل الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وقد علقا على الندوة التي عقدها مركز الدعوة بالنسيم بالرياض يوم الخميس ١٣ شعبان ١٤٢٤هـ لمناقشة : ((البرمجة اللغوية العصبية ومحاذيرها))، وجاء في كلمة الدكتور النغيمشي :

((النقد الموجه للبرمجة اللغوية العصبية ليس للمحتوى ، وليس نقداً تفصيلياً فقط ، فلو كان كذا ، لأمكن تصفيتها ، **وإنما الخطورة في كونها برنامجاً متكاملا فهي برمجة** ، لها اسم ولها أساتذة ولها شهادات ولها اعترافات وجهات .

لذا لايمكن أن تبقى على هذه الصورة ، **أنا مقتنع جداً بأنه يجب أن لا تبقى على هذه الصورة** ، فلو فرضنا أننا عدلنا وأخرجنا برنامجاً صافياً أشرف على تعديله وشهد له عدد من الفضلاء ، ولا يوجد فيه مخالفة **فلا يمكن كذلك أن نبقيها باسم البرمجة اللغوية** العصبية فالمتدربون سيصبحون تلاميذك ، وأنت تلميذ فلان وفلان ، إلى أصولها غير المنقاة فسيقع الخطر .

يجب المطالبة بكل قوة بأن يعكف المتخصصون من ذوي الثقافة الشرعية على إخراج برامج مؤصلة مطعمة بما يفيد دون أن تدخل تحت هذا الاسم وهذا الإطار ، ولا يمنع أن تجد بعد أن تنتهي من إعداده أن البرنامج فيه عشرة بالمئة أو ستون بالمئة من مفاهيم البرمجة اللغوية العصبية ما دمت أصلاً قد بدأت من مصادرك الشرعية وانطلقت من ثوابتك العقدية والعقلية . وأكثر ما ذُكر من فوائد في البرمجة له أسس موجودة في الأدلة الشرعية فموضوعات الإيحاء ، وقانون التكرار ، والموضوعات التربوية المتعلقة بقانون التدرج ، والمشاركة الإيجابية بالإضافة إلى أمور أخرى كثيرة يكتشفها الباحث في الأدلة الشرعية لاستخراج البرامج التربوية والتطويرية من خلال معرفته بالبرامج الغربية مثل البرمجة اللغوية العصبية أوغيرها ، دون أن يدخل البرنامج الجديد تحت اسم البرمجة اللغوية العصبية)) .

أمّا الشيخ المحمود فقال : ((فالقضية واضحة في الاستفادة من العلوم الغربية كعلم النفس والاجتماع ومما قد يكون في البرمجة ، **ولكن يجب ألا تقبل في إطارها** ، فلم يقل الرسول ﷺ لعمر رضي الله عنه إن في هذه التوراة كذا وكذا فهو حق فاقرأه ، لا بل نهاه ، **والبرمجة من مشكلاتها أنها برنامج متكامل** الذي يأخذ مستوى يريد ثاني وثالث ...ثم تنتهي إلى نهايات خطيرة))[1].

. الطب النفسي :

---

(١) وصلني بالبريد الإلكتروني من قبل الدكتور عبدالغني مليباري وزوجه الأستاذة فوز كردي وقد شاركا في الندوة جزاهما الله خيراً فلهما جهود عظيمة في التنبيه والتحذير من هذا البلاء .

علم النفس أو الطب النفسي أصبح من الألفاظ المجملة الّتي يجب معرفة ما تنطوي من المعاني حتى يُحكم عليه بحكم منصف يراعي الحفاظ على الأصول الشرعية ، كما يراعي مصلحة الناس وحاجتهم إلى الدواء والعلاج .

ولهذا نقول :

من المهم ملاحظة أمر مهم ، وهو أنّ العلوم النفسية في أصلها كانت ضمن علوم أخرى ، أما في الغرب وعند اللادينيين فقد كان علم النفس ضمن علم الفلسفة أو هو فرع من فروعها [1]، وهذا يمكن أن يقودنا إلى حقيقة الموقف الشرعي من علم النفس هذا من خلال معرفة موقف علماء السلف من الفلسفة عامة كمنهج تربوي أخلاقي .

أمّا عند المسلمين فلم تنفصل عن العلوم الشرعية إلى عهد طويل جداً ، لقد كان كلام السلف عن النفس وتربيتها وأدوائها وشفائها يشمل جزءاً كبيراً جداً من منهجهم وعلمهم في أصول الدين ، فما سبب ذلك ؟

السّبب يعلمه أهل العلم جيداً ، ألا وهو إدراك هؤلاء العلماء أنّ الحديث عن النفس الإنسانية تحليلاً وتوجيهاً بمعزل عن النصوص الشرعيّة يكون أشبه برحلة ضرير في فيافي مقفرة ، ولهذا جرب قراءة أبحاث علماء النفس ونتائجهم وملاحظاتهم ستجدها كلها من نوع : قد ، يمكن ، ربما يكون ، من المحتمل ، من الجائز ، لا يُستبعد .. الخ ، وهي ألفاظ تدل على ما ورائها من الحيرة وعدم الثبات ، سببه الرئيس أن العوامل

(١) مدارس علم النفس المتعاصرة ص ٤٩و ٥٤ .

العديدة التي تدخل في تكوين الأثر الدافع للمرض النفسي ومن ثم العلاج ، ولهذا قرروا أنه لا توجد معايير مقبولة عالمياً لتقييم مدى نجاح أو فشل العلاج ، حيث إن أهداف العلاج تختلف من حالة إلى أخرى ولا تستطيع كل إحصاءات اليوم بكل صرامتها أن تبين بشكل مقنع تفوق منهج علاجي على آخر [1].

إضافة إلى فارق مهم يشكل عصب النجاح والثقة للمنهج الرباني في علاج النفس ، ذلك أن المناهج البشرية ومنها الطب النفسي وعلوم النفس الغربية تعتمد في بنيتها الأساسية على الوصف والتحليل ، ولكنها غالباً لا تهتدي إلى سبب العلة ، حتى مع الطرق العصرية التي ابتكروها أو استعملوها مثل التنويم المغناطيسي فإن غالب عملهم بقي في إطار الوصف والتحليل ، أما الربط والأسباب فإن ذلك بعيد عنهم ، ويكفي

---

(١) الديناميات النفسية ص٦٩ ، وأقول : بل لا تستطيع الإحصائيات إثبات مصداقية المنهج ذاته في علاج تلك الحالات ، وكل ما في الأمر أن الله تعالى قد يقدر نجاح النتيجة حتى بلا سبب فيقوم المعالج بتعميمها ، فمثلاً بعض الناس يُشفى بلا علاج فهل يُعتبر عدم العلاج منهجاً علاجياً لأنه نجح في بعض الصور ؟ وبعض المرضى بالشلل الهستيري يُشفى بصدمة حسية أو معنوية فهل يُعمم ذلك كعلاج لهذا المرض ؟ ومن يستطيع قياس مقادير الصدمات اللازمة للعلاج ؟ وهكذا تجد أن المنهج الغربي في علاج النفس والأمراض النفسية ليس عنده إلا حدوث النتيجة كمصدر لوضع منهج العلاج مع أنك تعلم مما قدمته لك من أمثلة أن حدوث بعض الأمثلة الواقعية التي يُشفى بها المريض بمنهج علاجي معين لا يعني بالضرورة أنه السبب في ذلك بل قد يكون هناك أسباب خفية وأنا أجزم بذلك بناء على ما سيذكره شيخ الإسلام مما سأنقله عنه في صدد تلق النتائج بالأسباب المحرمة .

لمعرفة هذا أن أبحاثهم غالباً إما على الحيوان ثم تُعمم على الإنسان ، أو على المرضى النفسيين وغالب هؤلاء يصعب الاعتماد على المعلومات التي يدلون بها حتى لو تشابهت في حالات عدة فإنه لا يُعتمد عليها لأنه يمكن أن يكون للمرض نفس التأثيرات في غالب الأشخاص ، ونحن لا ننكر قدرة علماء النفس ونحوهم على التحليل والملاحظة لكن الربط هو الذي يصعب عليهم ، مثاله : أن أي شخص يمكن أن يلاحظ اقتران وجود الخوف الشديد بالتعرّق مثلاً ، أما معرفة سبب ذلك وعلاقته والرابط بينهما فإن ذلك يظل علماً آخر يتفرد به النصوص الشرعية التي يدرك ما فيها العلماء الربانيون من السلف والخلف ، قال الدكتور عبدالفتاح دويدار : ((كتب الجميع وأسهب أكثر الباحثين في تعداد أسباب ادعوا أنها مبعث الإصابة بالأمراض النفسية لكن الباحث المدقق والطبيب المجرب يعلم تمام العلم أنه لابد أن يعترف بأن سبب هذه الأمراض بالضبط لم يزل سراً مجهولاً))[1].

إنّ النّفس الإنسانية هي محور العمل الرسالي منذ فجره ، فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذّاريات:٥٦] ، وهذه العبادة كما هو معروف ليست مجموعة من الطقوس العمياء التي يمارسها المسلم ، أبداً ، بل العبادة إضافة إلى مجموعة العبادات العمليّة التي تتعلق بعلاقة المسلم بربه فإنها تتضمن ما أمر الله به العباد من القيام بعمارة هذه الأرض وإصلاحها ودرء الفساد عنها كما قال تعالى : ﴿ وَلَا

---

(١) في الطب النفسي ص٢٠ ، هذا بالنسبة لعلماء النفس أما علماء الشرع المتبصرون بالنصوص الشرعية فيعلمونه بالضبط .

﴿ تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦] وإنّ الإصلاح المأمور به بعمومه والإفساد المنهي عنه بعمومه يتطلّبان نفساً متزنة مستقرة ، وهذا التوازن وهذا الاستقرار يستحيل ـ وأقول مكرراً : **يستحيل أن يتحقق في جوٍّ بعيد عن الدين** .

ومن هنا كان من ضمن إيمان المؤمنين بالله تعالى وبحكمته وعلمه إيمانهم بأنّه تعالى أنزل في كتابه وفي سنّة رسوله ﷺ كلّ ما يحتاجه المؤمنون لتحقيق التوازن والاستقرار النفسي ، فإنّ أهمية ذلك بالنسبة للنفس كأهمية الهواء والماء للبدن .

ومن غير المعقول في حكمة الله تعالى أن يوفر الماء والهواء لأبدان الخلق ويسهل طرق الحصول عليهما ، بينما يكون التوازن والاستقرار صعب المنال أو متروكاً للخلق ، أو لا يُدرك إلا في دورات علمية أو على يد أخصّائيين وأطباء نفسيين ، بل الله تعالى من رحمته وحكمته سدّ هذا الباب سداً تاماً بما أرسل به محمداً ﷺ والرسل من قبله ، وإذا لاحظت منة الله على الخلق بالنبيّ ﷺ لاحظت ذلك ملياً ، قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [البقرة:١٢٩] ، وقال : ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٥١] ، وقال : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ [الجمعة:٢]، والتزكية هي العنوان العام الّذي ينتظم كلّ التشريعات الّتي هدفها إيجاد النفس المستقرة المتوازنة .

وهناك حقيقة أخرى مهمة ذكرها الله تعالى في كتابه ، فإنّا نعلم أنّ النفس بكل معانيها لا يمكن أن تنفصل عن الروح أو هي الروح بذاتها ، والله تعالى يقول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] إنّ الله تعالى حكم في هذا النص أنّ الروح من أمره ، فهي سرّ من أسرار الملكوت الّتي عجزت كلّ العلوم المادية والروحية عن إدراك كنهها وحقيقتها ، ولم يكن هناك من طريق سوى التعامل معها عن طريق آثارها فقط ، وهذا يعني أنّنا نتعامل مع كائن لا ندرك أسرار خلقه [(١)]، وإذا كان كذلك فإنّ من الجهالة حقاً أنّ يبحث الإنسان عن حقائق النفس وما يؤثر عليها وما يفسدها وما يصلحها بعيداً عن المصدر الأساس ، ألا وهو النصوص الشرعيّة ، فهي وحدها الّتي تُعتبر المصدر الموثوق والآمن لأنّها من عند خالق النفس تعالى وتقدس .

وهذا يفسر ما قلته آنفاً من ارتباط وامتزاج العلم النفسي عند المسلمين زمناً طويلاً بعلوم الشريعة حتى أصبح الكلام فيها سبباً للنقد من أئمة السلف **إذا كان على خلاف السّنّة ، وهذا أيضاً يوجب الثقة في النتائج التي تترتب على المنهج الرباني .**

فإنّ ما قدمته لك جعل من أركان المعتقد عند السلّف أنّه لا يجوز تطلّب تزكية النفوس وعلاجها وشفائها من خارج المنهج الإسلامي ، وزاد من تميّز هذا المنهج ما وجد في الساحة الإسلاميّة من نزوع بعض الأفراد أو الفرق إلى استيراد بعض الطرق

---

(١) انظر كتاب : ((في الطب النفسي وعلم النفس المرضي)) للدكتور عبدالفتاح دويدار ط ١٩٩٤م ص١٥ .

والأساليب في تهذيب النفس من خارج سياج الشريعة ، وكان إنكار ونقد أئمة السلف لهم دقيقاً جداً .

بل كان هذا منذ وقت مبكر في عهد النّبيّ ﷺ ، حين أراد بعض المتزكّين تزكية أنفسهم فامتنع بعضهم عن النوم وبعضهم عن الطعام والشراب وبعضهم عن النكاح فماذا كان منه ﷺ ؟ لقد انتقدهم وبين لهم أنّ هذا ليس من سنّته [1].

وبعد ذلك ظهر من اعتاد لبس الصوف ومن حرم على نفسه لذائذ الطعام ومن اعتزل الناس ، وكلّ هذا كان موضع نقدٍ من أئمة السلف كما قلت ، وأنت ترى أنّ سبب لجوء هؤلاء الناس إلى تلك الأساليب هو طلبهم تزكية أنفسهم .

لكن كلّ هذا كان بمعزل عن السنة النبوية ، ولهذا عدّهم السلف من الضّلاّل [2]، وكان بعض هؤلاء قد أخذ بعض علوم اليونان والبراهمة وغيرهم وحاول تطبيقها والاستفادة منها وهذا ما جعلهم محل انتقاد من أئمّة السلف .

والذي أريد الوصول إليه أنّ الكتاب والسنة فيها كل ما يُحتاج إليه في تحقيق التوازن والاستقرار في النّفس الإنسانية ، إنّ المقصود بالإيمان في نصوص السلف ليس ذلك الوجدان الّذي ينتج عنه إنسان يصلي ويصوم ، بل هو الإيمان الّذي يحقق للإنسان علاقة عبودية مع الله تعالى ، وعلاقة إنسانية تكاملية مع المحيط الّذي يعيش فيه المؤمن ،

---

(١) أخرجه البخاري ح٥٠٦٣ .

(٢) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي مثلاً : تلبيسه على الصوفية والعباد .

تأمّل معي هذا الحديث : عن أبي هريرة قال : قال رجل : يا رسول الله إن فلانة يذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال : ((**هي في النار**)) قال : يا رسول الله فإن فلانة يذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها وإنها تصدق بالأثوار من الأقط ولا تؤذي جيرانها بلسانها قال : ((**هي في الجنة**))[1]، إنّ هذه المرأة الّتي تتصدق وتصلي وتكثر من ذلك لكنّها تؤذي جيرانها : صاحبة نفس غير مستقرة بلاشك ، إنّ كثرة عبادتها لم تكن معبرة عن تحقيقها الإيمان المطلوب ، بل كان أذاها لجيرانها دليلاً على عدم تحقيقها الإيمان المطلوب فكان ذلك سبباً في دخولها النار .

إنّ الخلق الحسن والتعامل الحسن لايصدر غالباً إلاّ من النّفس السوية أو الّتي قاربته وتحقق لها مقدار كبير من الاستقرار والتوازن ، وهذا بلاشك يبعدها عن غالب أدواء النفس .

أعني أنّ الإيمان بالله حقيقة كما جاء عنه ﷺ وبصورته الأشمل ينتج عنه نفس مؤمنة متوازنة مستقرة سليمة من أمراض النفس الّتي تظهر على الإنسان في صور عديدة : منها سوء الخلق ، ومنها الحسد ، ومنها الكيد للآخرين ، ومنها الاكتئاب ، ومنها الهستيريا ، ومنها الخوف ، ومنها القلق ، ومنها الفصام ، بل وحتى الجنون ، ويتفاوت خطورة العرض بحسب عوامل عدة أهمّها قوة تسلّط الداء على النفس ومقدار اتصال الإنسان بالله تعالى من خلال إيمانه وعلمه بالله ، ومن خلال ذكره واستشعار معيته .

---

(١) مسند الإمام أحمد ح٩٣٨٣ .

وأحب هنا أن ألخص حقيقة الصحة النفسيّة في الإسلام[1]:

أوّلاً : أصل بعثة الرسل وخاتمهم محمد ﷺ هو صلاح النفس ، فكلّ التشريعات الإسلاميّة تصب في هذا الجانب سواء كان في جانب العبادات المحضة أو في جانب المعاملات ، وهي جزء لا يتجزّأ من العبادة بمفهومها الأشمل .

ثانياً : الله سبحانه وتعالى فطر الإنسان ـ وهو المخلوق الأكرم في أصله على الله ـ على أمور منها : بل أهمّها العبوديّة ، فإنّ العبوديّة فطرة جاء الرّسل فقط بإحيائها وتوجيهها

---

(١) إن الكلام عن الطب النفسي لم يكن له مجال في كتاب عن البرمجة ، إلا أني آثرت الكلام فيها لأن البعض استدل علي لجواز البرمجة باتفاق العلماء على جواز الطب النفسي ، مع أن الطب النفسي فيه ما فيه من المخالفات الشرعية أيضاً فقلت لهؤلاء : بعد أن نبهت إلى أنه لا وجود لدعوى اتفاق العلماء على جواز الطب النفسي فيما أعلم ، إن الطب النفسي وعلم النفس وشيوعهما في مجتمعاتنا دليل على صحة النظرة للبرمجة على أنها منهج مزاحم للشرع الحنيف ، فقياس البرمجة على الطب النفسي قياس صحيح وكلاهما صورتان واقعيتان على أثر إعراض الأمة عن مصادر الشفاء الحقيقي لأدواء الفرد والمجتمع ، ولهذا ذكرت النبذة أعلاه للبيان فكلا الأمران عندي سيان ولو شاء الله تعالى لي التفرغ لكتبت فيه بحثاً مطولاً ولكن لعل فيما ذكرته أعلاه إشارات تنبه على المقصود والله أعلم .

وإزاحة الحجب عنها ، وهذا تفسير قوله ﷺ : ((كل مولود يولد على الفطرة))[1] وفي حديث آخر : ((**ما من مولودٍ يُولد إلاّ على فطرة الإسلام**))[2]، وقد قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠] وعليه فإنّ أهمّ أسباب الصحة النفسية هو موافقة الفطرة ، وأيّ انحراف عن مقتضى الفطرة فهو سبب لمرض النفس يزيد وينقص بحسب ابتعاد الشخص عن الفطرة .

وهنا أمر يلزم أن أنبه إليه : هو أنّنا نلاحظ أنّ بعض الدراسات الغربيّة أفادت بعلاج أو تسريع العلاج في كثير من الأمراض العصبية أو النفسية وحتى الحسية البدنية من خلال الالتزام بالدين ، والدين عندهم هو الدين المسيحي أو غيره دون فرق ، فهذا يشكل على البعض لأنّه يظن أنّ ذلك دليل صحة دينهم وأنهم على حق .

وهذا خطأ : لأني قدمت لك أنّ موافقة الفطرة من أسباب الصحة النفسيّة ، وإن من أعظم الفطرة أنّ الإنسان مفطور على العبوديّة ، أي أن يكون عبداً مأموراً ، لأنّ موافقة الفطرة سببٌ كوني لا شرعي ، فهو مثل فطرة شهوة الأكل والشرب ، فمن خالف

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب إذا أسلم الصّبيّ ثمّ مات هل يُصلّى عليه ، ومسلم في القدر باب معنى كلّ مولود يُولد على الفطرة وغيرهم بألفاظ متقاربة في بعضها العطف بالواو وفي بعضها بـ أو .

(٢) الإحسان ١ / ٣٤١ ـ ٣٤٢ وحديث الأسود أخرجه أيضاً أحمد ٣ / ٤٣٥ ، وعبدالرّزّاق في المصنّف ح٢٠٠٩٠ ، والحاكم ٢ / ١٢٣ ، وغيرهم وصحّحه الحاكم ووافقه الذّهبي ، وله شواهد كثيرة عن أبي هريرة وغيره .

الفطرة في الأكل والشرب أصابه المرض ومن وافقها كان سليماً ، فالإنسان المتدين بدين يأمره وينهاه ولو كان باطلاً موافق للفطرة العامة الّتي تضمن له صحة نفسيّة ترفعه عن حضيض اللادينيين ، لكنها صحة نفسية ناقصة مع ذلك ، لأنّ هناك مجموعة من الأمور الفطريّة الهامة الّتي لا يقوم بها إلاّ المؤمنون بالله وبمحمدّ ﷺ ، فهذه تكون مدخلاً على من لا يؤمن بالرسالة المحمديّة .

وإنّما وجد الكفار أثر تدينهم بدينٍ خاطئ لموافقتهم الفطرة العامة من جهة ، ومن جهة أخرى لا يغيب عنا سبب إضلال الشياطين لهم بتزيين ما هم عليه من الضلال ، فإن الشيطان يغوي ابن آدم بالكفر مطلقاً فإذا رآه عائداً إلى التدين أضله عن الدين الصحيح ، ولذلك فإني أجزم أنّ ما يجده هؤلاء الكفار من اثر تدينهم الباطل لا يدوم .

أعود لأقول إنّ من الفطرة مثلاً : أمور ذكرها النبي ﷺ حين قال : ((**الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب**))[1] .

وجاء أكثر من ذلك فعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ : ((**عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص الماء)) قال راوي الحديث : ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة))**[2] .

---

(١) البخاري ح٥٨٨٩ .

(٢) أخرجه مسلم ح٢٦١ .

ومنها أيضاً السجود والصلاة كما جاء أنّ حذيفة رضي الله عنه رأى رجلا لا يتم الركوع والسجود قال: ((ما صليت ولو مت مت على غير الفطرة التي فطر الله محمدا ﷺ عليها))[1] .

هذه مجرد أمثلة ، وإلاّ فالدين كلّه برمّته فطرة والله تعالى يقول : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠] فقال : فطر الناس عليها ، ولم يقل : فطر المسلمين ، ولهذا نهى في مكان آخر أن يعبث أحد بالفطرة حين قال على لسان إبليس : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النساء:١١٩] .

وإذا أردنا أن نشبه أثر الفطرة على النفس الإنسانية : فهي كمركبة ((سيارة)) يرى صاحبها أمامه طريقين : طريق معبد سهل سالك لا عوج فيه ولابروز ، وطريق آخر صخري أو ترابي غير معبد مليء بالحجارة والنتوءات ، فإذا سار بها صاحبها في الأوّل سارت باستقامة واتزان لا يكاد يهتز الماء في الكوب على منضدة السائق ، وإذا سار بها في الثاني اهتزّت واضطربت واضطرب من فيها حتى لا يكاد أحدهم يقرّ في مكانة لحظة.

وهكذا من خالف الفطرة في أيّ أمر من أموره فهو يعرّض نفسه للاضطراب والاهتزاز ومن وافق الفطرة بعكسه تماماً .

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب إذا لم يتمّ الرّكوع ح٧٩١ وح٨٠٨ .

وعلينا في نظرتنا للصحة النفسيّة أن نلاحظ هذا جيداً ، ولنعلم أنّ شقاء البشريّة اليوم مع كل أسباب التمدّن والحضارة الماديّة هو أضعاف شقاء البشر قبل مجيء النّبيّ ﷺ ، لأنّ ميل الناس عن الفطرة في ذلك الزمان أقلّ من هذه الأيّام ، بل كثير من أنواع الانحراف عن الفطر المعروفة اليوم لم يكن يعرفها أهل الجاهليّة ، مثل عمل قوم لوط لم يكن معروفاً في العهد الأول ، ومثل التلاعب في الخلقة كما يُرى اليوم في البشر .

ومن هنا أيضاً يجب أن نسلّط هذا الجانب لتفسير كثير من أنواع المرض النفسي الّذي يهجم على الإنسان ، فإنها غالباً بسبب الانحراف عن الفطرة كلياً أو جزئياً .

ثالثاً : الشفاء هو عدم وجود المرض ، والله سبحانه وتعالى سمى كتابه ودينه شفاء : قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧] وقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢] وقال : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ ﴾ [فصلت:٤٤] وهذه النصوص تضيء لنا جانباً مهماً من جوانب الصحة النفسيّة في الإسلام ، فالقرآن والدين شفاء لما في الصدور ، شفاء أي أنّ تعاليم الدين الحنيف الموافقة للفطرة الربانية للبشر سبب لتنعم الإنسان بالنفس المطمئنّة السليمة المستقرة ، ونلاحظ في النصوص التي سقناها أنّه بعد أن يذكر أن القرآن والدين شفاء في ذاته يخصّ المؤمنين بخاصة معه : فهو للمؤمنين ليس شفاء فقط بل هو هدى ورحمة .

وهذا يؤكد المعنى السابق الّذي ذكرته من أنّ موافقة الفطرة الربانية عموماً سببٌ لحصول نوع من الاستقرار النفسي لأي شخص ولو لم يكن مسلماً ، لكنّه كما قلت استقرار محدود ، أمّا للمؤمنين فهو شفاء وهدى ورحمة ، فهو استقرار نفسي وهداية للصراط القويم ورحمة من الله تعالى بهم .

وهذا يبين أنّ غير المؤمنين قد يستفيد من القرآن ومن تعاليم الإسلام ولو لم يكن مؤمناً بالنبي ﷺ ويحصل له به استقرار نفسي بحسبه .

مثلاً : إنّك ترى حولك ما يبذله العالم أجمع في سبيل علاج الإيدز ، وكم يموت من الناس بسببه ، وأشدّ من ذلك كم يعاني الإنسان المنفلت في علاقته الجنسية من تأزّم وخوف واضطراب نفسي بسبب خوفه من إصابته بالإيدز .

أمّا المؤمن فإنّه بعيد عن كل هذا إذا التزم بالتعاليم الإسلاميّة ، ويشاركه في هذا من ابتعد عن الزنا حتى من الكفار الّذين لا يؤمنون بالنبي ﷺ .

استشعار معيّة الله تعالى لها دور كبير في الحصول على استقرار نفسي عظيم ، أمّا المؤمن المسلم فإنّه يحصل له بها اطمئنان نفسي وتوفيق للهدى والصلاح .

وأمّا الكافر بمحمّد ﷺ فإنّه يستفيد كذلك من استشعار معيّة الله : إنّها الفطرة ، وقد أورد ((ديل كارنيجي)) مؤلف كتاب ((دع القلق وابدأ الحياة)) قصصاً عن أشخاص أصابهم القلق والهم بسبب عدم استشعارهم معية الله ، وكيف أنهم أرادوا الانتحار ثم أنقذتهم عناية الله باستشعارهم معية الله ، وأورد أقوال بعضهم ، وذكر

هناك أيضاً أثر الدين في استقرار النفس وطمأنينتها ، وهو ما قدمته لك من أن سبب ذلك موافقة الفطرة الإلهية في شقها الكوني العام[1].

إذا عرفنا هذا عرفنا ما وقع من الخلط واللبس في فهم حقيقة العلاج والشفاء في الإسلام للعرَض النفسي أو المرض النفسي ، فإن ما انتشر في الأيام الأخيرة على يد كثير من الجهلة ممن يُنسبون للدين مما يُسمى الرقية الشرعية أدى إلى غياب هذا الأصل الشرعي الذي ذكرته ، فأصبح كثير من الناس إذا أصابه المرض أو العرض النفسي يُفسر ما أصابه بالعين والسحر أو غير ذلك من الأسباب الخارجية : فيلجأ الطيبون منهم إلى هؤلاء المتمشيخة في صوامع أنشؤوها لهذا الغرض تُسمى : دار الرقية الشرعية[2]، فيقرأ عليه الراقي ويعطيه العسل والحبة السوداء ! يا الله كم هو مؤلم أن يصل الحال بالأمة إلى هذا الحد .

الكتاب الذي أنزله الله وجعله معجزة خالدة وتحدى به البشر وأودعه كل شيء : أصبح مهمته وغاية الانتقاع به أن يقرأ وينفث به بعض الصالحين من الجهلة ممن يحسن كيف يلبس العباءة وينمق العبارة .

---

(١) لكن العجيب أنه هو نفسه مات منتحراً كاتباً بذلك شهادة تاريخية أن دين محمد ﷺ هو الشفاء الحقيقي وكل شيء غيره زيف مثل السراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء .

(٢) وهي بدعة منكرة مخالفة لهدي السلف الصالح راجت على أيدي هؤلاء الجهلة بسبب الطمع والجشع في كسب المال فالله المستعان ، أما الرقية في ذاتها فهي مشروعة حسنة بشروطها الشرعية .

لهذا نقول : إن القرآن شفاء لما في الصدور من أمراض الجهل والشك والضيق والهم والاكتئاب بما أنزله الله فيه من العبر والحكم والمعاني والأحكام ، لهذا جُعل مفتاح الانتفاع به تدبره والعمل به .

وما انحرفت الأمة وذهبت تبحث عن الطب النفسي ونظريات علم النفس إلا بعد أن ضلت عن هذا الأصل .

رابعاً : يقرر كثير من الباحثين في علم النفس أن النفس البشرية ليست مجالاً متناسقاً ، بل هي أشبه بأرض معركة تسود فيها الصراعات بين الدوافع المختلفة والحاجات المتنوعة مع القيم والاتجاهات السائدة في المجتمع ، والنتيجة الحتمية ، وبذلك تتضارب الانفعالات ويستمر الاحتكاك ، غير الإنسان لا يتحمل هذا الاحتكاك بين دوافعه وانفعالاته لمدة طويلة ،ولهذا لابد أن يتم نوع من التوفيق بينها حتى لو كان التوفيق مرضيّاً ، وهو ما يُعرف بأساليب التكيف مع الصراع ، وما العديد من السلوكات المَرَضيّة إلا ألواناً من التوافقات للمواقف الصراعية حلاً للصراع الانفعالي [1].

---

(١) بتصرف من ((في الطب النفسي)) لدويدار ص ٤٢ وانظر ص ٤٧ وبعدها ، حيث يتبين أن كثيراً من الأمراض العصابية النفسية بل وحتى العقلية قد يكون الصراع أحد أسبابها الرئيسية وأستطيع أن أعبر عنها بـ : عدم فهم حقيقة الصراع والتنازع في النفس الإنسانية ، وإن فقدان هذه المعايير من الثقافة العامة للشخص يساهم بدور كبير في إصابته بالقلق والإحباط والاكتئاب وغير ذلك نسأل الله العافية .

وإذا كان كذلك فإنّ التديّن بحق وحقيقة يكون الحلّ والشفاء لكل هذه الصراعات ، فالتدين أصلاً يفسر الصراع ، فإن من أسباب حدة العلة النفسية التي تنتج عن الصراع هو عدم فهم حقيقة التضارب في الدوافع والقيم وسببها ، ثم لماذا ؟ ما قيمة السلوك الاجتماعي الذي أكبت فيه رغباتي حتى يتحول إلى صراع نفسي ، ومن أعطى للقيم السرية أو الاجتماعية الحق لتكون طرفاً في الصراع أصلاً ما دمت حراً حرية يكفلها لي نفس المجتمع والقانون كذلك ؟.

ثم ما هي نتيجة الانصياع للبيئة مثلاً ؟ أن يُقال عني إني مهذب ؟ أو مواطن صالح مستقيم ؟ ماقيمة السمعة في بيئات لا قيم فيها ولا مبادىء ، فالشاذ يُعامل تماماً مثل الاجتماعي ، فلماذا أعاني الكبت ؟

وللحقيقة فكلها أسئلة مشروعة لمن لم يتعرف على حقيقة الدين الصحيح .

أمّا التدين فهو أولاً : يجيب عن إشكالية الصراع : فهي ابتلاء رباني وامتحان من الله تعالى ليختبر العبد .

حسناً وما القيمة لهذا الابتلاء حتى لا أصاب بتعاسة من جراء معاناة الصراع ؟

الجواب : أن هذه الأرض التي نعيشها ليست دار بقاء وإنما هي قاعة امتحان كبرى نتحول بعدها إلى فريقين : فريق ينجح ويفوز فوزاً عظيماً ، وفريق يفشل ويخسر خسارة كبرى .

والدين يعمق قيمة الآخرة لهذا السبب ، فتجد آيات القرآن مملوءة بذكر الآخرة والجنة والنار ، ولهذا جُعل الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان التي يمكن أن نسميها بحق وحقيقة : أركان السلام النفسي والصحة النفسية ، أو أركان السعادة .

وبقدر إيمان العبد بقضية الابتلاء وما يترتب عليها يكون أكثر اطمئناناً بل يتحول شعوره بالصراع متعة في ذاته وليس شقاء كما الحال في من لا دين له أو يعيش على فتات من أديان محرفة ضاعت فيها القيمة الذاتية .

خامساً : ليتبين ما قلته آنفاً أحب أن أضع بين يدي أخي القارئ نظرة مختصرة تتبين بها حقيقة الشفاء القرآني لأمراض النفوس : وسأضرب مثالاً بما هو أشهر الأمراض النفسية المنتشرة هذه الأيام وهو القلق بشتى درجاته منذ أن يكون عرضاً عابراً وحتى يصبح مرضاً قاتلاً .

القلق كما يقول النفسيون هو حالة توتر شامل ومستمر نتيجة توقع تهديد خطر فعلي أو رمزي قد يحدث ويصاحبها خوف غامض وأعراض نفسية جسمية.

والقلق في الحقيقة كما يكون عرضاً للاعتلالات النفسية فإنه يكون في كثير من الأحيان علّة ومرضاً أساسياً .

وبطبيعة الحال فإن العلاج النفسي المعاصر يلجأ إلى البحث عن أسباب نشوء القلق عند المصاب فإن كان عارفاً له كان العلاج أسهل وإلا لجؤوا إلى أساليب أخرى من أشهرها التنويم الإيحائي أو المغناطيسي لمعرفة واكتشاف الخبرة السابقة أو التجربة التي

كانت سبباً في نشوء القلق والتي استقرت في أعماق النفس فيما يُسمى بالعقل الباطن أو اللاشعور أو اللاوعي .

لكن تعال ننظر من خلال النظرة الشرعية : لنعرف أن القلق هو الخوف من متوقع ، وقد يكون شعور المصاب حقيقياً أو وهمياً .

أما الحقيقي فإنه عادة ما يكون ناشئاً من علمه بارتكابه ما يوجب أو ينتج خطراً عليه مستقبلاً ، فهو في فترة التوقع يُصاب بحالة من القلق تزيد وتقل بحسب قوة الشعور وخطورة المتوقع .

وإذا كان كذلك فإن ما فعله المصاب مما يظن أنه سيكون سبباً لحدوث مكروه يجب أن يُصنف إلى نوعين : صواب وخطأ .

فإذا كان ما فعله صواباً فإن التعامل الشرعي يتعامل مع هذا النوع ببث معاني التعويض الإلهي التي ادخرها لمن فعل صواباً ويتحمل نتيجة ما فعل : فهناك مرتبة الشهادة وهناك الأجر في الآخرة والجنة وغير ذلك من المعاني التي تجعل المصاب الحقيقي أو المفترض لا يبالي كثيراً ويخف على نفسه وطأة التوقع باعتباره واقعاً فماذا يهمه إذا كان مقابل ما سيقع جنة عرضها السماوات والأرض.

وأنت ترى أن هذا التعامل يحتاج إلى أرضية إيمانية أصلاً ولهذا نقول دائماً : إن الإيمان أساس الصحة النفسية .

وانظر إلى المجاهد في سبيل الله : إنه لا يعيش حالة قلق البتة مع أنه يتوقع حدوث مكروه ، لماذا ؟

الجواب في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة:٥١،٥٢]، فالمجاهد ينتظر إحدى نتيجتين : إما الانتصار وإما الشهادة وكلاهما مرغوب محبوب مطلوب عنده فمن أين يأتيه القلق؟.

وأما إن كان ما ارتكبه خطأً أو كان لا يد له فيه أصلاً فهنا يأتي دور الإيمان بالقضاء والقدر في إزالة القلق والتوتر ، فإن التربية الإيمانية على الإيمان بالقضاء والقدر إما أنها تلغي وتصد أثر القلق وإما أن تخففه جداً[1].

ولهذا كان الإيمان بالقضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة وكان من سيرة النبي ﷺ تربية أصحابه عليه خصوصاً الناشئة كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال : ((يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله

---

(١) انظر : ((في الطب النفسي)) لدويدار ص٢٣ ، فكثير من العلل النفسية ومنها القلق والاكتئاب سببه فقدان هذا الركن وعمقه في النفس ، وذكر هناك أسباب المرض النفسي ومنها شذوذ التكوين أو التشويه في الخلقة بسبب حادث أو غير ذلك من الأسباب التي لا حلّ لها سوى تعميق مبدأ الإيمان بقدر الله والرضا عنه تعالى .

يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، **واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك** ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف)) [1]، فبالله عليك تأمّل معي هذه المعاني التي علمها النبي ﷺ غلاماً صغيراً ، أي نفس هذه التّي يصيبها القلق إذا تربّت على هذه الأصول الإيمانية ؟!

فإذا كان المؤمن يعلم أن ما هو خائفٌ منه سيصيبه لا محالة إن كان كتبه الله عليه أو لن يصيبه أبداً إن لم يكتبه الله عليه فلا مبرر حينئذ للقلق ولا مكان له .

إن القلق أساسه التوقع والانتظار فقد يكون أثر القلق على صاحبه بما يحدثه من اضطراب وتنازع أشد من أثر المُتوَقَّع نفسه ، ولهذا تجد بعضهم يلجأ إلى الخروج من حالة القلق بتحقيق المتوقع نفسه فينتحر بعضهم : وبعض الهاربين من العدالة يسلم نفسه خروجاً من حالة القلق التي يعيشها بسبب توقعه القبض عليه فيرى أن تسليمه نفسه أقل خطراً وأثراً عليه من حالة القلق والانتظار التي يعيشها .

والإسلام جاء بحلّ الأمر من أساسه .

أما إذا كان سبب القلق وهمياً أو غير معروف عند المصاب أو كان قلقاً مزمناً مما يطلق عليه عصاب القلق فالأمر يصبح أشد وطأة ، وعلى الناظر في حالة مثل هذه أن لا ينسى قاعدة شرعية مهمّة أشرت لها فيما سبق : إن كثيراً من الأمراض ومنها القلق قد

---

(١) أخرجه الترمذي ح٢٥١٦ وقال : حسن صحيح .

تكون نتيجة لانحراف النفس عن صراط الله تعالى ، بمعنى أن القلق قد يكون عقوبة على هذا الانحراف وقد يكون سبباً كونياً لهذا الانحراف .

فإن التقصير في الواجبات أو ارتكاب المحرمات ((نقصد من غير إصرار)) قد يكون سبباً في حدوث القلق كعقوبة على هذه المعصية ، ولهذا فإن أول علاج للقلق الانغماس في الاستغفار مع التوبة العامة .

ولا أقصد ما يفعله كثير من الناس من استعمال الاستغفار كوصفة طبية ، وإنما أن يكون الاستغفار هو تعبير عن إقلاع المصاب عن معاصيه وتضرع إلى الله أن يعفو عنه والعزم على عدم العودة لما فعل : هذا هو المقصود بكون الاستغفار دواء لأدواء النفوس عموماً .

ولهذا كان دأب السلف أن ينسبوا أياً مما يصيبهم لأنفسهم وتقصيرهم ومن ثم يسارعون إلى العلاج بالتوبة والاستغفار ، وأرجو أن لا يستبعد شخص مثل هذا الكلام بل إن بعض السلف يقول : إني لأجد أثر معصيتي على دابتي وخلق امرأتي : فإذا كان سوء طباع المرأة أثر للمعصية فكيف بالنفس ذاتها وتمردها على صاحبها ؟!.

أما المعصية والإصرار عليها وكذلك مخالفة الفطرة التي سبق وأن أشرنا إليها فإنها سبب رئيس في عصاب القلق بلا شك عندي ، فإنها داخلة في وعيد الله تعالى المسطور في القرآن : ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦] ، فالإعراض عن ذكر الله والمقصود به

هنا دينه الذي أنزله على نبيه ﷺ صاحبه موعود بمعيشة ضنك[1]، ومن صور هذه المعيشة الضنك : القلق ، الخوف من المجهول ، الاكتئاب المزمن ، ولهذا يلجأ الكثيرون إلى المخدر والخمر الحسي والمعنوي ، أما الحسي فمعروف وأما المعنوي فنقصد به الانهماك أكثر وأكثر في المعصية واللهو لنسيان الحالة التي يعيشها المصاب والنتيجة أن المرض يزداد بالفئتين حتى يصل إلى طريق نهايته هاوية ، فإما الرجوع إلى الله وترك حياة الإعراض ، وإما الاستمرار وتقحم الهاوية حيث تكون النهاية مأساوية بحق وحقيقة .

بقي أن نقول إن هذه الأعراض القلقية قد تصيب الطفل الصغير وقد تصيب أهل الدين والصلاح : فلا يُعترض بذلك على ما ذكرناه من التفسير لأن الصالحين لا يخلو الواحد منهم من تقصير بحسبه ، ولهذا يقول العامة : غلطة الشاطر بعشرة ، وقديماً قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين ، والمرآة الصافية يخدشها أدنى أثر ، ومن أفضل من النبي ﷺ ؟ وقد صح عنه أنه قال : ((**إنّه ليُغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله كلّ يومٍ مئة مرّة**))[2].

---

(١) وليت الأخ القارئ يرجع إلى تعريف كثير من الأمراض النفسية فسيجد أبلغ وأدق وصف لها أنها حية الضنك ، والضيق .

(٢) أخرجه مسلم ح ٢٧٠٢ ،ومعناه أنه يصيبه بسبب انشغاله بأمور الدولة والدعوة بغض النسيان لذكر الله فيستغفر منه مئة مرة مع أنه في حق غيره لا إثم فيه ولكن علو مقامه أوجب عليه ذلك.

ولهذا فإن الصالحين بما يقع منهم من نسيان وفتور ومعصية يُعاقبون وتجري عليهم سنة الله فيبتليهم الله بالقلق وغيره تمحيصاً لهم أو تعجيل عقوبة وتكفير .

أما الأطفال الذين يصابون بالقلق فمن المهم أن نذكر بما أجّلناه إلى ههنا من أسباب القلق وهي استيلاء الشيطان على ابن آدم ، فالشيطان يمس ابن آدم سواء كان صغيراً أم كبيراً ، أما الكبير فمعلوم وأما الصغير فمن حسده وخبثه فربما يكيد المؤمن بابنه وطفله ابتلاء من الله للوالدين .

ولك أن تتأمل كيده وحسده لابن آدم في قوله ﷺ : ((**مامن مولود يولد إلا نخسه الشيطان إلا عيسى ابن مريم**))[1].

فالطفل الصغير مُعرّضٌ مثله مثل الكبير لشتى الاعتلالات البدنية والنفسية ، ولهذا حكى الله تعالى أن من ضمن كيد الشيطان لابن آدم تسليط الحزن عليه كما قال : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١٠] .

فإذا كان الطفل لا يميز فدواؤه وشفاؤه في استغفار أبويه فإنّه من ضمن ابتلاء الله لهما ، وإن الله تعالى يرفع بالاستغفار والتوبة الصحيحة كثيراً من البلاء ، هذا إذا افترضنا سلامة الحياة الأسرية في ظاهرها من أسباب العلة النفسية وإلا فكثيرٌ من البيوت فيها الصور المجسمة وغيرها وفيها أفلام الكرتون الغربية[2] التي تمنع دخول الملائكة وتفسح

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢٣٦٦ .

(٢) ويعلم الجميع ما فيها من مستبشع الصور والقصص والأفكار والخيال المفرط .

المجال لسكنى الشياطين ، وفيها الموسيقى والمعازف وهي صوت الشيطان الذي قال الله عنه : ﴿ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء: ٦٤] ، فهذا البيت مهيأ غاية التهيؤ لتسلط الشياطين على الطفل الذي يعيش فيه وما أدراك كيف يتلاعب الشيطان بالنفس البشرية إذا هي ضلت أسباب الهداية والسلامة منه .

فأول أسباب العلاج في مثل هذه الحالة إعادة ترتيب وتنظيم الحياة الأسرية بما يتوافق مع المنهج الإسلامي .

أما الطفل الذي يميز فإن الواجب على الوالدين البدء مبكراً بتأسيس وتعميق أركان الإيمان في قلبه ، تأسيساً يجعله ذا نفس مقاومة لأسباب القلق ، وما أجمل أن تسمع من طفل صغير تنهيدة يعقبها استغفار أو نطق بشهادة التوحيد : أسألك بالله هل مر عليك مثل هذا ؟ كم حالة يا ترى ؟.

وهل عودنا أبناءنا على الرضا عن الله وقدر الله ؟ إذا سقط الطفل فعلمه أن يحمد الله وأنه مأجور ، وإذا تعرض الطفل لابتلاء فبين له أنه أفضل من غيره الذين ابتلاهم الله بما هو أشدّ وأنكى ، إذا شكى الطفل من شيء دنيوي علمه أن الدنيا لا تستحق البكاء عليها وأن الآخرة هي التي يجب أن يتحسر المؤمن عليها ، وابدأ منذ نعومة أظفار الطفل أن تعلمه وتضخم لديه هم الآخرة وأن تقلل عنده هم الدنيا .

إن هذا الطفل الذي تأسست في نفسه هذه المعاني لا يمكن أن تعصف به رياح القلق وأن تحتوشه مشاعر الاكتئاب إلا لماماً مما لا يسلم منه بشر .

سادساً : في خضم هذا لا ننسى التذكير بأمرين مهمين : **أولهما** : أنّ استخدام بعض الأدوية المهدئة أو المنومة لتهيئة المريض لتلقي العلاج الشرعي والنفسي أمر لا يتعارض مع منهج الإسلام في علاج النفس البشرية ، فهذا لا نتكلم عنه وليس هو محل اعتراض في الحقيقة .

الثاني : أنّه من المسلّم أن بعض الأعراض النفسية قد يكون سببها زيادة أونقص في إفراز بعض الهرمونات التي تتصاحب مع العرض النفسي كالخوف مثلاً أو البكاء ، فمثل هذه الحالات لا يمتنع علاجها بالعلاج الحسي الكيميائي ، خصوصاً مع خفاء الأسباب الملموسة للعرض .

وكما ترى فإن لبّ وأسّ العلاج النفسي البدء ببحث السبب ، فالسبب المادي لا بأس بعلاجه بطريقه مادية ، أما السبب غير المادي أو المجهول فقد عرفت أنه مهما شرّق أو غرّب فلن يخرج عما جاءت به الشريعة الغراء في نصوص الكتاب والسنة .

وما قلته أردت به بيان شيء من أسس التعامل الشرعي في علاج أدواء النفوس.

سابعاً : لقد عرف الجميع الحقيقة التي ذكرتها ، ولهذا لجأ كثير من علماء النفس وأخصائييها وأطبائها إلى النصوص الشرعية وتراث العلماء المسلمين للاستفادة منها في مجال الطب النفسي وأمراض النفس ، ولكنهم وقعوا في أخطاء منها :

أنّ البعض منهم جعلوا العلم الغربي أصلاً وأخذوا من التراث الإسلامي ما يرون أن العلم الغربي لا يفي به .

أنّ بعضهم حاول تطويع بعض النصوص الشرعية والحقائق الشرعية وكلام بعض العلماء لتوافق العلم الغربي وكأنه قرآن منزل .

أن عامة هؤلاء يفتقدون العلم الشرعي المؤسس ، ولا يميزون بين الكتب المشهود لأصحابها بالعلم والعقيدة الصحيحة وحسن وسلامة المنهج ، وبين غيرها من مؤلفات بعض العلماء المخالفين لمنهج السلف الصالح ممن تأثر بمناهج دخيلة .

فالغزّالي أبو حامد المشهور بـ ((حجة الإسلام)) مثلاً يُعتبر أصلاً يؤخذ منه نظريات علم النفس الإسلامي ، مع أن الغزالي في كثير من كتبه تبنى أقوالاً ونظريات من مناهج غريبة عن الإسلام كالفلسفة الإشراقية وبعض مباحث الفلسفة وغيرها ، وتنقل فيها وبينها مرحلة مرحلة حتى استقر على السنة آخر حياته ، لكن كتبه ظلّ فيها كثير من الخلط والأفكار البعيدة كل البعد عن منهج النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم ، فيأتي الواحد من هؤلاء تأثراً بسيرة الغزالي وسمعته فينقل منه نظريات ينسبها للإسلام ويناطح بها علماء النفس الغربيين على أنها من الطب الإسلامي والحقيقة أن الإسلام لا يعترف بها .

هذا في الغزّالي وهو من هو ، فكيف بالفلاسفة مثل ابن سينا والفارابي وكتب إخوان الصفا الباطنية وقد اطلعت على بعض ذلك مما يُنسب إلى الإسلام من كتب الباطنية فالله المستعان .

ومن هنا رأيت من الواجب التنبيه لهذا خصوصاً من قبل الطيبين من أخصائيي وعلماء النفس الذين يشكر الجميع لهم توجههم وحسن نواياهم لكن ما هكذا يا سعد تورد الإبل .

أخيراً : أن بعضهم من المشهورين بالصلاح وسلامة المنهج حتى في دراسة علم النفس لكنهم تكلفوا ما لا طاقة لهم به ، وأصبحوا يفتون في القضايا النفسية حتى من جهة الحلال والحرام ، فإذا قال أئمة العلم إن الطريقة الفلانية لا يجوز العلاج بها لكذا وكذا سارع هؤلاء بالنغمة المشهورة : **العلماء لم يتضح لهم حقيقة الأمر** ، فيردون عليهم أحكامهم ، ومن المهم تنبيه هؤلاء المحبين أن علمكم بحقيقة الأمر ليس كافياً للحكم بحله أو حرمته فقد يكون الأمر حتى لو كان خلاف ما شرحه العلماء حراماً ، ومثاله يأتي في الكلام عن التنويم المغناطيسي إن شاء الله تعالى .

ثامناً : إن من أكبر بل لب وأساس الصحة النفسية هو فهم حقيقة الوجود البشري عل وجه الأرض وأنه الابتلاء الرباني للبشر ، والإيمان بحقائق الكتاب والسنة في هذا الباب مع الالتزام بالضوابط الشرعية في مجالات التفكير وإعمال العقل .

وإذا علم الإنسان أن الهم الأول والأكبر في حياة المؤمنين هو العمل للآخرة لم يبق في النفس هم البتة ، والهم هو شرارة العلة النفسية .

يقول ابن حزم رحمه الله : ((إذا تعقبت الأمور كلها فسدت عليك، وانتهيت في آخر فكرتك باضمحلال جميع أحوال الدنيا، إلى أن الحقيقة إنما هي العمل للآخرة فقط، لأن كل أمل ظفرت به فعقباه حزن، إما بذهابه عنك، وإما بذهابك عنه، ولا بد من أحد

هذين الشيئين، إلا العمل لله عز وجل فعقباه على كل حال سرور في عاجل وآجل، أما العاجل فقلة الهم بما يهتم به الناس، وإنك به معظم من الصديق والعدو، وأما في الآجل فالجنة))[1].

وقال أيضاً : ((تطلبت غرضاً يستوي الناس كلهم في استحسانه وفي طلبه، فلم أجده إلا واحداً، وهو طرد الهم، فلما تدبرته علمت أن الناس كلهم لم يستووا في استحسانه فقط، ولا في طلبه فقط، ولكن رأيتهم على اختلاف أهوائهم ومطالبهم وتباين هممهم وإراداتهم، لا يتحركون حركة أصلاً إلا فيما يرجون به طرد الهم، ولا ينطقون بكلمة أصلاً إلا فيما يعانون به إزاحته عن أنفسهم، فمن مخطئ وجه سبيله، ومن مقارب للخطأ .. وليس في العالم مذ كان إلى أن يتناهى أحد يستحسن الهم ولا يريد طرده عن نفسه. فلما استقر في نفسي هذا العلم الرفيع، وانكشف لي هذا السر العجيب، وأنار الله تعالى لفكري هذا الكنز العظيم، بحثت عن سبيل موصلة على الحقيقة إلى طرد الهم الذي هو المطلوب للنفس الذي اتفق جميع أنواع الإنسان الجاهل منهم والعالم، والصالح والطالح على السعي له، فلم أجدها إلا التوجه إلى الله عز وجل بالعمل للآخرة .. ووجدت للعمل للآخرة سالماً من كل عيب خالصاً من كل كدر موصلاً إلى طرد الهم على الحقيقة، ووجدت العامل للآخرة أن امتحن بمكروه في تلك السبيل لم يهتم بل يسر، إذ رجاؤه في عاقبة ما ينال به عون له على ما يطلب، وزايد في الغرض الذي إياه يقصد. ووجدته إن عاقه عما هو بسبيله عائق لم يهتم، إذ ليس مؤاخذاً

(١) الأخلاق والسير وداواة النفوس ص ١٣ .

بذلك، فهو غير مؤثر في ما يطلب. ورأيته إن قصد بالأذى سر، وإن نكبته نكبة سر، وإن تعب فيما سلك فيه سر، فهو في سرور متصل أبداً، وغيره بخلاف ذلك أبداً. فاعلم أنه مطلوب واحد، وهو طرد الهم، وليس إليه إلا طريق واحد، وهو العمل لله تعالى، فما عدا هذا فضلال وسخف[1].

وتصديق هذا في قوله تعالى والذين جاهدوا فينا ، وقوله عليه الصلاة والسلام : من كانت الدنيا همه

تاسعاً : من المهم أيضاً أن نقول : لماذا يعرض الناس عن المنهج الرباني الإيماني مع أنه ثبت أنه المخرج والحل الوحيد للشفاء النفسي والعافية النفسية ؟.

هناك أمور يجب أن نصارح بها أنفسنا :

فمنها : تعلق الكثير منّا بأسباب التلف والعطب النفسي : وهي الذنوب والمعاصي ، فهو مع تألّمه بما يصيبه من الاعتلالات النفسية ومع معرفته بأن السبب هو الذنوب والمعاصي إلا أنه لا يريد الإقلاع عنها لشدة التعلق نسأل الله العافية ، فيحبّذ الاتجاه إلى حلٍّ آخر ، فمن كان منهم عاقلاً اتجه للطب النفسي وتناول المهدئات والجلسات النفسية التي لا تسمن ولا تغني من جوع .

ومن كان جاهلاً اتجه إلى المخدرات والإدمان أو المسكرات أو الملهيات مما ينسيه حالة الضياع التي يعيشها .

---

(١) الأخلاق والسير ص١٥ ـ ١٦ .

فإذا كان حال هذا كذلك فهل يُلام المنهج الرباني أن لا يجدي مع هكذا أشخاص ؟

ومن الأسباب : السرعة والاستعجال ، فكثير منا لا يفرق بين المسكن والعلاج الوقتي وبين الشفاء والعافية .

المنهج الرباني لا يعترف بالمسكنات وليست من همّه ، ولهذا تركها لنا بحسب حالاتنا واحتياجاتنا .

أما هو فاتجه للشفاء والعافية النفسية فأسسها أعظم تأسيس لكنها تحتاج إلى صبر .

وهذا الخلل تجده حتى في الأمراض البدنية الجسدية تجد الواحد يتنقل من طبيب إلى طبيب مرات ومرات كل هذا لأنه يريد أن يرى آثار التحسن من أول يوم .

كما أن الناس لا يعجبها الطبيب الذي يصف الحالة من أسبابها ويوجه النصائح السلوكية التي يجب اتباعها للتعافي من المرض ، وإنما يحبون من يملأ أكياسهم بالدواء الكيميائي فإذا زال الصداع من رأس المريض بعد ساعة من ذهابه للطبيب كان ذلك مقياساً عنده لبراعة الطبيب وحذاقته مع أن المرض ربما مازال ينهش فيه ويفتك به .

وهكذا المرض النفسي ، هناك من يعجبه الطبيب الذي يحقنه بالدواء المهدّئ ويستمع لشكواه من صديق أو ضغوط عمل أو مشاكل أسرية .

أما من يقول له اتق الله : واترك الذنوب والمعاصي ، ومن يقول له الصبر والرضا عن الله وبقدر الله وتعويد النفس والضغط عليها لاحتساب الأجر ، وإزالة هم الدنيا وما يحصل فيها ، ومثل هذه المعاني لايحبون من يمارس معهم العلاج بها لأنها طويلة الأمد

وتحتاج إلى أن يكون المريض هو المعالج حقاً ، ولا صبر عند هؤلاء : والعلاج الرباني مع أنه كذلك طويل الأمد إلا أنه قوي الأثر وأثره لا يزول عادة ، ويجتث العلة من أصولها .

ومن هنا تجد من يذهب للسحرة أو الكهان أو المشعوذين وينضم لهم ـ في رأيي ـ دورات ومدربي البرمجة وبعض الأطباء النفسيين الذين يمارسون العلاج بالمنهج الغربي ونحوهم ، لأنه يجد عندهم الحلول السريعة الّتي وإن بدت له كذلك فإنها سريعة الزوال ، إضافة لكونها تتعامل مع عوارض المشكلة وآثارها لا مع أصلها وأسبابها ، ولهذا تجد هؤلاء لا يبرحون دوامة القلق والاعتلال النفسي نسأل الله العافية والسلامة ، وأنت إذا رجعت بعض الكتب التي تُعنى بتاريخ علم النفس مثلاً ستجد أنّه لا يوجد مدرسة من مدارس علم النفس إلا وتشكو من أن كثيراً من الحالات التي تُشفى وتُعالج بطرقهم وأدواتهم في العلاج النفسي تعود وتنتكس بل ربّما تتحول إلى أمراض أخرى من مختلف أنواع الاعتلالات النفسية والعقلية وهذا معروف يعرفه أطباء وعلماء النفس والأخصائيون النفسيون كذلك[1].

---

(١) انظر الديناميات النفسية ص٣٩ ـ ٤٠ ، و مدارس علم النفس المتعاصرة ص ٢٢١ كمثال لما قلناه ، فقد ظل أطباء النفس وعلماء النفس في حيرة ـ وسيظلون كذلك ما داموا يتطلبون أسرار الشفاء النفسي من غير طريق خالق النفس جل وعلا ـ بسبب انتكاس الحالات المعالجة أو تحولها إلى أعراض نفسية أو عقلية أخرى ، والسبب هو ما ذكرناه وما ذكره هؤلاء الحيارى هو الجهل أو الإعراض عن السبب الحقيقي وجذور المشكلة .

ثانياً : الوصول إلى الماديّة .

لاشكّ أنّ الغاية الّتي يسعى إليها الباحث في علم معيّن هو الوصول إلى نتائج يقينيّة ، والوصول إلى هذه النّتائج يتمّ بطرق كثيرة ، ومن أشهر المناهج العلميّة المطروقة قديماً وحديثاً هو المنهج التّجريبي .

وهذا المنهج يقوم أصلاً على التّجربة ، فالحقيقة العلميّة هي الّتي تثبتها التّجربة .

ومن المعلوم أنّ الحقائق العلميّة الّتي يبحث عنها الباحثون في كلّ علم قسمان :

١ . قسم جاء به الوحي

٢ . وقسم سكت عنه الوحي .

أمّا القسم الّذي جاء به الوحي فإنّ المسلم والمؤمن بالله وبرسوله ﷺ لا يجوز له أن يتطلّب علمها من مصدر آخر غير الكتاب والسّنّة ، وإذا ما اصطدمت النتائج الّتي يصل إليها عبر المنهج التجريبي بما جاء به الوحي فالأصل عنده هو الوحي .

وأمّا القسم الّذي سكت عنه الوحي فهذا مجال رحب للعمل فيه بشرط عدم التعارض بينه وبين قطعيات الكتاب والسّنّة .

وهذا العلم ـ أعني البرمجة ـ يعتمد في أصوله وقواعده الّتي وصل إليها من حيث مشروعيّتها على تحقيق نتائج ملموسة موصلة للمراد ، وهذا مزلق كبير يقع فيه هؤلاء بسبب جهلهم بأصول السّنّة ، ونحن نعلم يقيناً بلاشكّ ولا ريب أنّ كبراءهم غير

محسوبين على أهل العلم اللهمّ إلاّ اللحى والسّمت الظاهر ، وهذا شيء آخر غير العلم بأصول الإسلام والبصيرة في دين الله تعالى .

وبيان ما مرّ بما يلي :

إنّ الوصول إلى نتائج وأهداف ملموسة ومرغوبة بطرق ووسائل معيّنة ، لا يعني أنّ هذه الطرق والوسائل مشروعة في دين الله تعالى بل **هذا يحتاج إلى أصل آخر** .

وهو أصل كبير في الإسلام بل هو من أصول السّنّة ، وهو أنّ كلّ هدف نعرف أنّه مقصود للشّرع وأنّ الحاجة إليه كانت موجودة في عهد النّبيّ ﷺ وأصحابه فإنّه لا يجوز التّوسّل إلى هذا المقصد إلاّ بما شرعه الله ولا يجوز تطلّب هذا من غير السنّة ، وهذا قدّمناه في المأخذ الأوّل .

فإذا عرفنا هذا فإنّه لا يجوز الاستدلال بتحقق نتائج معيّنة من علم معيّن مادام مخالفاً للأصل الّذي ذكرناه ، وهذا أصل في باب الوسائل والأسباب .

فإنّ الشّرع حين حرّم بعض الوسائل والأسباب الّتي يتّخذها النّاس للتداوي أو الحصول على أمور معيّنة لم يحرّمها فقط لكونها لا توصل إلى نتيجة ، بل أحياناً نتيقّن حصول النتيجة المطلوبة ومع هذا فلا يجوز اتّخاذ أسباب أو وسائل محرّمة ، ومثال هذا **السحر** فإنّه طريقة سريعة مجربة لفكّ **السحر** عن المسحور ومع هذا فإنّ الشّرع لا يجيز استعماله فضلاً عن تعلّمه .

وكذلك الذّهاب للكهّان وسيلة مشهورة لمعرفة أماكن المسروقات ومع هذا فلا يجوز قصدهم ولا الاستعانة بهم في هذا .

وأذكر هنا حديثاً يبيّن هذا الأصل فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت : كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على شيء يكرهه ، قالت : وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة ، فأدخلتها تحت السرير، فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطاً قال : ما هذا الخيط ؟ قلت : خيط رُقي لي فيه ، قالت فأخذه فقطعه ثم قال : إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **إن الرقى والتمائم والتولة** [1] شرك ، فقلت له : لم تقول هذا ، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها ، وكان إذا رقاها سكنت ، قال : إنما ذلك عمل الشيطان كان ينخسها بيده فإذا رقيتها كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ : أذهب الباس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقماً))[2].

فإذا تدبّرنا هذه القصّة تبيّن لنا أنّ زينب رضي الله عنها اتّخذت وسيلة للشّفاء غير مشروعة ، حيث كانت تختلف إلى شخص يهودي يرقيها فكان إذا رقاها سكن ألمها :

---

(١) قال الحافظ : التولة : بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً – شيئاً كانت المرأة تجلب به محبة زوجها ، وهو ضرب من السحر .

(٢) أخرجه أحمد ح٣٤٣٣ وأبوداود ح٣٣٨٥ وابن ماجة ح٣٥٢١وهذا لفظه .

فهنا نلاحظ أنّه قد تحقّق لها النّتيجة الّتي أرادتها ، لكن هل كان هذا كافياً لمشروعيّة ما فعلته ؟

الجواب : كلاّ فقد أنكر عليها ابن مسعود رضي الله عنه ، وبيّن لها سبب حصولها على نتيجة أمر غير مشروع ، وهو أنّ الشّيطان هو الّذي يؤلمها فإذا اتّخذت وسيلة غير شرعيّة أقلع عنها بسرعة ليضلّها ، ثمّ أرشدها رضي الله عنها إلى السّنّة في مثل حالها .

ومن المهم هنا ملاحظة أنّ أكثر ما يصرف النّاس عن السّنّة إلى ما سواها من المحدثات : أنّهم يجدون نتائج ملموسة لما يفعلونه مخالفاً للسّنّة ، وهذا من الابتلاء الربّاني : فإنّ الأدوية النّافعة تحتاج إلى صبر ويقين وتوكّل على الله(1) فيحتاج المريض إلى جهاد إيماني لا يريد أن يتكلّفه مع أنّه أفضل له إذ يكون العلاج أنفع ، وله صفة الاستمرار لأنّه علاج تربوي ، أمّا الأدوية المحرّمة فإنّ نتائجها سريعة ابتلاء وامتحاناً من الله تعالى ، فيقدم عليها الغالبية من النّاس لأنّهم لا صبر عندهم ولا يقين ولا توكّل ولا إيمان يعينهم على ذلك كلّه ، ولكنّ ما يجدونه من نتائج لممارساتهم هي في الحقيقة نتائج وقتيّة كمن يعالج نفسه بالسّحر أو العرافة .

ومثله قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن:٦] ، فإنّ المشرك كان يقضي حاجته من الجن فيؤمنه إذا استعاذ به لكنه ما يلبث أن يزيده خوفاً ورهقاً فيزداد تعلّق المشرك بالجن فيعبدهم من دون الله .

---

(١) وليس هذا مختصاً بالأدوية الشرعية بل حتى الأدوية المادية والعقاقير تحتاج إلى توكّل على الله في تحصيل العلاج بها شأنها شأن سائر الأسباب .

ومن الأمثلة الواقعيّة علاج مدمن المخدّرات : فإنّ سبب الإغراق في الإدمان هو عدم الصّبر على صعوبة الدواء الناجع ليسكن ما يجده من ألم انقطاع المادة المخدرة عنه ، مع أنّه هو الطريق الصّحيح الّذي يعافيه ويشفيه بإذن الله دون عودة ، فيلجأ المدمن كلّما أحسّ بنقص المادّة المخدّرة في جسده إلى تعاطي الحرام ليسكّن ألمه ويفي حاجته لكنّه سكون وقتي لا يلبث أن يطلبه مرة أخرى فيزداد غرقاً .

وكذلك من لجأ إلى طرق ووسائل تقويم السلوك وتهذيب النفوس وعلاجها نفسياً من الكآبة والإحباط أو الحسد وغير ذلك من أدواء النّفس بغير الكتاب والسنّة ، فإنّهم يُعانون من الشّياطين الّتي تكون هي سبب المشاكل النفسية مع البعد عن التديّن السّليم ، فإذا أراد المريض علاجها بالوسائل الشّرعيّة تطلّب ذلك منه صبراً ومقاماً إيمانياً ووصايا نبويّة وهذا ما لا يريده الأغلب من النّاس ، فيلجؤون إلى وسائل من خارج الشّريعة الإسلامية كما قلنا ، فما يلبث المريض أن يجد الشّفاء والعافية فيظنّ أنّ ذلك سببه صحّة الطريق الّذي سلكه للعلاج ومشروعيّته ، مع أنّ هذا لا يفيد في مشروعيّة الوسيلة كما سبق ذكره .

وشيخ الإسلام رحمه الله بيّن هذا الأمر في أمثلة ما يُخالف العبد الشّرع فيه ويحصل على مقصوده وبيّن أنّ ذلك ليس دليلاً على صحّة الطريقة الّتي يتبعها الشّخص مما يظنّ أنّه موصل للمقصود حتّى لو حصل له ما يريد ، وسأنقل نبذةً تفيد في موضوعنا هذا ، قال رحمه الله في معرض كلامه عن الأدعية البدعيّة والشّركيّة وحجج من يحتجّ لها : ((

ثم سائر هذه الحجج[1] **دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله** ، مع العلم بأن الرسول ﷺ لم يشرعها، وتركه مع قيام المقتضي للفعل بمنزلة فعله، وإنما يثبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير نقل عن الأنبياء– النصارى وأمثالهم .

وإنما المتبع في إثبات أحكام الله : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين أو الأولين ، لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة، نصا واستنباطا بحال .

والجواب عنها من وجهين : مجمل ومفصل .

. **أما المجمل** : فالنّقض ، فإن اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير، بل المشركون الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ **كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحياناً** ، كما قد يستجاب لهؤلاء أحياناً ، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة ، فإن كان هذا وحده دليلاً على أن الله يرضى ذلك ويحبه ، فليُطرد الدليل ، وذلك كفر متناقض .

ثم قد استجيب **لبلعم بن باعور**[2] في قوم موسى المؤمنين وسلبه الله الإيمان ، والمشركون قد يستسقون فيُسقون ، ويستنصرون فيُنصرون .

---

(١) أي حجج أهل الشّرك والبدع الشّركية كالدّعاء عند القبور مثلاً .

(٢) انظر قصّته في الكامل لابن الأثير ١ / ١٧٤ .

وأما الجواب المفصل فنقول : مدار هذه الشبه على أصلين :

منقول : وهو ما يحكى من فعل هذا الدعاء عن بعض الأعيان .

ومعقول : وهو ما يعتقد من منفعته **بالتجارب والأقيسة** .

فأما النقل في ذلك : فإما كذب، أو غلط ، أو ليس بحجة، بل قد ذكرنا النقل عمن يقتدى به بخلاف ذلك .

وأما المعقول فنقول : عامة المذكور من المنافع كذب، فإن هؤلاء الذين يتحرون الدعاء عند القبور وأمثالهم –إنما يستجاب لهم في النادر. ويدعو الرجل منهم ما شاء الله من دعوات، فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم، فيستجاب للواحد بعد الواحد وأين هذا من الذين يتحرون الدعاء أوقات الأسحار ، ويدعون الله في سجودهم وأدبار صلواتهم ، وفي بيوت الله ؟ فإن هؤلاء إذا ابتهلوا من جنس ابتهال القبوريين[1] لم تكد تسقط لهم دعوة إلا لمانع .

وأما القبوريون : فإنهم إذا استجيب لهم نادراً ، فإن **أحدهم يضعف توحيده ، ويقل نصيبه من ربه، ولا يجد في قلبه من ذوق الإيمان وحلاوته ما كان يجده السابقون الأولون ، ولعله لا يكاد يبارك له في حاجته**[2]، اللهم إلا أن يعفو الله عنهم لعدم علمهم بأن ذلك بدعة ، فإن المجتهد إذا أخطأ أثابه الله على اجتهاده ، وغفر له خطأه .

---

(١) أي عبّاد القبور الّذين يدعون الله عندها .

(٢) هذه أربعة آثار لمخالفة الهدي النّبوي في الدّعاء حتى لو استُجيب للمخالف ، وأنا أكاد أجزم

وجميع الأمور التي يظن أن لها تأثيراً في العالم وهي محرمة في الشرع ، كالتمريجات الفلكية، والتوجهات النفسانية ، كالعين ، والدعاء المحرم ، والرقى المحرمة ، ونحو ذلك ، فإن مضرتها أكثر من منفعتها حتى في نفس ذلك المطلوب ، فإن هذه الأمور لا يطلب بها غالباً إلا أمور دنيوية ، فقل أن يحصل لأحد بسببها أمر دنيوي إلا كانت عاقبته فيه في الدنيا عاقبة خبيثة. دع الآخرة[1].

والمخفق من أهل هذه الأسباب أضعاف أضعاف المنجح [2]، ثم إنّ المنجح منها فيها من النكد والضرر ما الله به عليم ، فهي في نفسها مضرة ولا يكاد يحصل الغرض بها إلا نادراً وإذا حصل فضرره أكثر من نفعه .

والأسباب المشروعة في حصول هذه المطالب، المباحة أو المستحبة سواء كانت طبيعية : كالتجارة والحراثة، أو كانت دينية : كالتوكل على الله والثقة به، وكدعاء الله سبحانه على الوجه المشروع ، في الأمكنة والأزمنة التي فضلها الله ورسوله، بالكلمات المأثورة عن إمام المتقين ﷺ ، وكالصدقة، وفعل المعروف، يحصل بها الخير المحض أو

بأنّ هذا ما يقع للمغرورين بنتائج البرمجة أو علوم الطّاقة ، فضعف التوحيد والإيمان وقلة البركة عقوبة عاجلة لمخالفة السّنّة .

(١) قارن كلام شيخ الإسلام هنا بحال البرمجة اللغوية ومجالاتها .

(٢) وقد ذكر بعض من ينتقد هذا العلم عدداً كبيراً من التجارب الفاشلة لتطبيقات هذا العلم مما يدل على أنّ ما يُذكر عن نتائج هذا العلم في الغالب تهويل ومبالغة .

الغالب ، وما يحصل من ضرر بفعل مشروع ، أو ترك غير مشروع مما نهى عنه، فإن ذلك الضرر مكثور في جانب ما يحصل من المنفعة.

وهذا الأمر، كما أنه قد دل عليه الكتاب والسنة والإجماع ، فهو أيضا معقول بالتجارب المشهورة والأقيسة الصحيحة ، فإن الصلاة والزكاة يحصل بهما خير الدنيا والآخرة، ويجلبان كل خير، ويدفعان كل شر [1]، فهذا الكلام في بيان أنه لا يحصل بتلك الأسباب المحرمة لا خير محض ، ولا غالب ، ومن كان له خبرة بأحوال العالم وعقل تيقّن ذلك يقيناً لا شك فيه .

وإذا ثبت ذلك : فليس علينا من سبب التأثير أحياناً، فإن الأسباب التي يخلق الله بها الحوادث في الأرض والسماء، لا يحصيها على الحقيقة إلا هو، أما أعيانها فبلا ريب، وكذلك أنواعها أيضا لا يضبطها المخلوق لسعة ملكوت الله سبحانه وتعالى، ولهذا كانت طريقة الأنبياء عليهم السلام، أنهم يأمرون الخلق بما فيه صلاحهم، وينهونهم عما

---

(١) وأصحاب البرمجة لا يأخذون من الصلاة والزكاة إلاّ شواهد لما يريدون أن يدللوا على صحته من أصولهم ، وإلاّ فأين علاج الكآبة والإحباط والوسوسة والرهاب الاجتماعي والشرود وغير ذلك بالصلاة ، الصلاة الحقيقية بشروطها وسننها ومواقيتها ؟ وكيف يكون هذا وغالبهم لا يعرف سنّة النّبيّ ﷺ في هذا إلاّ إجمالاً ، وأمّا كتب الفقي والتكريتي وآنتوني روبنز وغيرهم فهو يعرفها تفصيلاً بجزئياتها وتطبيقاتها .

فيه فسادهم، ولا يشغلونهم بالكلام في أسباب الكائنات كما تفعل المتفلسفة[1]، فإن ذلك كثير التعب، قليل الفائدة، أو موجب للضرر.

ومثال النبي ﷺ مثل طبيب دخل على مريض، فرأى مرضه فعلمه، فقال له : اشرب كذا ، واجتنب كذا ، ففعل ذلك ، فحصل غرضه من الشفاء .

والمتفلسف قد يطوّل معه الكلام في سبب ذلك المرض ، وصفته، وذمه وذم ما أوجبه ، ولو قال له المريض : فما الذي يشفيني منه ؟ لم يكن له بذلك علم تام .

والكلام في بيان تأثير بعض هذه الأسباب قد يكون فيه فتنة لمن ضعف عقله ودينه، بحيث تختطف عقله فيتأله[2]، إذا لم يُرزق من العلم والإيمان ما يوجب له الهدى واليقين ، ويكفي العاقل أن يعلم أن ما سوى المشروع لا يؤثر بحال ، فلا منفعة فيه ، أو أنه وإن أثر فضرره أكثر من نفعه .

---

(١) قارن هذا الكلام بما يفعله ممارسوا علوم الطّاقة من محاولة تفسير الظواهر وأسباب العلاج للأدواء المختلفة بما لا طائل تحته .

(٢) وهذا حقيقي للغاية فقد أدى الكلام في أسباب الظواهر الخارقة للعوائد في إقبال المهلوسين وضعاف العقول إلى دعاوى عريضة من قوة الشفاء إلى الكشف عن المغيّبات إلى قوّة التخاطر ونحوذلك مما أشار إليه شيخ الإسلام رحمه الله ، وسأذكر مثالين على هذا عند الكلام عن الباراسيكلوجي آخر الرسالة .

ثم سبب قضاء حاجة بعض هؤلاء الداعين الأدعية المحرمة ، أن الرجل منهم قد يكون مضطراً ضرورة لو دعا الله بها مشرك عند وثن لاستجيب له، لصِدق توجهه إلى الله ، وإن كان تحرّى الدعاء عند الوثن شركاً .

فكم من عبد دعا دعاءً غير مباح فقضيت حاجته في ذلك الدعاء ، وكان سبب هلاكه في الدنيا والآخرة ، تارة بأن يسأل ما لا تصلح له مسألته ، كخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم ، وكان فيها هلاكهم ، وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله كما قال سبحانه: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف:٥٥] فهو سبحانه لا يحب المعتدين في صفة الدعاء ، ولا في المسؤول ، وإن كانت حاجتهم قد تُقضى، كأقوام ناجوا الله في دعواتهم بمناجاة فيها جرأة على الله ، واعتداء لحدوده ، وأعطوا طلبتهم فتنةً ، ولما يشاء سبحانه .

ألست ترى السحر والطلسمات والعين وغير ذلك من المؤثرات في العالم بإذن الله، قد يُقضى بها كثير من أغراض النفوس ، ومع هذا فقد قال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢] فإنهم معترفون بأنه لا ينفع في الآخرة ، وأن صاحبه خاسر في الآخرة ، وإنما يتشبثون بمنفعته في الدنيا .

وكذلك أنواع من الداعين والسائلين قد يدعون دعاءً محرماً يحصل معه ذلك الغرض ، ويورثهم ضرراً أعظم منه ، وقد يكون الدعاء مكروهاً ويستجاب له أيضا .

ومن هنا يغلط كثير من الناس ، فإنهم يبلغهم أن بعض الأعيان من الصالحين عبدوا عبادة ، أو دعوا دعاءً ، **ووجدوا أثر تلك العبادة وذلك الدعاء فيجعلون ذلك دليلاً على استحسان تلك العبادة والدعاء ، ويجعلون ذلك العمل سنة** ، كأنه قد فعله نبي ، وهذا غلط، لما ذكرناه .

ثم من غرور هؤلاء وأشباههم ، اعتقادهم أن استجابة مثل هذا الدعاء كرامة من الله تعالى لعبده ، وليس في الحقيقة كرامة ، وإنما تشبه الكرامة من جهة أنها دعوة نافذة ، وسلطان قاهر ، **وإنما الكرامة في الحقيقة، ما نفعت في الآخرة ، أو نفعت في الدنيا ولم تضر في الآخرة ،** وإنما هذا بمنزلة ما يُنعم به الكفار والفساق، من الرياسات والأموال في الدنيا، فإنها إنما تصير نعمة حقيقية، إذا لم تضر صاحبها في الآخرة .

فهذه الأدعية ونحوها ، وإن كان قد يحصل لصاحبها أحيانا غرضه ، لكنها محرمة لما فيها من الفساد الذي يربي على منفعتها، كما تقدم ، ولهذا كانت هذه فتنة في حق من لم يهده الله ، وينور قلبه، **ويفرق بين أمر التكوين وأمر التشريع**[1] ، ويفرق بين القدر والشرع ويعلم أن الأقسام ثلاثة :

١ . أمور قدرها الله، وهو لا يحبها ولا يرضاها، فإن الأسباب المحصلة لهذه تكون محرمة موجبة لعقابه.

---

(١) أي ما يأمر به الله ويقضيه قدراً قد يكون محبوباً لله وقد يكون مكروهاً له تعالى ، وما يأمر به شرعاً من محبوباته قد يكون ويحصل وقد لا يكون ولا يحصل ، فتبيّن أنّه لا تلازم بين الأمر الكوني وبين الأمر الشّرعي .

٢ . وأمور شرعها فهو يحبها من العبد ويرضاها ، لكن لم يعنه على حصولها، فهذه محمودة عنده مرضية، وإن لم توجد .

٣ . والقسم الثالث : أن يعين الله العبد على ما يحبه منه.

فالأول : إعانة الله .

والثاني : عبادة الله .

والثالث : جمع له بين العبادة والإعانة. كما قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة:٥] .

فما كان من الدعاء غير المباح إذا أثّر فهو من باب الإعانة لا العبادة كسائر الكفار والمنافقين والفساق ، ولهذا قال تعالى في مريم : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ [التحريم:١٢] وكان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزها برٌّ ولا فاجر[1]))[2].

وعلى هذا فإنّ ما يحتجّ به روّاد هذا العلم من أنّهم جرّبوا مبادىء وقوانين هذا العلم ووجدوا نتائج ملموسة ليس كافياً لمشروعيّة تعلّم هذا العلم وتعليمه بهذا الشّكل الّذي نراه .

---

(١) أخرجه مسلم ح ٤٨٨١ .

(٢) مختصراً من اقتضاء الصراط المستقيم ٣٤٤ ـ ٣٥٦ الطبعة القديمة بتحقيق الشيخ حامد الفقي ، وهو كلام طويل ونافع جداً .

وهذا يعني أنّه يجب أن يفصل ما في هذا العلم من الأمور الّتي تتعلّق بتقويم السّلوك وتعديل الخصائص النّفسيّة للشّخص وعلاج أمراضه النّفسيّة بوسائل غير ماديّة فيُرمى به : لأنّ ما في كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ﷺ من الوصايا والوسائل والأسباب كافٍ لو اتُّبع مافيه حقّ الاتّباع وأُعطي حقّه من الاهتمام والتّطبيق .

وبالله إنّ ما نحن فيه من التخلف والتبعية سببه إهمالنا وعدم اجتهادنا في دراسة السّنّة والتّبصّر بما فيها ومعرفة ما تضمّنته من المناهج التربوية النافعة الّتي كان الأخذ بها طريقاً وسبيلاً لهداية أمم من النّاس وتحويلهم من حياة الإحباط والكسل والعداء للناس والخوف من الأصنام والجان واليأس وقصور الأهداف والغايات : إلى الطّموح والجد والتضحية والمحبة والأمل في موعود الله تعالى ، وهذا ما حصل للعرب الّذين بُعث فيهم النّبيّ ﷺ ، فالعربي الّذي كان غاية أمله كأس وغانية ، ويخشى ويخاف من صنم وحجر ، ويصده صوت الغراب عن حاجاته ومصالحه ، أصبح يطمع وهو في شدائده في قصور كسرى وقيصر ويتقحّم المخاطر ويقضي السّنين العديدة في علم أو جهاد ويرفع رأسه في قصور الجبابرة ويطمح أيضاً أن يفتح الله عليه رومية والقسطنطينية .. فهل تعرف علماً قط يفعل بالنّاس ما فعلته السّنن النبوية بهؤلاء الأعراب الّذين أصبحوا فيما بعد أفضل جيل مر على البشريّة جمعاء ؟!!

وأمّا ما يتعلّق بالخبرات الإداريّة والأمور الجزئيّة الّتي تحسّن من أداء الشّخص وإدارة أعماله ووقته مما لا يخالف الشّرع فهذا لا بأس بتعلّمه وتعليمه والإفادة من تجارب الآخرين فيه ، وهذا الّذي قلناه يحتاج إلى الاستعانة بأهل العلم البصيرين

بأصول السّنّة وقواعد الشّرع لتمييز هذا من هذا ، ولا يكفي أن يُعرض الأمر على كلّ من تمشلح أو كان إمام مسجد أو التحى وعُرف بالخير أو كان قاضياً دون أن يُعرف علمه بدين الله أصولاً وفروعاً ممّن اشتهروا بين أهل العلم بهذا ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : فتح باب الشّرك والاعتقاد في الآخر على مصراعيه :

ربّما يكون تعلّق هذا المأخذ بعلم البرمجة أقلّ مقارنة بعلوم أخرى **كالباراسيكلوجي والبايوجيومتري** ، ولكن هذا لا يعفي روّاد هذا العلم من هذا المأخذ الخطير لأسباب :

. **منها** : أنّ البرمجة كعلم يستمدّ من عدد من العلوم ومنها علوم الطّاقة أو **الباراسيكلوجي** .

. **ومنها** : أنّ علم البرمجة ساهم في هذا الجانب من خلال تضخيم دور النّفس والذّات والعقل الباطن وقدراته ، فإنّ هذا مهّد بل أسّس لقبول هذه الهرطقة وتلقّي النّاس لها بالقبول .

ويمكن تلخيص النّقاط الّتي تخصّ هذا الجانب فيما يلي :

١ . يتحدّث المختصّون في البرمجة كثيراً عن أثر المعتقدات والقيم والمعايير في إحداث نقلات نوعيّة إيجابيّة أو سلبيّة في حياة الشّخص .

وهذا الكلام في عمومه له معنى مقبول : فإنّ العقيدة لها تأثير قوي في تصرّفات وسلوك الإنسان ، هذا حقيقي ومشاهد .

لكنّ الأمثلة الّتي يمثّل بها المختصون في البرمجة تدل على مضامين خطيرة ، فإنّ المفهوم من كلامهم أنّ اعتقاد الشّخص يمكن أن يصل إلى درجة التّأثير في الأشياء ، بل وفي إكساب واكتساب خصائص معيّنة خارجة عن نطاق المألوف .

فأوّل مثل يمثّل به **التكريتي** في كتابه **آفاق بلا حدود** هو أنّ شخصاً شُفي من مرضه عندما اعتقد أنّ شفاءه في دواء معيّن مع العلم بأنّه ليس دواءً في الحقيقة بل هو مجرد حبوب السّكر العادي ، ويعلّق الدكتور بقوله : ((وذلك بسبب إيمانه أو اعتقاده أنّ تلك الأقراص سوف تشفيه ، أي أنّ شفاءه لم يكن بسبب الأقراص بل بسبب ذلك الإيمان أو الاعتقاد بالشّفاء))[1]، ثمّ قال بعد ذلك : ((**الاعتقاد بشيء هو الاقتناع بصحّة ذلك الشّيء وليس من الضّروري أن تكون المعتقدات مبنيّة على منطق كما أنّه ليس متوقعاً أن تكون معبّرة عن الواقع**))[2].

وهنا أدعوك أخي القارىء إلى تأمّل ما ذكره الدكتور وما مثّل به : وأعيدك إلى ما جاء في السّنّة النّبويّة من تحريم اتخاذ وسائل للشّفاء من الأمراض العضويّة أو النّفسيّة كان أهل الشّرك يستشفون بها ، مثل الحلقة المعدنيّة ، والخيط ، والتمائم ونحو ذلك مما حرّمه الإسلام وجعله من الشّرك ووسائله[3].

تُرى ما الّذي جعل أهل الشّرك يتمسّكون بتلك الجهالات ؟

الجواب : إنّهم كانوا يجدون أثراً ملموساً فيجدون شفاء وراحة من الألم وربّما يجدون وقاية من بعض الشّرور حقاً ، وهذا وإن كان يجري به القدر لكنّ الإسلام حرّمه وجعله من الشّرك .

---

(١) آفاق بلا حدود ص١٤٤ .

(٢) آفاق بلا حدود ص١٤٤ .

(٣) انظر للأهمية كتاب فتح المجيد باب من الشرك اتخاذ الحلقة والخيط ونحوهما .

فماذا لو قيل الآن : إنّ اعتقاد الجاهليّين وإيمانهم بالشّفاء بتلك الأمور حقّق لهم هذا وإن كان في الحقيقة ليس دواء وليس مجدياً في الشّفاء ، هل يكون هذا مبرراً لهم في اتخاذ التمائم والحلقة والخيط ونحو هذا من الأمور المحرّمة ؟.

إنّ هذا الفصل من علم البرمجة ما هو إلاّ باب من الشّرك فُتح على مصراعيه ، إذ يمهّد الباب لأنّ يعتقد المرء في شيء من الأشياء نفعاً فيتحقق ما يصبو إليه ، وكأنّ روّاد هذا العلم أخذوا الحديث الموضوع : ((**لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه**))[1]، فصاغوا منه تصوّرهم لأثر الاعتقاد في سلوك الشّخص وحياته الخاصّة .

ولهذا بلغنا من الثّقات عن بعض من ينتسب للدعوة لبس الإسورة المغنطة وما يشبهها بدعوى أنّ لها أثراً في تخفيف آلامه وشفائه ، ورأينا من يعتقد بعض معتقدات الشّرك الأوّل معلّلاً ذلك بما قلناه من مسألة الاعتقاد وبما يأتي من القول في خواصّ الأشياء .

وبهذا وجب على طلاّب العلم أن يتبيّنوا مواطئ أرجلهم وأن يتبصّروا بها في قواعد هذا العلم ممّا يخالف أصول الإسلام خصوصاً في باب الشّرك وأسبابه .

٢ . يتحدّث روّاد البرمجة أيضاً عن أنّ الاعتقاد يكسب الشّخص خصائص جديدة ، وأنا أتفهّم أنّ الاعتقاد يثير ويحفّز ويفجّر طاقات النّفس ويدفعها للعمل ، ومن هنا كان اليقين والإيمان عند السّلف دافعاً للعمل الأخروي والدنيوي كذلك في رضا الله تعالى .

---

(١) سلسلة الأحاديث الضّعيفة والموضوعة للألباني رحمه الله برقم ٤٥٠ .

لكنّ الاعتقاد لا يعطي الشّخص خوارق وصفات خارجة عن المألوف ، فالدكتور **التكريتي** مثلاً ، يمثّل تمثيلاً حسناً حين يبيّن كيف غيّر الاعتقاد والإيمان من حياة العرب وجعلهم خير أمّة أخرجت للنّاس بعد أن كان سوء معتقدهم سبباً في ذلّهم وتعاستهم وتخلّفهم .

لكن هناك أمثلة غاية في السّوء تُضرب بل وتُجرّب : فمن ذلك أنّ الشّخص إذا اعتقد أنّه يستطيع أن يرفع ثقلاً لا تطيقه قدراته الحسيّة فإنّه يستطيع ، وكذلك إذا اعتقد وآمن أنّه يستطيع المشي على الجمر فإنّه يستطيع أن يفعل ذلك .

وهذا التّمثيل فيه خطأٌ معرفي وخطرٌ اعتقادي .

أمّا الخطأ المعرفي فإنّ المعلوم أنّ الاعتقاد لا يغيّر حقائق الأمور فالعاجز يضلّ عاجزاً والقادر يضلّ قادراً ، وكلّ ما هناك أنّ الاعتقاد يصحّح النّظر للأمور على حقيقتها فتزول الموانع الوهميّة الّتي كانت تحول دون العمل والإنتاج ، فإذا كان لديّ القدرة فعلاً على حمل مئة كيلوجرام ولكنّي اعتقدت أنّي لا أستطيع ، فهنا يمكن أن يُقال : إنّ اعتقادي السلبي سيؤدي إلى الحيلولة دون تأثير قوّتي وقدرتي في حمل الثقل ، فإذا صحّحت اعتقادي فإنّ المانع سيزول وسأتمكّن من تفعيل قدرتي .

ولكنّ الإنسان بلا شكّ ولا ريب لا يستطيع أن يحمل بمفرده وبقدرته المجرّدة طناً من الحديد ، فهنا لا يجوز أن يُقال إنّ اعتقادي بقدرتي على حمل الطن سيمكّنني من ذلك ، **بل على العكس فإنّ اعتقادي هذا هو اعتقاد خاطىء سيؤدي إلى نتيجة سلبيّة وهي أنّي سأصرف قدراً من وقتي في تحقيق ما أنا عاجز عنه وأترك ما أنا قادر عليه .**

والّذي غرّ الأغرار أنّ مدرّبي البرمجة يبرهنون لهم على صدق دعواهم بأن يحضرون شخصاً ثقيلاً ويجعلون شخصاً يحمله دون أيّ تعب بل ربّما حمله عدة أشخاص بأصابعهم ، وهذا أيضاً غير مستغرب **لأنّ هؤلاء الّذين يضلّون عن صراط الله القويم تعينهم الشّياطين لتفتنهم وتفتن بهم غيرهم فيعتقدون صدق دعواهم .**

والبعض يعترض على هذا التّفسير بأنّه يقرأ الآيات ويستعيذ بالله فلو كان الشّيطان حاضراً في هذه التجربة فإنّه سيذهب شريداً طريداً ، وهذا تلبيس أو التباس ، فإنّ القرآن إنّما يؤثّر إذا كان التّالي من أهل الإيمان والصّراط الصّحيح فيطرد الشّيطان ، أمّا إذا كان التالي أصلاً يستعيذ من الشّيطان للقيام بما فيه ضلال فإنّ الشّيطان لا ينصرف بل إنّه قد يكون هو الّذي يوحي بقراءة القرآن زيادة في الإضلال و الإغواء ، وهذا الاستدلال كمن يقرأ القرآن ويستعين بالله ويسمّي قبل أن يسرق أو يزني أو يشرب خمراً ثمّ يقول : لو كان ما فعلته من فعل الشّيطان لانصرف حين قراءتي القرآن ؟!.

وأمّا الخطر الاعتقادي : فإنّ ما يذكرونه هنا هو الّذي غرّ الجهّال من سابق الأزمان في **الدّجاجلة** الّذين يدّعون الولاية والمقامات عند الله ، وذلك بأنّ هؤلاء **الدّجاجلة** كانوا يظهرون **الخوارق** أمامهم من مثل الدخول في النار دون الاحتراق وطعن بعضهم بعضاً بالشّيش والسّيف وحمل الأشخاص وشفاء من يعتقد فيهم ، وظنّ هؤلاء أنّ ذلك إنّما كان منهم لأنّ لهم من قدرات النّفس ما جعلهم بهذه المثابة وأنّ الله أجرى على أيديهم الكرامات ، فوقع الناس في الشّرك بالله والاعتقاد في الأولياء ، وكان من هؤلاء

الدّجاجلة أصحاب قرآن يلبّسون به على النّاس حتى لا يُقال : إنّ ذلك بمعونة الشّياطين.

٣ . **ويتحدّث روّاد البرمجة عن دور الاعتقاد في تغيير الواقع** ، وهذا سبق أن قلنا إنّه صحيح من جهة أنّ اعتقاد الشّخص يؤثّر في مدى التحفّز للعمل وبذل الوسع في الوصول للأهداف .

لكنّ هناك أمراً دندن حوله **التكريتي** واستشهد له غير مرّة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ ﴾[الرعد:١١] .

ذلك أنّ الأمر هنا في الآية لا يتعلّق بتغيير الاعتقاد ، وإنّما المراد أنّ الله لا يحوّل ما بالعباد من نعمة وخير ورضا حتّى يغيروا هم ما بأنفسهم من خير وإيمان وطاعة ، فإذا غيّروا إلى الكفر والعصيان غير الله نعمتهم وبدّلها نقمة ، والعكس صحيح .

فأنت ترى حفظك الله أنّ المراد علاقة العبد بربّه من حيث تحقيق العبوديّة من عدمه ، وهذا يفعله الإيمان الصّحيح بمفهومه الشّرعي الشّامل لا مجرد الاعتقاد .

فتغيير الاعتقاد وأثره في تغيير سلوك الفرد شيء ، وتفاعل البيئة المحيطة بالشّخص مع هذا التّغيير شيء آخر ، إذ ربّما يحصل التّفاعل فيتغيّر ما حول الفرد بتغيّره ، وربّما لا يحصل ذلك ، كما قدّمنا من أنّ بعض الأنبياء يأتي يوم القيامة ولم يؤمن معهم أحد[1]، فلم

---

(١) أخرجه البخاري ح٥٢٧٠ ومسلم ح٣٢٣ .

يكن هؤلاء الأنبياء مع أنّهم أعلى وأقوى النّاس اعتقاداً وإيماناً قادرين على إحداث التّغيير فيما حولهم .

٤ . **وأخيراً يتحدّث البعض عن دور الاعتقاد في النّظرة للأشياء** : ويستشهد بقول المتنبي :

وتعظم في عين الصغير صغارها   وتصغر في عين العظيم العظائم

وهذا فيه نظر لأنّ بيت الشعر ونحوه يتحدث عن رؤية الشخص للعالم وعن اعتقاده في شيء معيّن وأنّه هو الّذي يكوّن صورته ومعلومته عنه : لكن يجب مراعاة أنّ هذا لا ينفي أنّ للأشياء خواص ترجع لذاتها من حيث العظمة والحقارة : والاستحالة والإمكانية : وهذا مهم عندما نتحدث عن مدى قدرة الشخص على التأثير في الاشياء وفي النفس كذلك .

فإنّ دور الاعتقاد هنا محصور فيما هو أصلاً في حدود قدرات البشر ، وأمّا ما هو خلاف ذلك فلا يلعب الاعتقاد دوراً إلاّ في سلامة التّصوّر فقط .

رابعاً : بدعة القدريّة .

القدريّة هي الفرقة الّتي عاندت ربّها وزعمت أنّ في الكون خالقاً غير الله .

وخلاصة بدعتها المشهورة : أنّ أفعال الإنسان الاختياريّة هي من خلق الإنسان نفسه ، وأنّ الإنسان لديه قدرة مطلقة وإرادة حرّة فيما يفعله ويريد أن يحققه .

والّذي أدّى بهذه الفرقة إلى هذا الغلوّ هو ما رأوه من غلوّ الجبريّة في الطّرف الآخر : حيث زعمت أنّ الإنسان مسيّر في أفعاله وأنّه مسلوب الإرادة والقدرة كالرّيشة في مهبّ الرّيح ، وأنّ ما يقوم به من خير وشر إنّما هو من فعل الله به ، وهذا كما ترى كفر ما بعده كفر .

فظنّ القدريّة أنّ الطريق إلى مضادّة هذا الكفر هو الغلوّ في الاتّجاه الآخر ، حيث زعمت أنّ أفعال العبد تحدث بقدرته وإرادته وأنّها لا تدخل في قدرة الله تعالى .

وفي علم الهندسة النّفسيّة يتمّ التّركيز كثيراً على قدرة النفس وإرادة الشّخص ودورهما في تحقيق الأهداف الّتي يسمو إليها الشّخص .

وهذا التّأثير مصدره أنّ الّذين وضعوا أسس هذا العلم هم من الكفّار الّذين لا يؤمنون بقدر الله تعالى ، بل ومن المعلوم أنّ الاتّجاهات الفكريّة السّائدة في الغرب يغلب عليها الطّابع المادّي الّذي لا يؤمن بقدرة وراء الطّبيعة ، ويجعل من السّبب المادّي رباً يعبده ويقدّسه ولا يؤمن بغيره .

وجاء **المتهوكون** لينقلوا إلينا هذا العلم بكلّ مافيه ، وغاية ما صنعوه هنا إضافة الألفاظ الإسلاميّة مثل التوكّل ومشيئة الله في مقالاتهم وتوجيهاتهم ، وهذا لا يغير من الحقيقة شيئاً ، فتقديس هذا العلم للأسباب وتأليهها واضح حتّى في كتابات المسلمين منهم .

ولهذا فإنّك لا تجد في حديثهم عن أركان النّجاح أو استراتيجيات التّفوّق[1] ذكر القدر الإلهي .

كذلك من الملاحظ أنّ تعامل هذا العلم مع النتيجة تعامل حتمي ، فهم في الغالب لا يعزون تخلّف النّتيجة إلى القدر بل حتماً إلى خلل في تطبيق التجربة ، وهذا خلاف منهج السنّة ، ولا ينفع هنا التزويق الشرعي كما يفعله البعض بمحاولة إضافة بعض الآيات وبعض الألفاظ الإسلاميّة .

ولهذا والله أعلم يكثر في ألفاظ هؤلاء ألفاظ من مثل : صناعة المستقبل ، صناعة النجاح ، اصنع مستقبلك ، اصنع نجاحاتك ، حتى إنّ **التكريتي** يقول : ((الهندسة الفنّيّة هي علم وفن لصناعة النّجاح))[2]فهل النّجاح صناعة البشر أم هو صنعة الله وخلقه ؟ وعمل البشر فيه هو التّسبّب له فقط؟

---

(١) آفاق بلا حدود ص ٣٠ و٥١ .

(٢) ص٥٠ .

ولاشكّ أنّ هذا أثر ظاهر لما في الضّمير من الاعتماد على النّفس أكثر من الطبيعي والشّرعي.

خامساً : الدجل والخرافة والاستعانة بالجن :

من قديم حاول الإنسان اكتشاف المجهول ، وتفسير الظّواهر الطبيعيّة ومعرفة أسبابها ومن يقف وراءها إحداثاً وربطاً ببعضها البعض .

فأمّا المؤمنون بالرسل فقد كفاهم إيمانهم المؤونة فجاء الوحي ليصنّف المغيب عنا إلى نوعين :

مغيّبات تقتضيها طبيعة الحركة التاريخيّة والتطوّر المعرفي ، بمعنى أنّ ما كان غيبياً غامضاً في وقت ما ، يصبح مع مرور الزمن والتطور العلمي أمراً بيّناً بفضل ما يسّره الله من كشف مفاتيحه بحسب المرحلة الّتي تعيشها البشريّة ، ويمكن تسميته بالغيب النّسبي ، تماماً كمن هو خارج الدار فداخل الدار غيب بالنسبة له بعكس من هو في داخلها .

ومغيّبات لا يصح أن يطّلع عليها الإنسان في الدّنيا ولا يمكنه ذلك بل هو ممّا اختصّ الله تعالى بعلمه .

ومن تلك الظواهر ظاهرة خرق العادة ، والمقصود أنّ بعض النّاس تجري على أيديهم أمور ليست في حدود قدرات البشر كالاطّلاع على أمور غيبيّة أو رؤية ما لا يراه البشر عادة ، أو سماع ما لا يسمعونه عادة ، وهذه الأمور منذ القدم تحدث على يد النّبيّ وتُسمّى معجزة ، وتحدث على يد أتباع الأنبياء تأييداً لهم أو تثبيتاً وتُسمّى كرامة ، وتحدث على أيدي **السحرة** والدجاجلة وتُسمّى سحراً .

وهذه الأمور الّتي تجري خلاف العادة هي كسر للقانون الكوني وهذا له حكم عديدة :

منها : أن يكون تأييداً لصدق النّبيّ .

ومنها : أن يثبّت الله الأتباع ويريهم آيات أنّهم على الحق أو يؤيدهم على مناوئيهم ، وفي العادة لا تصل كرامات الأولياء إلى مراتب معجزات الأنبياء .

ومنها : أن يجريها الله على يد **الساحر** والكاهن الدجّال ليبتلي الله به النّاس ، كما يجري الله على يد المسيح الدجّال من **الخوارق** ما يُفتن به جموع غفيرة من النّاس .

ولاشكّ أنّ جماهير كثيرة من النّاس تطلّبت الحصول على نوع من الكرامات أو **الخوارق** ، وكان هدفهم في السّابق أن يكون لهم على النّاس جاه كما في أهل الطب والفلسفة ، أو أن يتسلّطوا على أموال النّاس بسطوة **الخوارق** كما في **السحرة والدجاجلة الكهّان** ، أو أن يُظن فيهم الولاية كما في غلاة الصّوفيّة ، وقد حدث لشيخ الإسلام رحمه الله مع هؤلاء قصص عجيبة [1].

والّذي خفي على هؤلاء كلّهم : أنّ **الخوارق** وإن كانت موجودة بالتفصيل السّابق ، فإنّها ليست علماً يُطلب ، ولا يجوز أن يطلب الإنسان ذلك لأنّه أوّلاً كسر للقانون الطبيعي وهذا أمر خلاف الفطرة ، وإذا احتاجه الإنسان في مواطن معيّنة فإنّه يطلب ذلك من الله تعالى ثمّ قد يحصل له ما أراد وقد لا يحصل .

---

(١) انظرها في مجموع الفتاوى ١١ / ٤٤٥ .

والله تعالى في بعض الأوقات يكسر القانون الطبيعي لوليّ من أوليائه وإن لم يطلب ذلك الولي من الله أن يحدث له هذه الكرامة .

وأمّا غير الولي والنّبيّ فإنّ الخوارق لا تحصل إلاّ لمن له حال شيطاني سواء علم بهذا وتعمّده كالسّاحر والكاهن ، أو لم يعلم به ولم يتعمّده كجهّال العبّاد الّذين يستجرّهم الشّيطان ببعض الخوارق ليفتنهم ويفتن بهم الخلق فإن انساقوا وراء هذه الخوارق كانوا طواغيت .

وحتّى عهد قريب كانت الدّعوة الإسلاميّة سالمة من أيّ اختراق لهذه الانحرافات حتّى نبغ أصحاب هذا العلم المحدث ليحاولوا عبثاً أن يقنعوا الرّعاع ممّن اغترّ بهم أنّه يمكن أن يصل الشّخص بنوع من الرياضات البدنيّة والرّوحيّة كالجوع والاسترخاء إلى خرق العادة عبر ما يدّعون أنّه قوّة النّفس أو قوى العقل الباطن اللامحدودة ، وهذا هو الدّجل الّذي حاربه أئمّة الدّعوة الإسلاميّة منذ قرون ولكنّ هؤلاء القوم في الحقيقة يجهلون ولا يعقلون : أو لا يريدون ـ لغرض ما ـ أن يعقلوا .

ونحن لا ننكر أنّ المرء يمكنه أن يصل فعلاً لحالة يتمكّن فيها من خرق العادة فيسمع عن بعد أو يخطر بقلبه شيء من المغيّب عنه أو يحمل ما لا يُحمل أو غير ذلك ، لكنّ حصول ذلك يعني بلا شكّ ولا ريب **تدخّل قوى شيطانيّة** تعين هؤلاء على مقصودهم ليفتنوهم ويفتنوا بهم ، قال شيخ الإسلام رحمه الله : ((**والشياطين يوالون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان** ، فتارة يخبرونه ببعض الأمور الغائبة ليكاشف بها ، وتارة يؤذون من يريد أذاه بقتل وتمريض ونحو ذلك ، وتارة يجلبون له من يريده

من الإنس ، وتارة يسرقون له ما يسرقونه من أموال الناس من نقد وطعام وثياب وغير ذلك فيعتقد أنه من كرامات الأولياء وإنما يكون مسروقاً ، وتارة يحملونه في الهواء فيذهبون به إلى مكان بعيد ، ومعلوم أن هذا من أعظم الضلال))[1].

وقد بيّناّ أنّ حصول النّتيجة لا يعني مشروعيّة السّبب ، كما في **السحر** فإنّ **الساحر** يتمكّن من أشياء لا يستطيعها البشر عادة ولكنّ ذلك لا يبرّر استعمال وتعلّم **السحر** حتّى ولو في الخير .

وقد علمنا أنّه ليس من هدي السّلف وليس من نهجهم أن يتطلّب المرء خرق العادة بل إنّ الواحد منهم كان يخاف على نفسه إذا حصل له خرق للعادة بدون طلبه خشية أن يكون ذلك استدراجاً له ، فكيف بمن جعله غاية يتوسّل المتعلّم إليها بكلّ سبيل دون أن يعلم على طريقة بوذيّة هو أم على طريقة الصّابئة من عبدة الكواكب أم على طريقة **الفلاسفة** الباطنيّة ؟ كما سيمرّ بنا قريباً إن شاء الله .

كما أنّا علمنا من هدي السّلف أنّه ليس كلّ علم قانون كوني يجوز استعماله وتعلّمه ، ومثاله **السحر** .

والتّلبيس الّذي لبّس به روّاد البرمجة على رعاعهم في هذا الجانب ما زعموه أنّ هذا داخل في تطوير وتنمية قدرات النّفس الذّاتيّة لتفجير طاقاتها الكامنة اللامحدودة ، وسنعقد لها فصلاً خاصاً إن شاء الله تعالى ونبيّن علاقته بمذهب **الفلاسفة** .

---

(١) الفتاوى ١ / ١٧٤ .

مآخذ على الأهداف

١ . ملاحظة مهمة للدعاة :

يحرص كثير من الدّعاة على البرمجة اللغويّة أملاً منهم في استخدامها في مجال الدّعوة الإسلاميّة وتطويع النّفوس المتمرّدة على الله تعالى ، وإذا تذكّرنا ما ذكرناه أوّل الرسالة عن مقصود علم البرمجة ، ومع الأخذ في الاعتبار أنّ الاستعانة في الدّعوة ببعض الوسائل المادّيّة أمر سائغ فإنّي أشير هنا إلى أمر مهم ربّما يغيب عن ذهن البعض ، ألا وهو إنّ طبيعة الدين والتدين ليست في تحويل صفات النّفس البشرية : كما يذكرون في ((**مسألة مخاطبة الأجزاء**))[1] فالنفس الأمارة بالسوء موجودة : والجزء الذي يتحدث عنه الفقي[2] وغيره قد يكون الشيطان الّذي لا ولم يمكن أن يكون إيجابياً إلاّ في حالة واحدة لا تتكرّر ، وهو ما حصل مع النّبيّ ﷺ إذ أعانه الله على قرينه فأسلم فلا يأمره إلاّ بخير[3].

---

(١) وهي قريبة من اصطلاحات : الهو ، والأنا ، والأنا الأعلى ، في نظرية التحليل النفسي التي يُعتبر فرويد من روادها ، انظر الديناميات النفسية علم القوى النفسية اللاشعورية ، ترجمة رزق سند ، ط١٩٩٥م ، ص٣٦ .

(٢) ص١٤٥ وكذلك التكريتي في آفاق بلا حدود ص١١٠ و ١٣٥ .

(٣) أخرجه مسلم ح٥٠٣٤ .

أما التدين فحقيقته وسموّه في قوّة إرادة المؤمن وتطويع سلوكه للشرع وإن كانت نفسه تريد غير ذلك . وهل مرارة التدين وشدته إلا من هذا ؟

وتصوير نجاح المؤمن في إجراء الصلح بين أجزاء عقله الباطن : إيهام خطير إذ معناه تحوير في حقيقة النجاح السلوكي المطلوب شرعاً ، ثمّ هو هدف ومقصد لا يسنده الدّليل الشّرعي .

بل النّصوص تدلّ على أنّ برمجة العبد نفسه أو غيره ليصل إلى حالة تختفي من مخيّلته صور المعصية ويسكت في نفسه داعي المعصية أمر خيالي ، بل النّصوص تدلّ على أنّ العبد لا يزال خطّاءاً تواباً ، وإذا كان كذلك فأيّ نفع يُرجى للدّعاة في البرمجة ؟

بل إنّ الّذي لا مرية فيه أنّ تطلّب علم البرمجة للدعوة إلى الله بدعة ضلالة ، وكان المفروض على الدّعاة أن ينهمكوا في طلب العلم الشّرعي أصوله وفروعه حتّى يكون لهم الحق في التصدّر للدّعوة ، لا أن يكون الواحد منهم علاّمة في الأنماط والإلغاء والجلاء البصري والمشي على الجمر ثمّ هو لا يعلم دليلاً على صحّة صلاته الّتي يصلّيها فضلاً عن أن يكون مصدر هداية لمن يدعوهم ويقوم على تربيتهم .

وهذا الّذي ذكرته من أنّ طلب البرمجة للدعوة إلى الله بدعة ضلالة أمر نصّ عليه العلماء في أمور مثل البرمجة ، ونصّ الأئمّة على أنّ الدعوة إلى الله وتقويم السّلوك وتهذيب النّفوس لا يكون إلاّ بكتاب الله وبسنّة رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فَذَكِّرْ

بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٤٥] ، و قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ [الأنبياء:٤٥] [1].

أضف إلى ذلك ما في نشر هذه العلوم من صرف النّاس عن تعلّم علوم الإسلام من الكتاب والسّنّة ومناهج السّلف الصّالح في تربية أنفسهم وأبنائهم والتعامل مع الخلل السّلوكي الّذي يقع بينهم سواء كان ذلك من أمور الآخرة أو من أمور الدّنيا .

٢ . **من الأهداف المعلنة لعلم البرمجة** : ((التأثير بشكل حاسم وسريع في عمليّة الإدراك والتصوّر والأفكار والشّعور ، وبالتّالي في السّلوك والمهارات والأداء الإنساني الجسدي والفكري والنّفسي بصورة عامّة))[2].

بمعنى أنّ من أهمّ أهداف علم البرمجة السّرعة والحسم ، فهما عاملان مهمّان في إبراز أهمية هذا العلم ، وهذا في الحقيقة جعلني أتوقّف أمام هذا الهدف طويلاً لعدّة أمور :

أوّلها : أنّ السّرعة والحسم في الحقيقة وإن كانا من حيث النظرة العقليّة المجرّدة أمراً محموداً غير أنّها في الجانب التربوي إمّا مذمومة وإمّا غير مجدية وإمّا مثاليّة تؤثّر على صحّة النتائج المطلوبة .

فالتّربية الّصّحيحة والتّقويم والعلاج السّليم هو الّذي ينتهج نهجاً بطيئاً مسلسلاً يراعي الأساس ويبني عليه ، وهذا يشهد له الشّرع والواقع ، أمّا الشّرع فأنت ترى كم

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله ١١/ ٦٢٠ ـ ٦٣٥ .

(٢) الهندسة النفسية للتكريتي ص٧ .

يصبر الشّرع على تقويم وتربية الفرد المسلم حتّى إنّه يمهله في التكليف إلى سنوات خمسة عشر غالباً ، وتتم مطالبة الفرد بأمور دينه تدريجاً ، بل إنّ الله تعالى من رحمته شرع الشّرائع تدريجاً .

وكذلك الواقع المشاهد ، فإنّ الطّفل يستغرق سنين عديدة يتلقّى عن والديه وبيئته المحيطة أصول الحياة الإنسانية من النّطق والحركة وتكوين العلاقات ، بل إنّ الشّاهد يشهد أنّ الاستعجال في طلب نتائج تربويّة قبل أوانها له مردود غير إيجابي في غالب الأحيان .

ومن هنا نعلم أن مسألة السّرعة في التأثير في عمليّة التقويم أمر ممكن من حيث الحدوث لكنّه غالباً ما يكون ذا مردود هزيل غير متماسك سرعان ما ينهار أمام ضغوط الواقع .

بعكس المنهج الرباني الّذي يراعي التدرج والتؤدة والتأسيس .

ويتأثّر هذا الأمر بمسألة الحسم كهدف تربوي وسلوكي تقويمي فإنّ الحسم وإن كان مطلوباً لكنّ الإصرار عليه أمر غير مقصود للشّرع ، لأنّ الإصرار عليه سيؤدي بالمربي إلى انتهاج مناهج مخالفة يظن أنّها تؤتي أكلها سريعاً ويترك هدى الله تعالى كما حدث مع ممارسي البرمجة ، فهم يلهجون بها لمايرون من نتائج ملموسة كما يقولون ، وهذا وإن كان أتى بنتيجة إيجابية في فرد فله عواقب وخيمة من حيث ترك المنهج الرباني وهجره إلى مناهج بشريّة .

والله تعالى عاتب النّبيّ ﷺ لمسألة الحسم هذه فقال : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦] .

ثانيها : أنّي عند التأمّل وجدت أنّ أنبياء الله تعالى وخاتمهم وسيّدهم محمّد ﷺ لم يكن لمنهجه التربوي هذه الميزة الموهومة : السرعة والحسم .

أمّا السّرعة فإنّ بعض من دعاهم للإيمان لم يؤمن إلاّ بعد سنين عديدة ، وبعضهم لم يؤمن أصلاً ولم يستجب له ومنهم من هو قريبه وحبيبه كعمّه أبي طالب ، وهذا يثير تساؤلات عديدة : هل الهندسة النّفسيّة تتفوق على منهج الأنبياء في القدرة على إحداث هذا التغيير السريع والحاسم حتى قال البعض أنّه يمكن في عشرين دقيقة ؟

وهل يمكن أن يتوصّل بشر إلى طرق ووسائل لإحداث التغيير في النفس البشريّة أفضل من وسائل النّبوّة ؟

إنّ هذا أمر يحتاج إلى تأمّل كثير ، خصوصاً وأنّ أصحاب الهندسة النفسيّة يعممون مجالاتها لتشمل حتى التغيير النفسي الروحي وحتى في مجالات الإيمان والاعتقاد !.

وأمر أخير : هو ما يعترف به علماء النفس والطب النفسي من نكوص كثير من الحالات التي ينجح العلاج معها ، فإمّا أن يعود المرض بصورة أقوى ، وإمّا أن تعود الأزمة لكن في صوَر أخرى من الاعتلال النفسي ، فإن كان الأمر كذلك عرفنا أنّ سبب ما يراه هؤلاء من سرعة النتائج أنهم ظنوا أنهم بتحويلهم السلوك الظاهري نجحوا في اجتثاث أسباب ودوافع السلوك مع أنها تكون كامنة في أعماق النفس .

وهم وإن ادعوا أنهم بالتنويم الإيحائي وغيره يستطيعون استخراج الدوافع والأسباب المؤدية للسلوك الخاطئ ، إلا أنّه يبقى عليهم أمران : أولهما الجزم بصحة ما توصلوا إليه ، والآخر : الجزم بأنه الوحيد ، وهذان الأمران في الحقيقة يصعب أن يصدق العاقل أن يحصلا للمعالِج خلال أيام فضلاً عن عشرين دقيقة !

مآخذ على الوسائل والطّرق

المقصود ذكر بعض الوسائل المذكورة في علم البرمجة للوصول إلى المقاصد والأهداف الّتي يذكرها مدربوا وممارسوا الهندسة النفسيّة :

١ . برمجة العقل الباطن بطريقة التّكرار :

لاشكّ أنّ التّكرار من وسائل الحفظ ، ومن وسائل إكساب النفس عادات معيّنة .

والدكتور **التكريتي** ذكر هذا في كتابه واستشهد له بالذّكر والدّعاء وهو استشهاد خاطئ ، وهو في رأيي من العظائم الّتي يقع فيها أصحاب هذا العلم حيث أسهل ما عندهم أن يستشهدوا بالقرآن على أمور لا تدل عليه وهذا استخفاف بالقرآن وتفريغ للحقائق الإسلاميّة من مضامينها العليا .

فذكر الله تعالى وإن كان فيه تكرار فإنّ غرضه ليس البرمجة كما يزعم الدكتور ، وإنّما الازدياد من الأجر والتّعبّد بهذا التّكرار ، بدليل أنّ هذا التّكرار ليس مطلقاً بل محدّد بأعداد وفي بعض الأذكار لا يُشرع التّكرار ، كما في بعض أذكار الصّلاة مثلاً .

والأذكار ليس سرّ تأثيرها التّكرار فحسب ، بل سرّها شيئان : المذكور وهو الله سبحانه وتعالى فالمؤمن يزداد بذكر الله إيماناً واطمئناناً حتى ولو لم يكن الذّكر ألفاظاً تُكرّر بل مجرّد استشعار معية الرب تعالى .

والأمر الآخر ألفاظ الذّكر وهي توقيفيّة وهي في الغاية من الحسن والبيان وتقع من الله محلّ الرّضا ، ولو قُدّر أنّ شخصاً اختار ذكراً وكرّره لم يحصل له شيء من بركة الذّكر المشروع إلاّ أن يكون تلبيساً من الشّيطان كما يلبّس على روّاد البرمجة .

وكذلك الدّعاء ، إنّه مقام من مقامات العبوديّة ، والدكتور يجعل من الإلحاح على الله بتكرار الدّعاء نوعاً من البرمجة للعقل الباطن ، وما علاقة هذا بهذا يا دكتور ؟

إنّ العبد يدعو الله تعالى ويلحّ طلباً لحاجته والله تعالى يحبّ العبد اللّحوح لأنّه أصلاً يحب من عبده أن يسأله ويدعوه .

وهذا الإقحام من الدّكتور وأمثاله لمثل هذه الأصول الشّرعيّة في مواضيع البرمجة تلبيس وإيهام للمغرورين بأنّ أصول هذا العلم من صميم الإسلام ، ونحن لا ننكر أن يكون للعلم العصري أصول إسلاميّة ، لكنّنا نريد الحقيقة كما هي دون مزايدة ودون التّأثير على الحكم والغايات الشّرعيّة .

فالذّكر والدّعاء أسرارهما شرعيّة لا أنّها مجرّد برمجة للعقل الباطن بالتّكرار ، وعلى كلام الدّكتور ماذا لو كرّر الذّكر والدّعاء من لا يؤمن بالله تعالى هل يحصل له نفس ما يحصل للمؤمن بها ؟

٢ . مسألة بناء التوافق :

هذا العلم في أصله علم يصلح لطلاّب الدّنيا ، في الاقتصاد والتجارة والسياسة ، خصوصاً لغير المسلم ممن لا يهمّه مراعاة أصول إسلاميّة في الشّرع وفي الآداب كذلك .

ومن عجائب هذا العلم الّتي ينقلها لنا **المتهوكون** فيه : مسألة بناء التّوافق .

من الضّروري القناعة بأنّ إيجاد جو من الألفة والتوافق بين المرسل والمستقبل أمر مهم للوصول إلى نتائج إيجابيّة من الاتّصال .

لكن يجب أن نعلم أيضاً أنّ المؤمن يصل في هذا الأمر إلى حدود لا يتعدّاها ، وهذه الحدود سواء كانت من قبيل الحلال والحرام أو من قبيل الأدب الشّرعي الإسلامي الّذي يتميّز به المسلم فإنّه لا ينبغي أن يُطلق الأمر هكذا كما هو عند المبرمجين .

ومن الملاحظ على ما يذكره أصحاب البرمجة اللغويّة في مسألة بناء التّوافق :

أولاً : أنّه هكذا بإطلاق يصبح تدريباً على النفاق والمداهنة ، فإنّ الواجب أوّلاً أن يُذكر الهدف من هذا التوافق ، فإن كان هدفاً نبيلاً مثل الدّعوة إلى الله تعالى أو إصلاح ذات البين : فيمكن أن يُقبل شيء مما يُذكر أمّا أن يكون الهدف تملّق مسؤول للحصول على وظيفة أو صفقة أو مكسب تافه فإنّ المؤمن يربأ بنفسه عن مثل هذه التصرفات .

ثانياً : الطّرق الّتي يذكرها الفقي و**التكريتي** في وسائل خلق الألفة وإيجاد التوافق مسائل غاية في السّخف والتفاهة تماماً كما هي البيئة الّتي صدر منها هذا العلم ، خذ مثلاً مسألة التوافق في التنفّس أو الحرص على مشاكلة المتلقي في لباسه أو حركاته ، حتّى لو

كانت عادته أن ينظّف أنفه بكثرة بإصبعه فإنّ من السّائغ عندهم أن تفعل مثله لتخلق جواً من الألفة والتوافق.[1]

إنّ الإسلام النّقي الرّاقي بكلّ مافيه من تعاليم وآداب شرع لنا من وسائل التوافق وبناء الانسجام مالا تعرفه الرأسماليّة الغربيّة .

فعندنا على سبيل التمثيل فقط : التبسّم ، الكلمة الطّيّبة ، العفو ، التكافل ، بذل المعروف ، مقابلة الإساءة بالإحسان : وغير هذا كثير ، حتّى إنّ الله تعالى ذكر مقدار ما تؤثّر فقال في مقابلة الإساءة بالإحسان فقال : ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ [فصلت:٣٤] ، هكذا : من عدو إلى وليّ حميم : ليس ظاهرياً نفاقياً كما تعلّمنا البرمجة بل حقيقة وواقعاً ، فماذا فعل عفوه ﷺ عن أهل مكّة ؟ لقد كان مسلمة الفتح من خير أهل الإسلام في زمن متأخّر ، والجميع يعلم أنّهم لم يرتدّوا بعده ﷺ بل ثبتوا على الإسلام وكان لبعضهم مواقف مشهودة في أيّام محنة الإسلام كسُهيل بن عمرو وأبي سفيان وغيرهما رضي الله عن الجميع .

فهذا كلّه تركه أهل الإسلام في عصرنا ولجؤوا إلى سخافات الكفّار ونفاقهم فبئس الملجأ ، وصدق الله تعالى : ﴿ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ﴾ [البقرة:٦١] .

---

(١) مذكرة الفقي ص٧٣ و٧٤، وآفاق بلا حدود ص١٠٠ و ١٠١ .

ثالثاً : ما قلناه من أهمّيّة خلق جوّ الألفة وبناء التوافق مع أهمّيّته خصوصاً في أهداف سامية كالدّعوة إلى الله تعالى مشروط بأن لا يكون ذلك على حساب انتهاك الحرمات والسّكوت عن المنكر ، فلا يجوز الجلوس في أماكن اللهو والمنكر أو إقرار مرتكب المحرم أثناء الفعل على فعله بغرض استمالة قلبه أو خلق جو الألفة فإنّ هذا خطّ أحمر لايجوز تجاوزه ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]، وقد نهى النّبيّ ﷺ أن يُجلس على مائدة يُشرب عليها الخمر [1]، فإمّا زوال المنكر وإمّا القيام من المجلس .

وما يذكره أصحاب البرمجة يفتقر إلى ذكر مثل هذا القيد الشرعي ، ونخشى أنه مع تغلغل هذا العلم في صفوف وعقول النّاس أن تطغى مبادئه وأصوله على أصول الشّرع وأحكامه المحكمة ، بل هذا حاصل فعلاً ، فكم من أهل الصّلاح من يجالسون أصحاب المنكر دون إنكار أو هجر لمجالسهم فإذا سألتهم برروا هذا بخلق جو الألفة واستمالة قلوب العصاة للدين ، وهذا مخالف للسّنّة صراحة وهو أمر لا يُقبل فيه تمحّل أو تأويل ، اللهمّ في مسائل معدودة لا تُعتبر قاعدة يُبنى عليها .

٣. التركيز على قوة التخيّل في التوجيه :

---

(١) قال ﷺ : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يشرب عليها الخمر) أخرجه أحمد ١٤١٢٤ ولأبي داود نحوه ح ٣٢٨٢ .

تعتمد كثير من طرق الإسقاط والبرمجة اللغوية على الخيال ، مثلاً في تحويل المناط ، وفي تغيير الاعتقاد ، يعمدون إلى تخيّل نزاعات النّفس بين الخطأ والصواب كأنّهم أشخاص لكل منهم رأي يخالف الآخر ثمّ يجرون حواراً بينها بطريقة معيّنة ليصل الجميع إلى قناعة بتحويل السلوك أو تغيير الاعتقاد .

وكذلك مسألة الحافز ومسألة الاتّحاد والانفصال ، ومن أشهر ذلك ما يكرره البعض من أنّ على المحبط أو الّذي يعاني من الرهاب الاجتماعي مثلاً أن يعمد إلى شخصيّة مشهورة ويتخيّلها بعمق ويتقمّص دورها سواء كان خطيباً مشهوراً أو معلماً أو مديراً أو سياسياً .

ولي هنا ملحوظتان :

الأولى : إنّ الإغراق في استعمال الخيال فيما أظنّ وأعتقد مخالف للأصول التّربويّة الصّحيحة ، خصوصاً مع اختفاء وفقدان معايير ينبغي توفّرها في البيئة الّتي تتلقّى مثل هذه الدورات .

فهناك في الغرب توجد معايير علميّة واقتصاديّة تساعد على اعتماد مثل هذه الطرق ، ولكن في بيئاتنا العربيّة المتخلّفة علمياً وسياسياً واقتصادياً ، البيئات الّتي لا توقّر العلم ولا تهتم بالبحث العلمي ولا تقيم وزناً إلاّ للوجاهة والمظهريّة والمال فقط .

في هذه البيئات أخشى ما أخشاه أن يؤدّي تطبيق مثل هذه الطرق إلى حبس المتلقّي في خياله ، فإذا تخيّل نفسه الباحث العلمي الشّهير فإنّه سيصطدم بواقع لا يتيح له قدراً من الوقت والجهد للتفكير بغير ((لقمة العيش)) .

وإذا تخيّل نفسه مبتكراً مخترعاً فإنّ الواقع سيصدمه بحقيقة أنّنا في عالمنا العربي لا يوجد من يقدّر ((العلم للعلم)) ولن يجد من ينفق على أفكاره قرشاً واحداً إلاّ في ابتكار مثل الدّجاجة الّتي تبيض ذهباً .

إنّ الخيال الواسع والأمنية والحلم هي المبادئ الّتي انطلقت منها النّجاحات الفريدة في تاريخ البشريّة ، فلولا أنّ الله تعالى أعطى للخيال حدوداً أوسع وأرحب من الواقع وجعل الانطلاق فيه مباحاً لكان من الصّعب جداً وجود الإبداع ، ولكن ليس ذلك لأنّ الخيال سبب في تكوين الملكة وخلق الإبداع كما يصوّره المبرمجون ، وإنّما لأنّ الخيال والأمنية والحلم الكبير دافع وحافز للبذل والاجتهاد في الوصول إلى أهداف كبيرة لكن مع هذا لابدّ أن تكون ((وفق المتاح والمعطيات)) وإلاّ كان ضرباً من أحلام اليقظة والأماني الزّائفة .

الثّاني : أنّ كثيراً من الأساليب الّتي تعتمد على التّخيّل كمخاطبة الأجزاء وتخيل الصور والخط الزمني ونحوها يذكّرنا بما يستخدمه الأطبّاء النّفسيّون ونحوهم مع المرضى وأصحاب التّوهّمات من غير الأسوياء ، كذلك المريض الّذي يظنّ أنّ فوق رأسه جرة كبيرة يحافظ عليها من السقوط ، فكان شفائه على يد طبيب كسر جرة خلفه وأوهمه بأنها هي الّتي كانت فوق رأسه ، ونحو هذا من القصص الّتي تعتمد على مقاومة التخيّل بتخيّل ومجارات المريض نوعاً ما حتى يتخلص من عقدته ، وهذا كما ترى إن كان يصلح مع المرضى فإنّ اعتماده كوسيلة مع الأسوياء خطأ بلا شك ، فليس

ما يصلح للمرضى وغير الأسوياء نفسياً يصلح للأصحاء ، بل هذا يعرضهم في الحقيقة إلى الدخول في حالة نفسية وسلوكية غير طبيعية .

٤ . التنويم المغناطيسي :

يكثر في علم البرمجة استعمال التنويم المغناطيسي ، فما هو ؟ وما حكمه ؟

في الحقيقة إنّ كثيراً من الباحثين وقفوا عاجزين عن تفسير أو تعريف التنويم المغناطيسي ، وهذه مقالة أخذتها من أحد المواقع المتخصّصة على الإنترنت ، تقول الدكتورة **منى كريم** وهي رائدة علم **البايوجيومتري** مع زوجها **إبراهيم كريم** : متحدثة عن ظاهرة التنويم : ((ومن حالات الوعي المتغايرة نستعرض حالة التنويم ، هذه الحالة التي تعجز الأكاديميات العلمية تحديد تعريف لها .

إن هذه الحالة تستطيع أن تتحكم بالإنسان فباستطاعتها أن تجعله يهلوس ، يحمل الأثقال ، .. إلخ ، فكيف استطاع التنويم فعل هذا بالإنسان ، يقول العلماء بأن الربط بين هذه الظواهر هو نتيجة لمجموعة غريبة من الظروف التاريخية . في البدء كان مفهوم ومصطلح التنويم مختلف حيث أعتقد ((**فرانتس ميزمير** : طبيب نمساوي)) أن هذه الظاهرة تتضمن انتقال تأثيرات مغناطيسية حيوانية عبر المرحلتين التاليتين : **المرحلة الأولى** : تمرير مغناطيس نحو جسم المريض ، **المرحلة الثانية** : استخدام تمريرات من يده بدل من المغناطيس معتقداً بأن المغناطيسية الحيوانية موجودة في جسمه ، وأن هذه المغناطيسية الحيوانية تنشط دورة المائع المغناطيسي في جسم المريض التي يكون قد

أضعفها المرض ، ومع مرور الزمن تغير مصطلح الظاهرة من مغناطيسية حيوانية إلى تنويم مغناطيسي [1].

ومن الجدير بالذكر أن التنويم له فائدة كبيرة في الطب حيث يقوم بالاشفاء من أمراض الحساسية ، الصدفية ، الثؤلول والسيطرة على الألم ، بالإضافة للتغييرات التي يحدثها في درجة حرارة طبقات الجلد الخارجي ، وتغييرات فيزيائية وفسيولوجية أخرى في الجسم ، أخيراً ، وبناءاً على عالم التنويم الغامض ، وحالات الوعي المتغايرة بظلامها ، هل من المستغرب أن لا تحدد الجمعية الأمريكية للتنويم السريري [illegible] تعريف التنويم ؟!))[2].

وما يحاول بعض النّاس إقناعنا به من أنّ التنويم هو الوصول بالمنوم إلى المرحلة الثانية من مراحل النوم ووو إلخ ، مما يوحي بوضوح أمر التنويم هو محاولة بائسة كما سيتّضح أكثر .

وعند تبسيط الأمر فإنّ خبراء التنويم يقولون : إنّ الإنسان يمر في عدة مراحل حتى يستغرق في نوم عميق ، وأنّ التنويم المغناطيسي هو الوصول إلى حالة وسطى بين الصحو الكامل وبين الاستغراق في النوم ، وفي هذه الحالة يمكن للمعالج أن يستخرج من المريض خفايا لا شعوريّة تعين على علاجه .

---

(١) ويسمّونه الآن التنويم الإيحائي زيادة في التلبيس وإضفاء صفة العلمية عليه .

(٢) [illegible].٥-٢٤[illegible]/ ٠٢[illegible]/ ٠٢[illegible]/ ٢٠٨.١٨٥.٨٢.١٣٧/ / :[illegible]

ويقول آخر : التنويم المغناطيسي حالة نفسية يقبل فيها العقل الباطن الإيحاءات الموجهة في الوقت الذي يكون فيه العقل الواعي معطلاً مع استمرار العقل الباطن مستيقظاً دون أيّ ضرر ولا يحدث دون إرادة الشخص .

ويقول آخر : التنويم المغناطيسى يستخدم الطاقات الكبيرة للعقل الباطن لإحداث نقلة ، وتجربة التنويم شعور مريح واسترخاء وليست مرحلة نوم عميق ، ولكن يكون الشخص فى مرحلة نشوة يسمع الأصوات ويشم الروائح ويدرك التحركات ويتحكم بتصرفاته فالتنويم ليس نوماً بل حاله استرخاء تامة يكون فيها التركيز على الداخل . انتهى .

والّذي يهمّنا هنا أن نعلم أنّ للتنويم المغناطيسي دور كبير في علم البرمجة ، إذ يدخل في أكثر تطبيقاته ، بل إنّ بعض المشهورين من المدربين ينتقد عدم التوسّع في تدريب المتدربين بطريقة التنويم المغناطيسي ، حيث يجعل من أسباب تدني وانحسار التدريب أنّ ((كثيراً ممن يدرب الـ ((□)) لا يستخدم التنويم الإيحائي وهو بذلك يحاول حشر المعلومات في عقل المقابل بغض النظر عن مدى برمجة المقابل على تطبيق ما يتعلمه، بل وطلب التسليم الكامل من المتدرب بدون أي نقاش للمعلومات)) ولهذا يوصي بـ ((التخلص من سلبية مدارس الـ ((□)) واتحاداته وإن سميت بعالمية لأن أغلبها يدرس ((□)) بالشكل القديم لـ د. **ريتشرد باندلر** وهو أسلوب تدريس المعلومات وليس عملية إدخال الأفكار لعقل المتدرب □□□□□□ □□□□))[1] .

---

(١) □□: / /□□.□□□□.□□ /□□□٣.□□

ويدّعي المقتنعون بالتنويم إفادته في التعليم والتربية وعلاج المشاكل النّفسيّة والأمراض المستعصية والتّخدير وأشياء كثيرة .

والّذي غرّهم في هذا كلّه ما سبق وأن ذكرناه في اعتمادهم على صدق التّجربة في مشروعيّة هذه الوسائل .

ونسجّل هنا الملاحظات التّاليّة :

أوّلاً : يكذب أو يخطىء أو يغالط من يقول إنّ التّنويم المغناطيسي لا يؤثّر في إرادة المريض ويحدّ من إرادته ، بل الصّحيح أنّ التنويم يفعل هذا ، وإن كان ليس بالضّرورة يكتمل تأثيره عند جميع الأشخاص ، وإلاّ فإنّ الأصل في التنويم أنّه يحدّ من إرادة وشعور المريض ويمكّن المعالج من التأثير فيه سلباً وإيجاباً ، حتّى إنّ بعض المنوّمين استغلوا مرضاهم فسرقوهم ، وقد نشرت جريدة الرياض حادثة طريفة تدل على هذا [1].

---

(١) استطاع اخصائي التنويم المغناطيسي الجشع ستيفن هيمويتز ان يخضع ايروين اوران، رجل الاعمال الثري، الذي كان يتردد عليه دائماً، لنفوذه وارادته ويسحب منه في هدوء ملايين الدولارات، كما جاء في الدعوى القضائية التي رفعها اوران ، قال اوران، وهو احد اثرياء مدينة نيويورك، ان هيمويتز اخذ منه مبلغ ٧٠٠الف دولار عن طريق الغش والاحتيال، و، ٤٥ملايين دولار على شكل لوحات ومجوهرات ومقتنيات ثمينة. واوضح اوران (٧٦عاماً) في الدعوى التي رفعها لمحكمة مانهاتن العليا ان هيمويتز (٥٩عاماً) قد سلبه ارادته وجعله في حالة غريبة من "سهولة التأثر بالايحاء". وكان الرجلان قد التقيا

والّذي يزيدهم تناقضاً أنّهم يقولون إنّ الشخص المريض يكون في كامل التحكم في إرادته وأفعاله وأنه يعي ما يُقال له ويستطيع أن يرفض ما لايريد ، **وإذا كان الأمر كذلك فما الفرق بين حالة الصّحو الكامل إذاً وبين الحالة التي يصل إليها في حالة التنويم ؟**

إنّ الواقع يشهد أنّ كثيراً من النّاس عند دخوله في النعاس يمكن أن يقول ويتصرف تصرفات لا يشعر بها بل وقد يُطلب منه شيء لا يريده ويفعله تحت تأثير النّقص الّذي يحدث في قدرته على التركيز والتحليل العقلي مما يجعله عرضة للسخرية أو التندّر .

فما بالك إذا كان تحت تأثير تنويم متعمّد له أساليبه الشيطانيّة ، لاشكّ أنّ هذا يكون أكثر تأثيراً ، ولهذا استُخدم التنويم بشكل واسع في التحقيق الجنائي .[1]

عام١٩٨٥عندما بدأ هيمويتز في معالجة صديقه من حالة اكتئاب كان يعاني منها . وكان اوران واقعاً تحت تأثير التنويم المغناطيسي العميق لعدة ساعات عندما اقنعه اخصائي التنويم ان اجهاده واكتئابه سيذهبان عنه اذا جعل جميع شؤونه المالية والتجارية تحت سيطرة هيمويتز. فوافق اوران علي تلك الصفقة، وهو في تلك الحالة من النوم العميق. وانتهت المسرحية وانكشفت حلقاتها عندما طلب اوران من صديقه وطبيبه رد نقوده ومجوهراته اليه ، فأنكر الاخير انه اخذ شيئاً مما يقول صديقه منه. وقدم كلا الطرفين ادلته التي تساند ما يؤكد صدقه في مزاعمه وبقيت كلمة الفصل للقضاء .(جريدة الرياض الخميس ٢٥ شعبان ١٤٢٣العدد ١٢٥٥٠ السنة ٣٨) .

(١) علم النّفس الجنائي ص٣٠٨ .

ثانياً : مع ما سبق أن ذكرناه من أنّ التنويم المغناطيسي مازال محيراً في تعريفه تعريفاً دقيقاً إلاّ أنّه بالنّسبة لأهل العلم بالله وبدينه معلوم أنّه نوع من الوسائل **السحريّة** الّتي تُصنّف شرعاً ضمن **السحر** .

فإنّ **السحر** هو تأثير في نفس المسحور أو بدنه سواء كان تأثيراً سلبياً أم إيجابياً فكلاهما حرام لحرمة استعمال **السحر** أصلاً ، فأيّ تأثير من هذا القبيل فهو سحرٌ محرّم ، ولهذا عدّ النّبيّ ﷺ أنواع من **السحر** مثل النّميمة[1] ، وذلك لأنّ النميمة تؤثّر في نفس المنقول إليه تأثيراً كالسّحر ، وبل سمّى البيان سحراً وهو سحر حلال .

ولعلّ الّذي يمنع البعض من تقبّل كون التنويم ضرباً من **السحر** أنّه يرى الأمر وما فيه أنّه نوم ، وثانياً : أنّه يتصوّر **السحر** كلّه نوع واحد وكلاهما خطأ .

أمّا كونه مجرّد نوم فإنّ من الضّروري لفت النظر إلى أمر مهم : ألا وهو إنّ إحداث أيّ تغيّر حيوي دون سببه الظاهر وظرفه الظاهر هو نوع من **السحر** ، فالبكاء أمر طبيعي حين يكون له سببه الظاهر لكن إذا استطاع شخص أن يؤثّر في شخص فيبكيه دون سبب ظاهر فيكون هذا تلاعباً في خصائصه النفسيّة فهو من **السحر** المحرّم ، وقل مثل ذلك في الضّحك ، ومثله في النّوم .

---

(١) عن عبد الله بن مسعود قال إن محمدا ﷺ : (قال ألا أنبئكم ما العضه هي النميمة القالة بين الناس وإن محمدا ﷺ قال : (إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقا ويكذب حتى يكتب كذابا) أخرجه مسلم ح٤٧١٨ .

فالشّخص إذا نام بسببه الطبيعي دون تدخّل فهذا لا كلام فيه ، ولكنّ الكلام إذا كان ينام تحت تأثير وسائل نفسيّة أو روحيّة كالاسترخاء والتركيز أو بعض الألفاظ فهذه لا شكّ ولا ريب أنّها ضرب من ضروب **السحر** المحرّم .

و أمّا تصوّر **السحر** كلّه هو ذلك التأثير الّذي يقتل المسحور أو يحوّله إلى مأساة إمّا بمرض أو جنون أو عقم أو نحو ذلك فهذا خطأ ، بل **السحر** أعمّ من ذلك ، فهو تأثير خفي في الآخرين ، ولذلك عرفه العلماء بأنّه ما لطف وخفي سببه ، وأكبر خصائص ومميزات السحر هو القدرة على التأثير على الآخرين بدون آلة ظاهرة أو وسيط ظاهر.

والتنويم المغناطيسي في حقيقته وواقعه تأثير في المريض إذ يتم فيه انتزاع معلومات لا يقبل المريض ـ عن عمد أو بغير عمد ـ الإدلاء بها ، ولهذا لم يتردّد أهل العلم في الحكم بتحريم استعمال التنويم المغناطيسي لكونه من جنس **السحر** المحرّم ولو كان له مردود إيجابي **فالسحر** محرم كلّه أياً كانت غاية **الساحر** ، وأنقل هنا فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ضمن اللجنة الدائمة للإفتاء في التنويم المغناطيسي ، قالت اللجنة : ((**التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني يسلطه المنوِم على المنوَم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بسيطرته عليه إن صدق مع المنوم وكان طوعا له مقابل ما يتقرب به المنوم إليه ويجعل ذلك الجني المنوم طوع إرادة المنوم يقوم بما يطلبه منه من الأعمال بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذه طريقا أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز بل هو شرك لما تقدم ولأنه**

التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها الله سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم))[1].

ثالثاً : أنّ هناك تشكيكٌ كبير في جدوى المعلومات الّتي يدلي بها المريض ، إذ دلّت دراسات عديدة على أنّ المريض يتأثّر بالأسئلة الإيحائيّة الّتي يسألها المنوّم فقد يخرج بإجابات غير صحيحة ، ولذلك يقول البعض إنّه لا توجد أدلّة دامغة على أنّ ما يذكره المريض أثناء جلسة التنويم من معلومات صحيح [2]، وإذا كان كذلك فإنّ احتمال خطأ هذه المعلومات وارد جداً ، وإذا كانت هذه المعلومات الّتي يبني عليها المعالج طريقته

---

(١) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ رحمه الله الجزء الثالث ص٣١٣ ، ومن المهم فهم مسألة تسليط الجني ، فليس من شرط ذلك أن يكون المنوِّم عالماً بمساعدة الجني له ، إن شياطين الجن تضل الناس بتصوير الأمور على غير حقيقتها ، فتصور للمنوِّم أنه يؤثر في المريض ويعالجه وينومه بطريقة الإيحاء بأساليب يذكرونها كالتركيز على نقطة معينة أو سماع أصوات معينة ونحو ذلك ، والشيطان يعمل من خلف الكواليس كما يُقال فينوِّم المريض ويعتقد المعالج أن السبب هو أساليبه المعينة ، ومما يزيد الأمر وضوحاً أن السلف يقولون : النوم عند قراءة القرآن من الشيطان ، بل هذا لا يحتاج إلى تدليل ، فهل يصح أن يُقال إن القرآن وسيلة للنوم وأنه يجلب النوم اغتراراً بظاهر الحال ؟ كلا ، بل حرص الشيطان على إكسال القراء والمتعبدين هو السبب ، وعلى ذلك فقِس .

(٢) علم النفس الجنائي ص٣١٤ ، ٣١٥ ، وانظر أيضاً مدارس علم النفس المتعاصرة ص٢٢٢ ، وقيل مثله في طريقة التحليل النفسي وعيوبها من تحيّز المعالج وأنه في الغالب يكون متحيزاً بسبب خبراته التي توجه نتائجه واستدلالاته ربما بعيداً عن الحقيقة ، وكذلك تحيّز المريض تجاه المعالج ومسايرته له مما يبعده أيضاً عن الواقع ، انظر الديناميات النفسية ص ٦٩ .

في علاج المريض أو الحالة الّتي أمامه محتملة الخطأ فهذا يعني ضياع خاصية السرعة والحسم في استعمال التنويم والإيحاء في البرمجة .

رابعاً : إنّ دور الشياطين في فتنة بني آدم معلوم للمؤمنين بالله ورسوله ﷺ ، الّذين يقرؤون كتاب الله ويتدبرون مافيه ويعلمون ما فيه من الأصول الشّرعيّة ، ولهذا فإنّ من المقطوع به عند أهل العلم أنّ للشياطين دور في تسويق هذا الفن الإبليسي عند المغرورين به ، فمسألة استخدامه في التخدير وفي إيقاف النزيف أو شفاء الأمراض المستعصية نفسية كانت أو عضوية أمر لا ننكره ، ولكن هل كلّ ما نرى له نفعاً ظاهرياً نستعمله ؟ إن كنّا على شريعة الكفرة الفجرة الّذين لا دين لهم ولا ملّة فنعم ، وأمّا إن كنّا على ملّة الإسلام ودين محمّد ﷺ فإنّ الله حرم علينا استعمال **السحر** ولم يقل لنا الإسلام إنّ **السحر** لا يعطي نتيجة ، بل ما تسابق الناس إليه إلاّ لأنّه يعطي نتائج إيجابيّة دنيوية لكنّه كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة:١٠٢] فكيف يستسيغ مؤمنٌ بالله ورسوله أن يتعامل بالتنويم المغناطيسي الّذي حار روّاده من الغربيين أصلاً في الوصول إلى حقيقته لأنّه فعلاً سحر والسحر هو ما لطف وخفي سببه .

والّذي يذكره لنا بعض سحرة التنويم الإيحائي أنّه مجرد وصول بالمريض إلى حالة بين النوم العميق وبين الصّحو ليس إلاّ وصفاً لما يحدث للمريض فليس علماً بحقيقة التنويم ، فلا يجوز لأحد أن يلبّس على النّاس دينهم ويقول إنّ التنويم هو حالة من

النعاس ومرحلة وسطى من النوم فهذا **وصف ما يحدث لا حقيقة ما يحدث** ، وفرق كبير بينهما .

حتّى إنّ بعض المختصّين يقول : ((والحقيقة هي إنه لا يوجد شرح مؤكد لكيفية عمل التنويم المغناطيسي))[1].

فحقيقة ما يحدث إذن أنّ شياطين الجن تتدخّل في التنويم الإيحائي أو المغناطيسي لتؤثّر في نفس المريض وتجعله في حالة من الوقوع تحت سيطرة إمّا تامّة أو جزئيّة للمعالج ، ولاشكّ أنّ هذا مخالف للشّرع وللقوانين العرفيّة إذ هذا يعني أنّنا سلّطنا ومكّنّا **السحرة** من مزاولة أنشطتهم تحت مسمّيات علميّة .

ولا يقدح في هذا كون المعالج مؤمناً وأنّه يقرأ القرآن بل ربّما كان حافظاً لأنّ مسألة الإضلال الشيطاني لا يمنع منها قرآن في قلب مقتنع بأنّ ما يفعله مشروع فالشيطان هنا لا يتدخّل للوسوسة بل المعالج مقتنع بمشروعية ما يفعل فهو يتدخّل ليعينه ويزيده ضلالاً واقتناعاً بهذا **السحر** الّذي يسميه تنويماً ليفتنه ويفتن به من شاء الله إضلاله من النّاس ، نسأل الله العافية .

شبهة :

---

(١) [illegible]

يستدل البعض على جواز التنويم المغناطيسي بما ذكره ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في قوله : إنّ على الطبيب ((أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية والعلاج بالتخييل فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل إليها الدواء))[1].

وهذا لا يصح لأن التخييل لفظ عام يدخل فيه التنويم ويدخل فيه غيره ، فحمله على التنويم المغناطيسي مجرد خرص .

فبعض الناس يعالج نفسه بالتخييل : أقصد أنه يعالج حالة عابرة ، مثلاً بعض الناس قد يُصاب بنوع من اليأس أو الملل بسبب طول الوقت أو بعد الهدف ، فيلجأ إلى الاستغراق دائماً في تخيل نفسه وقد انقضت السنين وحصل على مقصوده وهدفه فيشعره هذا بنوع من الجد والانتعاش والإقبال النفسي ، فهذا يدخل فيما قاله ابن القيم ، بل نحن نستعمله مع أبنائنا وطلابنا فنقول للواحد تخيل أنك انتهيت : تخيل أنك الآن طبيب مرموق أو عالم مشهور فيدخل المستمع في حالة شعورية تجدد فيه الأمل والنشاط [2]، فهل هذا هو التنويم الإيحائي ؟ إن كان كذلك فحي هلا .

أما ما نعرفه حقاً وصدقاً أن التنويم الإيحائي تدخل المريض في حالة لا شعورية هذا هو الأساس في هدف التنويم ومقصوده لأن بقاء المريض في حالته الشعورية يعيق

---

(١) زاد المعاد ٤ / ١٤٤ .

(٢) ومنه اشياء ذكرها الفقي في بعض كتبه وهي حسنة كطفل يخاف من القط فيجعله يتخيله في مناظر مضحكة تزيل من قلبه الرهبة منه على الأقل تمهيداً للتجربة ، فهذا أمر عابر كما قلنا لا يتعارض مع منهجية الشريعة المطهرة وتوحيد المصدر .

الطبيب ـ كما يزعمون ـ ويحرمه من الحصول على معلومات مهمة قد تكون سبباً في شفاء المريض .

ثم إن ابن القيّم يوصي بالتخييل مع المرضى ، فهذا كما قلنا سابقاً إنه يمكن قبوله من باب الضرورة ، أما أن يكون التخييل وسيلة تربوية أو وسيلة لتغيير أنماط السلوك الإنساني والتحكم فيه فهذا منهج لا يقول به ابن القيم وهذه كتبه بين يدي الجميع هل فيها شيء من هذا التهريج ؟!

٥ . الرابط :[1]

الرابط وفكرة الإرساء مأخوذة برمّتها من أبحاث علم النفس الارتباطي وقد كان له مدرسته وعلماؤه في القرن الثامن عشر (٢)، فمسألة ارتباط الأفكار ببعضها أمر مقطوع به يشهد له الواقع ، وتداعي الأفكار والخبرات له أثره في سلوك الشخص واعتقاده .

والذي يثير العجب من مسوّقي البرمجة العرب أني مع كثرة بحثي وتنقيبي لم أطلع على دراسة عربية تقوم بعملية نقد علمي تجريبي لقوانين وتقنيات علم النفس التي أتوا بها وأدرجوها ضمن البرمجة اللغوية ، وهذا هو داؤنا العربي المزمن ، فالبلاد العربية تضل أسواقاً لترويج البضائع الغربية ، وليت ما يصلنا من البضائع هو الأفضل

---

(١) آفاق بلا حدود ص١٢٣ .

(٢) مدارس علم النفس المتعاصرة ص٥١ .

والأسلم ، بل اعتدنا على تخصيص البلاد العربية بأسوأ منتجات الغرب وبما انتهت صلاحيته أو قاربت .

ومثل ذلك في العلوم ، فإننا نظل فقط نستهلك ما ينتجه الغرب نطبق فقط مقتنعين بما توصلوا إليه ، ثم ليتنا نكون مواكبين بل الأدهى من ذلك أننا نتعامل مع نظريات عفا عليها الزمن عندهم وتجاوزوها إلى غيرها ، ثم يأخذها بعض المنتفعين منا لتسويقها دون تمحيص ، لا أقصد هنا تمحيصها من المخالفات الشرعية ، فليس هذا كل همنا ، بل المراد إخضاعها للبحث والتحليل والتجربة فربما نطورها وربما نفندها ، أما أصحابنا المبرمجون فاستوردوها كما هي وقاموا بتسويقها ، ومن كان منهم يهمه أمر الدين حاول أسلمتها كما يُقال .

وفكرة الرابط تقول : إن عقل الإنسان يستدعي أحاسيس وحالات شعورية معينة بسبب ارتباطها بأمر حسي ، صورة أو صوت أو ملمس ربّما .

فأنت تلاحظ أنك أحياناً ترى منظراً فتشعر بالسرور لأن هذا المنظر ارتبط بموقف سار مررت به ، كمن يرى ((البشت)) فيشعر بالسرور لارتباط صورته بيوم عرسه .

وكذلك الحزن والاكتئاب أو الخوف قد يرتبط بمنظر ، كمن يخاف أو يحزن إذا رأى منظر الدم ، لأن هذا المنظر ارتبط في اللاوعي بموقف وفاة شخص عزيز مثلاً ، فيظل كلما رأى الدم يستدعي الحالة الشعورية التي توافقت معه .

وهذا أمر مشاهد لا يحتاج إلى استدلال ، ومن ثم وظفت البرمجة هذه الحقيقة فيما يُسمى : الإرساء ، حيث تقوم الطريقة على أن الشخص يقوم بعملية استرخاء عميق

يتذكر فيها موقفاً ساراً مثلاً ، ويندمج فيه خيايلاً طبعاً ، فإذا وصل إلى قمة شعوره بها قام بعملية ربط هذه الحالة السارة التي يشعر بها بأمر حسي : مثلاً يضغط بقوة على إصبعه الخنصر ثم يفلته ، فبتكرار المحاولة يصبح الشخص قادراً على أن يستدعي الحالة الشعورية المرادة بمجرد الضغط على الرابط .

فلو أنه مرة أحس مثلاً بحزن وأراد الخروج من هذه الحالة فما عليه إلا الضغط على إصبعه (استخدام الرابط) فيتحول إلى حالة السرور مباشرة ، وقس على ذلك أي حالة شعورية يُراد تبديلها إلى أخرى : مثل الخوف والشجاعة ، الخجل والجرأة .

هذا باختصار مفهوم الرابط أو الإرساء البسيط عند المبرمجين .

وأنا هنا أحب فقط أن أقول : إن هذا الذي قالوه خطأ لو تأملوا جيداً ، فإن الحالة الشعورية مرتبطة بتذكر الموقف المرتبط بها لا بالرابط الحسي ، وإنما الذي أدى إلى تبني فكرة الرابط الحسي هو التوهّم فقط ، بدليل أنّه يمكن أن يكون الرابط الحسي صالحاً لأكثر من حالة شعورية .

والذي يحدث أن الشخص حين يتذكر استخدام الرابط فإنه مباشرة يتذكر الصورة أو الموقف الذي استخدمه في الإرساء فعند ذلك يدخل في شعور مماثل لما شعر به في ذلك الموقف ، هذا من جهة .

ومن جهة أخرى فإن الرابط والإرساء يمكن أن يُقبل التعامل به لكن في حيز وفي ادخل إطار الشعور ، أما الحركة والاستجابة الفعلية فلايمكن أن ينفرد الرابط بتحويل السلوك مالم نقوم بعملية فلترة للعوامل المحيطة بالشحص والتي تسبب عنها وجود

السلوك المعين ، فمن كان مثلاً يخاف من أسد ماثل أمامه هل يمكن أن يقوم الرابط وحده بتحويل حالة الخوف إلى شجاعة ومواجهة .

ثم إن الرابط والإرساء يفترض أن الحالة الشعورية المستهدفة أضعف من الحالة المستدعاة ، وهذا خطأ ، فمشاعر الفرح بالنسبة للزوج في يوم زفافه لا يمكن أن تتغلب على مشاعر موت الولد مهما قيل عن قوة الرابط والإرساء ، هذا من حيث العموم ، وهناك حالات شعورية تقوى عند البعص وتضعف عند آخرين والعكس ، فهل عند المبرمجين معايير وموازين للمشاعر والأحاسيس والمواقف حتى يمكن ضمان تغلب الإحساس المرتبط بالرابط على الحالة الشعورية التي يُراد الخروج منها ؟.

ثم إن نفس علماء النفس انتقدوا فكرة الرابط أو ما يُطلق عليه إدراك استجابة المنبه ، بل إن مدرسة الجشتالية أو الجشطلت كما يُترجمها البعض وهي أحد روافد علم البرمجة كما سبق في أول الكتاب ، ترفض فكرة وجود رابط بين التنبيه والاستجابة سواء كانت طبيعية أو بالمران والخبرة ، وقد فند ذلك أحد رواد هذه المدرسة في نهاية الفرن التاسع عشر ، وليس اعتراضه على وجود الرابط كما قررنا سابقاً وإنما على كونه هو الذي يتتبع الاستجابة وأنه لا يكفي لها [1].

ونخرج من هذا إلى ما كنا قلناه سابقاً ، أن هذه التقنية وإن قلنا بجدواها فإنها تحتاج إلى عوامل مساعدة أنا أجزم أنها لا تتوفر في بيئاتنا ، بل حتى هؤلاء المبرمجون ليس عندهم برامج توافقية لتهيئة بيئات تتبنى وتدعم النتائج المتوقعة من مثل هذه التقنية ،

---

(١) انظر مدارس علم النفس المتعاصرة ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .

فتصويرها على أنها الخلاص وأنها قادرة على تحويل السلوك الإنساني خلال عشرين دقيقة مبالغ فيه لدرجة لا يمكن احتمالها أبداً.

٦ . الأنماط :(١)

يصنف أهل البرمجة اللغوية الناس إلى أنماط من حيث الاستجابة للمؤثرات أو المثيرات الخارجية : إلى حسي وسمعي وبصري كأنماط أساسية وبعضهم يزيد الشمي والحركي ، ومثاله : أنك لو أدخلت ثلاثة أشخاص إلى غرفة بها بعض التحف الفنية والصور الطبيعية والمناظر الخلابة وتنبعث منها اصوات معينة مثل العصافير أو الموسيقى(٢) أو غير ذلك ، فستجد أن أحدهم سيخرج متحدثاً لك عن جمال الألوان واللوحات ، والآخر سيتحدث عن الأصوات التي سمعها ، والثالث سيتحدث عن التحف ودقة نحتها مثلاً أو ملمسها وكبرها أو صغرها ، وسبب ذلك كما يقولون : أن الأول يتبع النمط البصري الذي يجذب انتباهه الأشكال والألوان بينما لا يعير الأصوات نفس الاهتمام ، وكذلك الثاني حدثك عن الأصوات التي سمعها لأن تركيزه كان عليها بسبب كونه ذو نمط سمعي ، والأخير حدثك عما أدركه بحسه بسبب النمط الحسي الذي ينتمي إليه ، وبطبيعة الحال فإن القصد أن كل شخص يغلب عليه نمط معين وإن كان يستمل الأنماط الأخرى .

---

(١) آفاق بلا حدود ص٥٦ وما بعدها .

(٢) وهي من المنكرات العظام التي حرمتها الشريعة الإسلامية لأثرها على النفس البشرية بينما هي الآن من أدوات علاج النفس .

هكذا قالوا : وبنوا على ذلك أن أنظمة التعليم ووسائله يجب أن تراعي هذا الجانب فالطالب الذي يتبع النمط السمعي مثلاً سيفشل معه استخدام وسائل وطرق بصرية في التعليم .

والحقيقة خلاف ذلك ، فأولاً : هذه الفكرة نقدها علماء النفس أنفسهم منذ أن جاء بها أصحابها ، فقد كانت النتيجة بعد إخضاع هذه الفكرة للتجربة أن الجميع يستخدم جميع الأنماط ، وإنما الناس يتجمعون حول متوسط معين ويكون هناك أفراد يتعدون عن الوسط حتى يقلون تدريجياً [1].

وثانياً : أن هذه الفكرة أهملت العامل الخارجي والخبرات السابقة في نتيجة الاختبار ، فإنك لو سألت سخصين عن كلاحظتهما من خلال موقف فستجد أن خبرة الشخص وخلفيته الاعتقادية والعامل الخارجي اثر في النتيجة ، فقد يركز على الأصوات لا لأن نمطه سمعي بل لأمر آخر ، مثلاً كان ما سمعه صوت موسيقى ، فهنا قد يطغى على الشخص النمط الصوتي بسبب كونه انزعج منه لأنه محرم في دين الله ، ونفس هذا الشخص في موقف آخر ستجده بصيراً لأنه رأى امرأة متبرجة سافرة مثلاً وهذا عنده أمر منكر ، بينما ستراه حسياً في موقف آخر لأن ثوبه اصابته نجاسة وهو يريد الصلاة ، وفي آخر حركياً بسبب خوفه من حركة السيارات في شارع تسير السيارات فيه بسرعة .

---

(١) مدارس علم النفس المتعاصرة ص٢٥٥ ، وانظر أيضاً الديناميات النفسية ص ٥٥ ـ ٥٦ .

فمن القصور إذن أن نقيس نمط الشخص فقط بناء على ملاحظاته دون النظر للعامل الخارجي والخبرة والخلفية الثقافية ، وعلماء النفس في أبحاثهم أشاروا إلى هذه المشكلة ولخصوها في جملة واحدة : إن نجاح العلاج لا يمكن أن نعتبره صدقاً للنظرية التي توجّه تفسيرات المحلل النفسي [1].

وهذا يؤكد أن الله تعالى أعطى الناس جميعاً قدرة على الملاحظة واكتساب الخبرة من خلال الحواس التي وهبه إياها ، وأنه لا يوجد شخص يصح إطلاق كونه بصرياً أو سمعياً مثلاً لأنه لا يمكن قياس الشخص مجرداً من العوامل الخارجية والخبرات السابقة والخلفية الثقافية وعوامل أخرى تتفاوت في أهميتها وتأثيرها في صحة النتائج .

٧ . مخاطبة الأجزاء :[2]

إحدى تقنيات البرمجة في تعديل السلوك ما يُسمى حسم الصراع ، إنه يتخيل النفس أجزاء بحسب تعدد مستويات النزاع في النفس ، ويجري حواراً بناء بين تلك الأجزاء لحسم التنازع فيما بينها سواء كان موضوع التنازع بين الخير والشر والصواب والخطأ أو من قبيل الأولويات وتركيز الفكرة .

---

(١) انظر أيضاً الديناميات النفسية ص٦٩ .

(٢) آفاق بلا حدود ص ١٠٨ وما بعدها .

إنه شيء يشبه حديث النفس ، فكثير منا يحل مشاكله حتى مع الآخرين بتقمص أدوراهم داخل نفسه ، فيتدث مع نفسه كثيراً وأحياناً بصوت مرتفع ، فقد يكون موضوعياً فيتوصل إلى حل للمشكلة ويحسم الصراع ولو كان عليه .

وأحياناً يكون غير موضوعي وإنما كان هذا الحديث أو الحوار الذاتي هدفه ترسيخ الخطأ وتبرير الاستمرار عليه .

وعن هذا الأصل نشأت أمراض نفسية وعقلية على مبدأ وجود التنازع أو وجود شخصيات متعددة في ذات واحدة ، ويمثل الفصام أخطر صور هذه الحالة .

والّذي أحب قوله هنا أن تصوير هذه التقنية على بهذه البساطة فيه مبالغة ، فالذي يقرأ عرض الدكتور التكريتي لها يظن أنها طريقة آلية توصل إلى النتيجة مباشرة .

إضافة إلى أنها تغفل العوامل الخارجية وتأثير التصورات الشخصية لمجري التجربة الذي قد يؤدي فساد تصوره أو معتقده إلى حسم الصراع لصالح الخطأ ، ومن ثم ترسيخ الخطأ وتأكيده وتبرير الاستمرار عليه ، خصوصاً إذا ارتبط هذا مع مقولتهم الافتراضية : وراء كل سلوك نية إيجابية .

وقد يكون أحد الحلول لكثير من الناس لصراعاتهم الداخلية ـ ويهمنا منها الصراع بين الخير والشر ـ عن طريق الرضا بوجود جزئين منفصلين وقبول فكرة تعدد الأجزاء داخل النفس الواحدة ، فيحدث الفصام المرضي أو الأخلاقي [1]، والنفاق هو إحدى

---

(١) ولا يُنكر وجود الفصام كمرض عقلي .

صور هذا المرض ، فإن الشخص الذي يرضى أن يظهر أمام أشخاص بصورة معينة مع ظهوره بصورة أخرى مناقضة للأولى هو مريض فعلاً ، ولهذا كان في الدرك الأسفل من النار .

وهناك نوع من الناس يعزل مجالات معينة من حياتهم مثل عزل الأطفال والمراهقين المنزل عن المدرسة حيث يمثل له أحدهما الانصياع والامتثال ويمثل له الآخر التعبير والحرية [1]، فلا يجد بينهما بعد ذلك تناقضاً ، وهذا يعني ترسيخ الخطأ والقبول به ، ولعل يوماً يأتي يزول الدافع والمؤثر الذي يقوي جانب الخير فيتم إلغاؤه تماماً .

بل يصبح كثير منهم يعزو أخطاءه ونزواته وتصرفاته غير المرضي منها إلى ذلك الجزء الشرير من النفس ، وإن كانوا يعبرون عن ذلك بصور شتى : فبعضهم يقول إذا أخطأ : لا أدري كيف حصل هذا ، أو : تصرفت بلا شعور ، أو تكلمت رغماً عني ، أو أنا أستجيب لهذه الرغبة بلا شعور ، أو نحو هذا من التعبيرات التي يريد أن يتبرأ بها من المسؤولية عن أخطائه .[2]

---

(١) انظر الديناميات النفسية ص ١٠١ .

(٢) السابق ص١٣٤ .

. **تحوير الألفاظ :**

في سبيل إضفاء شرعيّة على هذا العلم ، والبحث عن أصول له من التاريخ الإسلامي ، لجأ **التكريتي** وغيره إلى تسمية بعض الشرائع أو المعاني الشرعيّة بألفاظ محدثة ، وهذا من أخطر ما وقع فيه هؤلاء ، فيسمّون الخشوع إلغاء ، ويسمّون الكشف المبتدع : **الجلاء البصري** ، ويسمّون الكهانة والجنون : **تخاطراً وتلباثية** ، ويسمّون **السحر** والدّجل **طاقة** ، وهذا تلبيس لا يجوز ، فإنّ التّلاعب بالأسماء والألفاظ يؤدي إلى قلب المفاهيم وتحوير الأحكام والمعاني الشّرعيّة ، فيصير الحلال حراماً والحرام حلالاً ، والسنّة بدعة والبدعة سنّة .

وعلى سبيل المثال فقد جاء جبريل إلى النّبيّ ﷺ فعلّم أصحابه أنّ الإسلام هو الأركان الخمسة ، والإيمان هو الأركان السّتّة ، فعندما يأتي شخص ما فيقول : إنّ الإيمان هو التّصديق بوجود الله فقط فإنّ هذا يكون تقديماً بين يدي الله ورسوله ، الّذي قال لهم : هذا جبريل أتاكم يعلّمكم دينكم ، فنحن إذاً متعبّدون بالإبقاء على تلك الألفاظ كما جاءت في الشّرع دون تغيير أو تبديل ، ولذلك قال ﷺ : ((**من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو ردٌّ**))[1] وسواء كان هذا الإحداث بالعمل أو بالتّحريف فكلّ ذلك يشمله لفظ الحديث .

---

(١) أخرجه البخاري في الصّلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور ومسلم في الأقضية باب الأقضية الباطلة من حديث عائشة رضي الله عنها .

ومثله في الأحكام الشّرعيّة فعن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : ((**ليشربنّ ناسٌ من أمّتي الخمر يسمّونها بغير اسمها**))(١) فقالوا : مشروبات روحيّة ومرطّبات ومنشّطات والله من ورائهم محيط .

إنّ التّفريط في هذا الجانب يعرّض المسلمين لكثير من الانحراف خصوصاً في الجانب العقدي ، ومن أمثلة ذلك انحراف النّاس بمعنى التّوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله ، فقالوا : لاربّ ولا خالق إلاّ الله ، وجعل أهل البدع توحيد الرّبوبيّة هو الغاية الّتي ينتهي إليها الموحّدون ، ممّا أدّى إلى تسرّب الشّرك في هذه الأمّة ، لأنّهم جهلوا حقيقة لاإله إلاّ الله ، وجهلوا التّوحيد الّذي جاء به محمّد ﷺ ودعا النّاس إليه وقاتل في سبيل نشره الأحمر والأسود ، فليس عند كثير من النّاس تعارض بين أن يكون العبد موحّداً وبين أن يقصد غير الله في حاجاته فيدعوهم ويستغيث بهم من دون الله ، أليس قد أقرّ أن لا خالق ولا ربّ ولا رازق إلاّ الله ؟ فهو موحّدٌ إذاً !!

مع أنّ نصوص الوحيين طافحةٌ بتقرير معنى التّوحيد وشهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّها تقتضي إفراد الله وحده بالعبادة ونبْذ الشّرك بكلّ صوره وأشكاله ، فلا يجتمع التّوحيد الواجب مع صرف شيءٍ من العبادة لغير الله من ذبحٍ ونذرٍ وخوفٍ وصلاةٍ ودعاءٍ ونحو ذلك ممّا هو من حقّ الواحد الأحد سبحانه وتعالى ، وأنت ترى كيف أنّ الانحراف بمعنى التّوحيد وكلمته ألحق ضرراً بالغاً بعقائد المسلمين وأدخل عليهم الشّرك في أبهى حلّة : حبّ الصّالحين والاستشفاع بهم إلى الله تعالى .

---

(١) أخرجه أحمد ٥ / ٣٤٢ ، وأبو داود ح٣٢٠٣ وانظر فتح الباري ٥ / ٥١ .

وهذا ما سيحدث مع البرمجة اللغويّة إذا لم نحدد ألفاظنا ونقيّدها ونبتعد عن التلاعب بالمعاني الشّرعيّة وتسميتها بغير اسمها ، والعصر الحاضر يشهد لهذا الّذي ذكرته ، وسنجد من يبرّر الكفر والشّرك والبدعة تحت شعارات برّاقة تُصنع في معامل الهندسة النّفسيّة ، وسأضرب لهذا مثلاً واحداً مشهوراً وهو ما يسميه الضال الذي يروج للبرمجة ((قانون الجذب)) : يقول هذا القانون : ((الإنسان كالمغناطيس يجذب إليه الأشخاص والأحداث التي تتناسب مع طريقة تفكيره)) ، ويشرحه بعضهم كما يلي : قانون الجذب يعتبر من أقوى السنن الكونية وينص هذا القانون على : أن الإنسان يجتذب الأحداث والأشخاص والظروف من حوله عبر موجات كهرومغناطيسية غير مرئية عن طريق عقله الباطن، فالعقل الباطن هنا كالإيريال والرغبات داخله كالرسيفر ((جهاز التحكم بالتلفاز)) وأنت بعقلك الباطن ورغباتك الداخلية تجتذب الأشياء والأحداث الإيجابية والسلبية من حولك تماماً مثل الإيريال الذي يلتقط مئات الصور والأصوات من فوق سطح منزلك .. فعندما تفكر في الأشياء السلبية أو الأحداث السلبية فأنت تجتذبها اليك .. وكذلك عندما تفكر في الأحداث الإيجابية فإنك تجتذبها اليك ... ويقف الشرع مؤيداً لهذا القانون ومن هذا قول الرسول ﷺ عن ربّه في الحديث القدسي : ((أنا عند حسن ظنّ عبدي بي ، فليظن بي ماشاء)) وفي هذا الحديث القدسي معنى مهم جداً يجب الوقوف عنده إذ يلمح بأن كل مايحصل للإنسان

هو الذي جلبه لنفسه بظنّه لذا انتبه! فالأشخاص والأحداث السلبية والإيجابية تحوم حولك وأنت تجتذبها بأفكارك !! ففكر إيجابياً دائماً.[1]

بمعنى أن من أراد أن يكون ناجحاً فليفكر في ذلك بعمق وشعور ويقين ، فإنه يكون كذلك ، ومن فكر في أنه بائس وأنه سيفشل مثلاً فإنه سيكون كذلك .

وبطبيعة الحال فإن أي مؤمن يسمع هذا الهذيان فإنه يرفضه لتعارضه مع قطعيات الإسلام وأصوله لا ظنياته وفروعه .

على أن بعض عرابي البرمجة اللغوية قاموا بعملية تلبيس كبيرة فقالوا : إن هذا موجود في الإسلام بل جعلوه من مقامات الإيمان العالية ، فإن العبد مأمور بحسن الظن بالله كما جاء في الحديث الصحيح : ((**أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء**))[2].

وقالوا : إن السنة جاءت بإثبات الفأل الحسن ، وأن التفاؤل سبب لحصول المأمول كما أن الطيرة سبب لحصول المكروه وهذا هو بالضبط قانون الجذب[3].

---

(١) لا يكاد موقع من مواقع البرمجة اللغوية يخلو من مثل هذا المقال ومنها الموقع التالي
[illegible]

(٢) أخرجه البخاري ح٧٤٠٥ ومسلم ٢٦٠٥ وفي روايات خارج الصحيحين زيادة : ((فليظن بي ماشاء)) .

(٣) محاضرات الدكتور صلاح الراشد طافحة بهذا الكلام انظرها في موقعه والمواقع التابعة له تجد

والآن سنرى كيف كان الجهل أو سوء الطوية سبباً في تحوير المعاني الشرعية وقلب الحقائق باستخدام الألفاظ .

قال ابن القيم رحمه الله : ((ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشّرك بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة ومن حب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى مايوافقها ويلائمها . . وقال الحليمي وإنما كان يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله بغير سبب محقق، والتفأوّل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله على كل حال))[1].

وقال الطيبي : ((معنى الترخص في الفأل والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئاً فظنه حسناً محرضاً على طلب حاجته فليفعل ، وإن رآه بضد ذلك فلايقبله بل يمضي إلى سبيله ، فلو قبل وانتهى عن المضي فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم))[2].

وقد جاءعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ((إن مضيت فمتوَّكل وإن نكصت فمتطيِّر))[3].

ما يشيب له الشعر ، خصوصاً محاضراته عن الطاقة وسأنقل بعضاً منها لاحقاً ةأعتذر عن الإحالة لأني أستعين بشبكة الإنترنت وكل قارىء يستطيع الوصول إلى هذه المعلومات عبر المواقع التي أذكرها أو بالبحث عن مفاتيح المقالات فسيجد الكثير مما يجل عن الوصف .

(١) تيسير العزيز الحميد ص٤٣٥ .

(٢) فتح الباري ١٠ / ٢١٥ .

(٣) المصنف لعبدالرزاق ١٠ / ٤٠٤ .

وعلى العموم فإن الفأل وإن كان محبوباً ومطلوباً فإن ذلك لايدل على أن الشرع يعلق عليه خيراً .

كما أنّه لايعلق على الطيرة شراً، وإنما هو كما قلنا من باب حسن الظن بالله .

ولذلك ورد عن ابن عباس أنّه كان جالساً في نفر من أصحابه فمر طير يصيح، فقال رجل : خير ، خير، فقال ابن عباس رضي الله عنهما : لاخير ولا شر .

وخرج طاووس التابعي الجليل مع صاحب له في سفر فصاح غراب فقال الرجل : خير ، فقال طاووس: وأي خير عند هذا أو شر؟ لاتصحبني))[1].

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح كتاب التوحيد : ((قوله: ما أمضاك أو ردك ، أما ما ردك، فلا شك أنه من الطيرة، لأن التطير يوجب الترك والتراجع.

وأما ما أمضاك، فلا يخلو من أمرين:

الأول: أن تكون من جنس التطير، وذلك بأن يستدل لنجاحه أو عدم نجاحه بالتطير، كما لو قال: سأزجر هذا الطير، فإذا ذهب إلى اليمين، فمعنى ذلك اليمن والبركة، فيقدم، فهذا لا شك أنه تطير، لأن التفاؤل بمثل انطلاق الطير عن اليمين غير صحيح، لأنه لا وجه له، إذا الطير إذا طار، فإنه يذهب إلى الذي يرى أن وجهته، فإذا اعتمد عليه، فقد اعتمد على سبب لم يجعله الله سبباً، وهو حركة الطير.

---

(١) السابق ١٠ / ٤٠٦ .

الثاني: أن يكون سبب المضي كلاماً سمعه أو شيئاً شاهده يدل على تيسير هذا الأمر له، فإن هذا فأل، وهو الذي يعجب النبي ﷺ، **لكن إن اعتمد عليه وكان سبباً لإقدامه، فهذا حكمه حكم الطيرة، وإن لم يعتمد عليه ولكنه فرح ونشط وازداد نشاطاً في طلبه، فهذا من الفأل المحمود**)) .

وقال الشيخ حسن حفيد الإمام محمد بن عبدالوهاب في كتابه فتح المجيد : ((قوله : ((إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك)) هذا حد الطيرة المنهى عنها : أنها ما يحمل الإنسان على المضمي فيما أراده ، ويمنعه من المضي فيه كذلك . وأما الفأل الذي كان يحبه النبي ﷺ فيه نوع من بشارة ، **فيسر به العبد ولا يعتمد عليه** بخلاف ما يمضيه أو يرده ، فإن للقلب عليه نوع اعتماد . فافهم الفرق والله أعلم))[1].

وقال ابن قاسم في حاشية التوحيد : ((إنما هو حسن ظن بالله **وإن أوجب مضياً أو رداً صار من الطيرة**))[2].

الخلاصة : الفأل ليس سبباً في تحقق المراد ، إنما هو نوع من السرور بسماع الكلمة الطيبة أو نحوها ، فيؤدي إلى رجاء العبد وحسن ظنه بالله ، وحسن الظن بالله تعالى عبادة بذاته .

---

(١) فتح المجيد ص٣٢٨ .

(٢) ص ٢١٧ .

وهذه العبادة التي حثنا عليها الشرع كما في الحديث الّذي ذكرته غاياتها أسمى وأعلى من أن تُوظف في مثل النجاح في الامتحان أو الحصول على وظيفة أو تحقيق ثروة ولهذا جاء في الحديث : ((**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عزوجل**))[1].

و علينا قبل أن نتكلم عن الفأل كسبب وطريقة لجذب القدر الحسن أن نسأل أنفسنا : هل التفاؤل سبب إيماني شرعي أم هو سبب كوني طبعي ؟

إذا كان التفاؤل سبباً كونياً طبيعياً فلا داعي لربطه بمسألة حسن الظن بالله ، بل هذا السبب يؤدي نتيجته بغض النظر عن معتقد المباشِر له : بمعنى أن الكافر الملحد لو تفاءل وظن بل اعتقد أنه سيحصل على مأموله فإن تفاؤله سبب لحصوله عليه ، فيكون كسائر الأسباب الكونية التي لا تحابي أحداً فالنار تحرق المؤمن والكافر والماء يروي عطش المؤمن والكافر والنكاح سبب للنسل في المؤمن والكافر فكذلك التفاؤل وبهذا يكون ربطه بمسألة حسن الظن بالله عبث لأن ذلك يشعر بكونه مزية للإيمان الصحيح والمؤمن التقي .

وبهذا المعنى لا علاقة لهذا بالمعنى الشرعي للفأل كما هو مقصود أصحاب البرمجة وبهذا يكون إلصاق هذا المعنى بالشرع نوع من التحريف للألفاظ الشرعية.

وإذا قلنا إن الفأل سبب شرعي إيماني واستدللنا بالنصوص التي وردت في الموضوع فإنه يلزم على هذا أن نلتزم بالشرع فيه ، ويكون إحداث التفاؤل بمثل الطريقة التي

---

(١) أخرجه مسلم ح٢٨٧٧ .

وردت في مقالات ودورات البرمجة لا دليل عليها شرعاً فلا نعرف أن أحداً من السلف تفاءل بالطريقة المذكورة ، أن يسترخي ويتخيل ويأمل ونحو هذا من التخريف .

فضلاً عن أن التفاؤل الوارد في الشرع سببه من خارج النفس وبهذا فسره النبي ﷺ حين قال : ((**الكلمة الطيبة يسمعها أحدكم**))[1]، وهذا لا علاقة له بالمعنى المذكور في دورات البرمجة ، فإن الفأل لا يتعمده الإنسان ، الفأل هو حالة من السرور والأمل تحدث للإنسان لسماعه كلمة طيبة كأن يسمع المريض من يقول له : طهور أو يا سليم ، وكما قال النبي ﷺ لأصحابه لما جاءه سهيل بن عمرو في صلح الحديبية : ((**سهُل أمركم**)) ، فهو نوع من السرور يبعث على الأمل والرجاء في الله تعالى سببه يحدث من خارج النفس .

أما على قول المبرمجين ومن يسير معهم فإن الفأل هو أن يقوم الإنسان بعملية تخيل واسترخاء وتصور واستشعار عميق بحصول ما يأمل ودفع ما يخاف ، فأين هذا من هذا يا قوم ؟ لماذا الجرأة على شريعة الله بالتحريف والتزوير دون علم ولا رجوع لأهل العلم ؟.

ثم بعد ذلك أكرر إن الشرع لا يعلق على الفأل خيراً كما لا يعلق على الطيرة شراً ، ولهذا نص العلماء كما نقلته آنفاً على أن من رجا من الفأل بالمعنى الشرعي حصول خير فهو من الطيرة المذمومة شرعاً والتي عدّها النبي ﷺ من الشرك .

---

(١) أخرجه البخاري ح٥٧٥٤ ومسلم ٢٢٢٣ .

وأما حسن الظن بالله فإنما هو سبب لوقوع ما رجاه الإنسان من الله ثواباً له على حسن ظنه به تعالى فهو إذن سبب شرعي لكن لا يُفهم منه تحقيق الظن دنيوياً دائماً ؟

فالدعاء هو من أكبر ما يتحقق به حسن الظن بالله ، فالعبد يدعو وهو موقن بالإجابة والله تعالى تكفل له بها في قوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر:٦٠] ومع هذا فقد بين النبي ﷺ معنى إجابته تعالى في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال : ((**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته ، وإما أن يدخرها له في الآخرة ، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**))[1].

فهذا الدعاء كما ترى إجابته قد تكون بادخار الأجر في الآخرة وقد تكون بدفع شر وسوء عن العبد ، أما على قانون الجذب فإن حسن الظن بالله يعني تحقق ما يرجو العبد من الله عاجلاً ، فإذا كان العبد مثلاً يخشى من الفشل ويحب النجاح فأحسن ظنه بالله فقانون الجذب يقول إنه سينجح ويبتعد عنه الفشل ، وأما عقيدة المؤمنين في حسن الظن بالله أن يظن أن الله لا يفعل به إلا ما هو خير فيرضى عن الله وعن قدر الله ، فقد يحسن الظن بالله في أمر فلا يحصل فيظن أن السبب منه بناء على قانون الجذب ، بينما تكون الحقيقة أن الله كان فوق ظن العبد ففعل به ما هو خير له ، وإن كان العبد يظن أن مقتضى حسن الظن هو ما يراه هو ، فكم من الصالحين المحسنين الظن بالله يدعون الله بالغنى ولا يزالون فقراء ، لأن الله تعالى كان فوق ظنهم ففعل بهم ما هو خير لهم لأنه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ح١٠٧٤٩ .

يعلم أن الغنى يطغيهم فيخسرون آخرتهم ،ولهذا قال ابن الجوزي رحمه الله : ((اِعْلَمْ أَنَّ دُعَاء الْمُؤْمِن لا يُرَدّ ، غَيْر أَنَّهُ قَدْ يَكُون الأَوْلَى لَهُ تَأْخِير الإِجَابَة أَوْ يُعَوَّض بِمَا هُوَ أَوْلَى لَهُ عَاجِلا أَوْ آجِلا ، فَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ لا يَتْرُك الطَّلَب مِنْ رَبّه فَإِنَّهُ مُتَعَبِّد بِالدُّعَاءِ كَمَا هُوَ مُتَعَبِّد بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيض))[1] وهذا مثال بسيط وإذا تأملت فيه وقِست عليه وجدت الأمثلة كثيرة وبانت لك الحقيقة بلا غَبَش .

وهكذا ترى أن ما يدندن حوله مستوردوا قانون الجذب ومسوّقوه لا علاقة له بدين الله تعالى من قريب ولا من بعيد ، وإنما هو تلبيس وتدليس يروجون به هذه المعتقدات الباطلة مشبوهة المصدر .

والحق أن قانون الجذب هذا له علاقة قوية بالديانات التي ترتبط بعبادة الكواكب والأفلاك فهي تقوم على مبدأ الطاقة الكونية وارتباط طاقة المخلوقات بها تأثراً وتأثيراً ، وكل هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلاسفة والسحر وعلومهما ، وإذا رجعت أخي إلى مقدمة ابن خلدون فاقرأ فصل ((**في علوم السحر والطلسمات**)) لترى أن هذه العلوم التي تدور حول الطاقة وتأثيراتها في النفس وفي الآخرين وفي الأشياء وكذلك مسألة التحكم بالمستقبل أو غير ذلك مما يُدرس في الباراسيكلوجي وما وظفه المبرمجون في دورات البرمجة لا يخرج عن كونه تحديثاً وتأطيراً عصرياً لهذه الخرافات والمنكرات العظيمة التي بعث الله الأنبياء لمحاربتها ودعوة الناس لهجرها ، ويأتي ـ إن شاء الله ـ

---

(١) فتح الباري ١١ / ١٤١ .

مزيد إيضاح لذلك في فقرة لاحقة إن شاء الله وإنما ذكرته هنا كمثال للتحوير اللفظي الذي يمارسه عرّابوا البرمجة اللغوية.

مخالفة أهمّ قواعد البرمجة اللغوية للشّرائع النّبويّة

هذا نقد لبعض المقولات الّتي تشكّل لدى أصحاب البرمجة قواعد أساسيّة وهو ما يطلقون عليه ((**الافتراضات المسبقة**)) .

١ . **قالوا : ((وراء كل سلوك توجد نية إيجابية))**[1]، وعليه فالمطلوب منك أن تعامل الناس حسب نواياهم .

---

(١) آفاق بلا حدود ص ١٣٣، وهي تطابق مقولة فرويد : كل سلوك له ما يدفع إليه وقد وظّفها في علاج الأمراض العصابية ، وفسرها بأنّ كل الأفعال التي يفعلها الإنسان له ما يدفعه إليها ولو كانت في الظاهر لا تتفق مع ميولنا وظواهرنا الاجتماعية أو الدينية أو السلوكية ، وفرويد بالطبع يريد أن يفسر بذلك الأفعال الشاذة التي تصدر من الإنسان ، طبعاً أمثلتها المشهورة هي أعراض الأمراض العصابية ، لكن من يعرف فرويد ونظرياته القذرة يعلم أن هذه المقولة يُسلطها لتفسير الشذوذ بشتى أنواعه ، وهذا يؤيد تخوف وقلق المصلحين المشفقين على الأمة من هذا التطابق المريب ، انظر مدارس علم النفس المتعاصرة ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

. **قلنا** : من المعلوم أنّ إحسان الظنّ بدوافع الآخرين في تصرّفاتهم وأفعالهم مطلوب شرعاً إذا كان الآخر هذا مسلماً .

لكن هذا يُقال في مقام المحافظة على الرباط الأخوي الإيماني بين المؤمنين دون أن يترتب على هذا تعطيل لفريضة شرعيّة أو سنّة نبويّة ، لأنّ الأحكام الشرعية مبنية على السلوك لا على النية .

مثال ذلك : إذا أقدم شخص ما على فعل منكر فإنّ الواجب ((مع فرض وجود النية الإيجابيّة)) أن يُرتّب عليه ما هو مقرر شرعاً ، فإن كان وقع في حد من حدود الله فيجب إمضاؤه عليه ، وإن كان مستمراً فيجب إنكاره عليه .

وأنا أعلم أنّ الدارسين لعلم البرمجة من المسلمين لعلهم لا ينكرون هذه الحقيقة لكن هل يدركون أنّ ترسيخ هذا المعنى الّذي يدعون فيه أنّ وراء كل سلوك نية إيجابيّة : ربّما يكون سبباً في تعطيل شريعة سماويّة .

لعلّ هذا لا يكون بهذا الوضوح في بيئة معيّنة لكن لا شكّ أنّ العقل السّليم الّذي يدرك أنّ القاعدة من شرطها الاطّراد سوف يرتّب على هذه القاعدة الّتي يدرسها في علم البرمجة موقفاً واحداً سواء كان موقفاً في صفقة تجاريّة أو تعامل مع زبون للشركة الّتي يعمل بها أو كان موقفاً شرعياً أمام منكر شرعي فهو في الجميع لديه تصوّر أنّ ((**وراء كلّ سلوك نيّة إيجابيّة**)) .

هذا على التّنـزّل : وإلاّ فمن أين لهم هذا التّعميم ؟

من أين لهم أنّ وراء كلّ سلوك نيّة إيجابيّة ؟ يجب أن يحدد هؤلاء معنى الإيجابيّة حتى نحاكم قاعدتهم هذه إلى منطق موحّد .

هل يعنون بالإيجابيّة النّسبيّة لشخص معيّن ؟ فهذا في الحقيقة أقرب للفكر النّفعي ، وهو مناسب لواضعي علم البرمجة لأنّه في الأساس علم دنيوي حتى في أهدافه التربوية .

وعلى هذا فيمكن أن يكون هذا التأصيل منطلقاً لتبرير مخالفات شرعيّة لا حصر لها إذا ما تمّ لهذه القاعدة رسوخ في عقليّة المتلقّي والملقي والدارس والممارس والمدرّب لهذا العلم .

فكلّ شرك أو كفر أو سرقة أو أكل للربا أو غش أو تدليس أو غير ذلك مبرر عند صاحبه بأنّ ((**وراء كل سلوك نية إيجابيّة**)) .

وإذا كان المقصود بالإيجابيّة بالنّسبة لمنطق محدد فإنّ المؤمن لا يؤمن بإيجابيّة إلاّ ما حكم لها الشّرع الحنيف وأقرّها الشّرع المطهّر .

وإذا كان كذلك فمن الخطأ القول : إنّ وراء كلّ سلوك نيّة إيجابيّة ، بل كم من السّلوكيّات الّتي نلمسها من أنفسنا على الأقل : لا نعلم لها دافعاً ولا حافزاً إلاّ النيّة السّلبيّة .

فهذا القول إذاً : قول باطل في نفسه ، وباطل من حيث ما يترتّب عليه من اللوازم .

وإذ قيل : إنّ ما ذكرته لم يخطر على بال أحد ، فنقول ما دام الأمر محتمل والخلل موجود فإنّ من الواجب تحديد وتضييق نطاق هذه الأقوال الواسعة الّتي أطلقتها أفواه لا تحتكم إلى كتاب وسنّة ، بل ولا تعترف أصلاً بقيود من خارج العقل البشري والتجربة الإنسانيّة .

٢ . قالوا : ((كممارس للبرمجة اللغوية يجب عليك أن تحترم الشّخص الآخر كما هو ولا تنتقد تصرفاته أو تقارن بينه وبين الآخرين ، ولا تحاول أن تجعله يتغير حتى يحوز إعجابك))[1].

. **قلنا** : كما سبق وأن ذكرنا : إنّ مبادىء علم البرمجة انطلقت من بيئة لا تؤمن بالقيد الشّرعي : أي لا تدين بدين الإسلام ، ولهذا تجد في قواعدها هذه العمومات ، وهم إن كان لهم عذر في هذا ، فإنّ بني قومنا ممّن ينتسب للإسلام فضلاً عمّن ينتسب للدعوة لا يُعذر في هذا بحال .

فهذا المبدأ يقول للممارس : لا تنتقد تصرفات الشخص وعليك أن تحترمه كماهو ، تُرى هل يشمل ذلك المخالفات الشّرعيّة ؟

هل يجوز لك أن تحترم من يشرك بالله كما هو وأن لا تنتقد تصرفاته ؟

هل يجوز احترام المبتدع الضال وأن تقبله كما هو وأن لا تحاول تغييره حتى يجوز إعجابك ؟

هل يجوز شرعاً أن تحترم مجاهراً بفسقه دون أن تحاول تغييره ؟

انظر ما في هذه المقولة الآثمة من مخالفة الشّرع ، وإذا قيل إنّ المراد بذلك ما هو مقبول شرعاً من تصرفات الشّخص الّتي في حدود المباح فنقول : نحن لم نر هذا التّقييد في

---

(١) مذكّرة الفقي ص١٨ .

كتاباتكم فالواجب إيراد هذه القيود الشّرعيّة حتّى لا تحدث عمليّة إسقاط وإحلال لمفاهيم غربيّة محل المفاهيم والأصول الإسلاميّة ، **هذا أوّلاً** .

وأمّا ثانياً : فإنّ هذه القيود ستصطدم بواقع هذا العلم الّذي مجاله الأكبر كما سبق مجال دنيوي ، ومن وضع هذا المبدأ في الحقيقة ركّز كثيراً على هذا التّعميم وهو مقصود له في جانبين :

الأوّل : في الجانب التّربوي عندهم فإنّ أهداف التّربية الغربيّة أضيق بكثير من أهداف التربية الإسلاميّة ، وهذا راجع إلى اختلاف موازين الأخلاق وقوانين الخطأ والصّواب بيننا وبينهم ، ولهذا فلا ضير في الحقيقة من أجل تحويل إنسان فاشل في مجال دراسته إلى إنسان ناجح أن تقر له وتقبله بكل صفاته وأخلاقه المخالفة للشّرع لأنّه ببساطة لا شرع عندهم .

الثّاني : في الجانب الاقتصادي ، فإنّ الرّأسماليّة الّتي نشأ هذا العلم في حضنها هدفها الحصول على الهدف الاقتصادي بكلّ وسيلة متاحة ، ومن هذه الوسائل كسب رضا العميل أو الهدف ، ومن أهمّ وسائل كسب الرضا عدم توجيه أيّ نقد أو محاولة لتغيير الشّخص المقابل مهما كانت سلوكياته .

وأنت ترى أنّ طبيعة هذا المبدأ في الجانبين لا تسمح للقيود الّتي سيحاول المؤمن أن يضيفها إلى هذا المبدأ ((**الخليع**)) لأنّها بكلّ بساطة ستحدّ من مفعوله بل وستجعله هامشياً وضيّقاً .

تصوّر معي مندوباً لشركة يريد كسب عميل ينكر عليه مجاهرته بالتّدخين ، أو لا يقبل الجلوس معه حتّى يمتنع عن شرب الخمر مثلاً : تُرى هل سيفوز بعقد تجاري يربح الشّركة ، ما هو مصير هذا المندوب ؟.

تصوّر مديراً يريد أن يستصلح موظفاً لديه ويطور من أدائه ينكر عليه مخالفاته الشّرعيّة ويلزمه بالصّلاة ويمنعه من سماع اسطوانة الأغنية أثناء عمله و.و. و الخ ، تُرى هل كيف ستكون علاقة هذا الموظف بمديره ؟.

تصوّر مطعماً يمنع زبائنه من مخالفات شرعيّة كالتدخين أو الخمر أو الجلوس وقت الصّلاة أو التبرّج أو اصطحاب الصّديقات ، هل يتّفق هذا مع المبدأ أعلاه .

أظنّ بل وأعتقد أنّ هذا المبدأ يخالف ويتصادم مع شريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشريعة : ((**الدّين النّصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة**))[1].

فإمّا إلغاؤه وشطبه وإمّا تقييده بالقيد الصّريح : ((**مالم يصطدم ذلك بأصل شرعي**)) ، ولا يُكتفى هنا ولا يُعتمد على فهم وذكاء الدارس المسلم لأنّنا نعلم ما في المسلمين من التساهل في هذه الشرائع ، فكيف إذا قمنا بتكريس هذا من خلال مبادىء علم غربي لا يعترف بشرع ولا دين .

---

(١) أخرجه مسلم ح٨٢ .

٣ . قالوا : ((إذا كان أي إنسان قادراً على فعل شيء فمن الممكن لأي إنسان أن يتعلمه ويفعله))[١].

قلنا : من المهم عند تلقّي المسلم للعبارات والمقولات أن يعرضها على الكتاب والسّنّة من جهتين : من جهة معناها المباشر ، ومن جهة المعاني الّتي تتضمّنها أو تستلزمها .

لِمَ ؟

لأنّ القناعة والقبول للعبارة أو المقولة حتى وإن كانت لوازمها خفية لا يلتزمها المتلقّي فإنّ مرور الزّمن كفيل بإبراز هذه المعاني الباطلة ربّما ومن ثمّ تبنّيها والتحمّس لها لأنّ رسوخها أصلاً تابع لرسوخ المقولة نفسها .

ومثال هذا الّذي قلناه هو هذه المقولة : فإنّ معناها المباشر أنّ قدرات البشر كلّهم متساوية من حيث مجال المقدور ، وإنّما التّفاوت بينهم في الإرادة والمحاولة .

بمعنى أنّه إذا استطاع شخص ما أن يحقق هدفاً ذاتياً ، ولنفرض أنّه : رفْع ثقل وزنه ١٠٠ كيلو جرام ، فإنّ هذا يعني أنّ أيّ إنسان آخر قادر على هذا إذا أراده وبذل المحاولة له .

وهذا المبدأ خطأ في أصله فضلاً عن لوازمه الباطلة .

---

(١) الفقي ص١٦ .

وأوّل ما يبدو من بطلانه أنّه يقوم على افتراض أنّ السّبب الوحيد للفعل هو القدرة أو الاستطاعة ، وهذا خطأ من حيث المنهج ، فإنّ المتّفق عليه بين أهل السّنّة أنّ القدرة وحدها لا تكفي لتحقيق المراد ، بل لابدّ من أمرين آخرين وهما : توفّر الظّرف الملائم ، وانتفاء المانع .

فقد يكون الشخص قادراً في ذاته على الفعل المعيّن لكنّه يفتقر إلى ظرف ملائم ، فإذا قُدّر أنّ هذا الشّخص القادر على حمل ذلك الثّقل كان على سطح مائل منزلق فلا شكّ أنّه لن يستطيع أن يحمله ، وكذلك لو أنّه مُنع من شخص آخر فشغله فإنّه لن يستطيع أن يحمل الثّقل لا لعجزه وإنّما لفقدان الظرف الملائم في الصورة الأولى ولوجود المانع في الصّورة الثانية .

وتطبيق هذا المأخذ على القاعدة يفيد في تصوّر مهم يجب أن يكون عند من يريد تطوير نفسه أو الوصول إلى هدف معيّن ، وهو أنّه لا يكفي كون شخص ما من النّاس استطاع أن يحقق هدفاً دراسياً أو تجارياً أو سياسياً أو صحياً للقناعة بأنّي أستطيع تحقيق نفس الهدف ، بل لابدّ من توفر نفس الظروف الملائمة وانتفاء الموانع .

وهذا لا يعارض أنّ الشخص عليه السّعي في توفير الظروف الملائمة وإزالة الموانع والعوائق كما أنّه ﷺ تريّث في الجهاد ولم يستعمله حتّى وفّر له قاعدة وظرفاً ملائماً وزالت الموانع والعوائق ، وكلّ هذا بتعليم ربّه تعالى له وبالحكمة الّتي آتاه إيّاها .

وإذا كان الأمر كما قلنا ((**وهو كذلك**)) فإنّ المقولة الّتي نتكلم عنها وهو قولهم : ((إذا كان أي إنسان قادراً على فعل شيء فمن المكن لأي إنسان أن يتعلمه ويفعله)) فيها

قصور شديد يؤدي إلى اللبس والتعمية مما قد يضيع وقت المتلقي في تحقيق أهداف حققها آخرون دون توفير ما ذكرناه آنفاً والتحقق منه ، ولهذا يؤكّد المختصّون في حقل التّربية وعلم النّفس على وجود الفوارق الفرديّة ، يعنون به أنّ المواهب والملكات تختلف من شخص لآخر وهذا يعني بالضرورة أنّه ليس كلّ عمل أو هدف أو فعل يكون مقدوراً من الجميع .

والسّيرة النّبويّة تدلّ على هذا ، فإنّ الصّحابة رضي الله تعالى عنهم لم يكونوا كلّهم يقومون بنفس الأعمال ، بل النّبيّ ﷺ كان يميّز بينهم ويختار لكلّ عمل شخص يؤديه على وجه قد لا يستطيع الآخر تحقيقه كما يُراد ، فمثلاً :لماذا اختار النبي ﷺ حذيفة في غزوة الأحزاب دون غيره للنظر في حال الأحزاب ؟ .

لماذا اختار خالد بن الوليد لقيادة الجيوش ؟ لماذا قال في الحديث المشهور : ((**أفرضهم زيد**))[1] فإنّ صيغة التفضيل تدلّ على تميّز ، ولو كان بمقدور الجميع أن يكونوا كزيد لما كان هناك للتفضيل معنى .

إلى هنا والّذي قلناه لبيان مخالفة المبدأ للمنهج العلمي والواقعي أيضاً والّذي نلمسه واقعاً مشاهداً لا ينكره إلاّ مكابر .

ولكنّ الطّامّة حين يكون لهذا المبدأ جذر خبيث يمدّه من فكر مخالف لمنهج السّلف بغضّ النّظر عن تبرير الصّلة بين هذا العلم وبين هذا الفكر ، **وبيان ذلك بما يلي** :

---

(١) أخرجه أحمد ح١٢٤٣٧ والترمذي ح٣٧٢٣ وابن ماجة ح١٥١ .

من المعلوم لدى أهل العلم من السّلف والخلف أنّ القدريّة وتمثّلهم المعتزلة كان لهم تصوّر في باب **أفعال العباد الاختياريّة** وهو ما يوازي تعبير ((**السّلوك الفردي**)) ، وهذا التّصوّر خلاصته أنّ العبد له قدرة تامّة وإرادة مستقلة ليفعل ما يريده دون أن يكون لله تعالى قدرة على ذلك ، وأنّ الله تعالى لم يخلق أفعال العبد ، بل العبد يحدث فعله ، وفعل العبد وإرادته لا يدخلان في قدرة الله ولا خلقه ، بمعنى أنّ قدرة العبد وإرادته سبب تام لحدوث الفعل .

وبطبيعة الحال فإنّهم كانوا يعبّرون عن هذا بعبارات تؤدي هذا المعنى ، فهم يلغون أيّ أثر لغير قدرة العبد وإرادته في حدوث مراده .

ولهذا بنى المعتزلة على تصوّرهم هذا مذهبهم في أنّ المجتهد المخطىء آثم ، فإن كان خطؤه في الاعتقاد كفّروه ، لأنّهم يعتقدون أنّ الوصول للحق يكفي فيه أن يبذل العبد وسعه للوصول إليه فإن لم يصل إليه دلّ على تقصيره ، فلم يؤمنوا بما آمن به السّلف أنّ المجتهد وإن اجتهد للوصول إلى الحق فإنّه غير قادر بغير معونة الله تعالى وتوفيقه وأنّه ليس كلّ من بذل الجهد والوسائل الموصلة للهدف يقدر أن يصل إليه كما يصوّره هذا المبدأ الهندسي الغريب .

بل حتّى في التّكاليف الشّرعيّة نفسها قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] ، ومعنى هذا أنّ لكلّ نفس وسعاً وطاقة محدودة ، وأنّه ليس كلّ شخص يطيق ما يطيقه غيره ، ومن طريف هذا المعنى أنّ النّبيّ ﷺ نهى عن الوصال : أي أن يصل المسلم الصّوم ولا يفطر عند الغروب بل يصوم يوماً آخر أو أكثر ، فلمّا احتجّ

الصّحابة ﷺ بفعله لأنّه كان يصل الصّوم قال عليه الصّلاة والسّلام : ((**إنّي لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني**))(1) فقد بيّن لهم أنّهم لا يطيقون ما يطيقه لاختلاف القدرات والملكات والمواهب اللّدنيّة .

والحقّ أنّ هذا المبدأ الغربي الّذي يجعله أساطين الهندسة النّفسيّة قانوناً يبنون عليه ما يعِدُون به المتدربين من تحقيق النّتائج المطلوبة وهي في العادة ((النجاح والتفوق والتميز والثروة)) ، إذ يدخل المتدرّب لدورات هؤلاء المحتالين وهو يحلم أن يكون مثل الناجح الفلاني أو الثري الفلاني .

وأنا بطبيعة الحال لا أنكر أن يتطلّع أيّ شخص لبلوغ مرتبة من الكمال البشري في المجال الدنيوي والأخروي مادام شيئاً أباحه الله .

ولكنّ الّذي أنكره هنا هذا التّصوير المخالف للفطرة والشّرع أصلاً وهو أنّ أيّ شخص مهما كانت ظروفه ومحدوديّة قدراته الشّخصيّة له القدرة أن يكون مثل أيّ شخص ، وهل هذا إلاّ ضرب من الغشّ والخداع ؟.

أمّا **الفطرة** فكلّنا يعلم أنّ النّاس مختلفون في قدراتهم وإمكاناتهم ومواهبهم ، وأنّ قدرة شخص ما على تحقيق هدف ما لا يتوقّف فقط على إمكان الهدف في نفسه وتحققه في أرض الواقع ، بل لابد من أشياء أخرى أشرنا إليها سابقاً .

---

(١) أخرجه البخاري ح١٧٨٨ ومسلمح١٨٤٤ .

وأمّا **الشّرع** فإنّ الله تعالى بيّن أنّه إضافة لذلك الّذي ذكرناه في الفطرة مما يشترك فيه جميع النّاس فإنّ على المؤمن أن يعتقد اعتقاداً جازماً ((لا لفظياً كما عند بعض ممارسي ومدربي الهندسة النفسيّة)) أنّه لا قدرة للعبد ولا إرادة إلاّ أن يشاء الله وأن يقدّر الله وأن يأذن الله .

وهذا لا يمنع أن يتّخذ العبد الأسباب الكونيّة ، لكن عليه أن يعلم أنّ السّبب الكوني ليس سبباً مستقلاً في حدوث ما يترتّب عليه بل لابدّ من إذن الله ومشيئته وتقديره .

وإذا كان هذا المبدأ في ظاهره يلغي بل يهمل هذا القيد المهم فإنّ ذلك غير مستغرب في الحقيقة لكونه نما في بيئة قدريّة في الغرب المادّي الّذي يؤمن بالسّبب وبالسّبب فقط في الحصول على النتائج ، ولكن المؤمن الفطن ليس إمّعة يأخذ كلّ ما يُلقى إليه كما يريد روّاد الهندسة أو البرمجة على اعتبار فرض حسن النيّة في الألفاظ والمقولات ، والتّهوين من شأن القيود الشّرعيّة في هذه المقولات واتّهام من ينبّه عليها بأنّه مبالغ ومتكلّف .

ولو تتبّعنا التّوجيهات في الكتاب والسّنّة الّتي تراعي وتهتم باللفظ وضبطه لعرفنا أهميّة الحرص على أن لا تكون التعابير العلميّة معبراً لتمرير مفاهيم ضمنيّة مخالفة للشّرع ، خذ مثلاً قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٠٤] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ﴾ [البقرة:١٥٤] وقوله ﷺ : ((**لا تسموا العنب الكَرْم ، فإنّ الكَرْم**

الرجل المسلم))[1] وغير ذلك كثير ممّا يدل على أهميّة هذا الجانب في الشّرع وأنّه ليس من المبالغة في شيء أن يُؤخذ كمأخذ على قواعد ومقولات علم البرمجة .

ومن العجيب أنّهم هم يعقدون فصلاً في هذا الأمر يسمّونه التّشويه في اللغة ، ومن ضمن أنواع التّشويه التّعميم كما ذكره غير واحد منهم ، ومع هذا يقعون هم في التّشويه في مقولاتهم اللهمّ إلاّ من كان يجهل سعة التّعميم للمضمون الخاطىء فالأمر حينئذ هيّن .

. ملحظ آخر في هذا المبدأ :

ينتابني كثير من الشكّ والرّيبة في تأثّر هذه المقولة بأصول فلسفيّة ، وقد ذكرت سابقاً أنّ كثيراً من العلوم الإنسانيّة الغربيّة مأخوذ أو متأثّر بأصول فلسفيّة ، والأثر هنا ألحظه بين هذه المقولة وبين الطّموح الفلسفي القديم في الوصول إلى حالة النّبوّة .

ذلك أنّ **الفلاسفة** يدّعون أنّ النّبوّة مكتسبة وأنّ الإنسان يستطيع عن طريق الاجتهاد في تهذيب النّفس وتحصيل العلم أن يصل إلى النّبوّة ، وهذا الكفر الصّراح مخالف لما أجمع عليه المسلمون من أنّ النّبوّة اصطفاء من الله تعالى .

وهذه المقولة كما نرى لا تستثني شيئاً ، فكلّ ما يفعله شخص من النّاس يستطيع غيره أن يفعله ، وهذا بالغ الخطورة ، إذ يعني أنّه بوسع من يغرق في التهذيب والتأمّل والعلم والحكمة أن يصل إلى النبوّة ، أو على الأقل أن يجري على يديه مثل ما يجري على

---

(١) أخرجه مسلم ح ٢٢٤٧ .

يد النّبيّ ، وهذه فكرة فلسفيّة قديمة ردّها السّلف الصّالح وكفّروا بها من ادّعاها من **الفلاسفة** الباطنيّة الذين دعوا إليها كابن سينا والفارابي وغيرهم [1].

ولهذا تبنّى **الفلاسفة** أنّ معجزات الأنبياء راجعة إلى قدرات النّفس الخارقة الّتي يستطيع النّبيّ إطلاقها وتفجيرها عبر رياضات معيّنة ، وإذا كان كذلك فإنّه يمكن أن يجري على يد الواحد منّا بعض ما يجري على يد النّبيّ إذا توسّل إلى ذلك بالوسائل الموصلة ، وتقدّم شرح شيء من هذا ، ومن هنا تلمح الارتباط والإصرار عليه بين البرمجة اللغوية العصبية وبين علوم الطاقة ، وإن كان هذا لا يلحظه بعض الممارسين والمدربين للهندسة النفسيّة .

---

(١) يأتي ذكر كلام شيخ الإسلام عن ذلك آخر الرسالة .

٤ . **قالوا : ((الخريطة ليست هي المنطقة))**[1].

. **قلنا** : حاول كثير من روّاد الهندسة أن يتملّصوا من المضامين الفكريّة الباطلة لهذه المقولة ولكنّها لازمة لهم ولو أبوا .

أوّل ما يُلحظ هنا أنّ هذه المقولة يشرحها روّاد البرمجة بطريقة غير ما قصد بها أصحابها ، فنحن نعلم أنّ الفكر الغربي يسوده كثير من النّفعيّة والتّشكيك في الحقائق ، وأنّه في هذه البيئات تتّخذ المبادىء والقوانين الخلقيّة أو الفكريّة نمطاً هلامياً بحسب أهواء المفكرين والمثقفين وبحسب المردود النفعي من هذه المبادىء .

وهذه المقولة تجزم بأنّ الخريطة ليست هي المنطقة ، ويعنون بذلك أنّ ما تتصوّره وتعتقده من الأفكار والتصوّرات ليس هو الحقيقة الواقعة خارج الذّهن .

فإذا سحبنا هذا المعنى على المعارف والأصول الإسلاميّة سنجد أنّنا نشكّك من حيث لا نشعر بأصول الملّة وقواعد الفكر الإسلامي ، فكلّ هذه الأخبار القرآنيّة عن الله واليوم الآخر والملائكة والقبر والجنة والنار والشّرائع ومصالحها وقواعد الشّرع ليست كما نتصوّره ونعتقده ، بل كما تقول هذه الفلسفة : ليست هي المنطقة .

بطبيعة الحال هم يمثّلون بأمثلة دنيويّة : كالمدن والدول ونحو هذا ، وأنّ ما نتصوّره في أذهاننا عن هذه الأماكن لا يطابق حقيقة الواقع .

---

(١) مذكّرة الفقي ص ١٩ .

والمؤمن يعلم أنّ التصوّرات الّتي يكتسبها ترده من طريقين : طريق دنيوي بشري عن طريق الحواس الخمس ، وهذه يمكن أن نسلّم بأنّ إدراكنا وتصوّرنا لحقائق الأشياء هو أقلّ أو مغاير للحقيقة ، وهو أمر طبيعي لأنّ الإدراك أخصّ من الرّؤية ، ولهذا يقول السّلف إنّ المؤمنين يرون الله تعالى في الآخرة ولا يعارض هذا قوله عزوجل : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:١٠٣] لأنّ الإدراك المنفي أخصّ من الرؤية فالمؤمن يراه ولكن لا يدرك حقيقته وكنهه كما قال أيضاً : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه:١١٠] .

أمّا الطريق الثّاني وهو الخبر النّبوي أو القرآني أو الإجماعي ، فهذه لايشكّ المؤمن ولا يستريب أنّها تطابق الصورة الّتي أدّاها الخبر الشّرعي ، وليس كما تقول هذه المقولة الخاطئة.

نعم يمكن أن يقول المدافعون عن هذا العلم إنّ هذا غير مقصود ، وهذا إن كان صحيحاً فإنّنا نعيدهم إلى ما نبّهنا إليه من خطورة تلقف عبارات من خارج النطاق الإسلامي دون تمحيصها ، والواجب إن أصرّ شخص على التمسّك بهذه الهرطقة أن يعدّل ألفاظ هذه العبارات غير الشّرعيّة ، ونحن غير ملزمين منهجياً ولا أدبياً بعبارات الآخرين بل يجب أن نؤدي المضامين الّتي نريدها إن كانت سليمة وصحيحة بعبارات من بيئتنا اللفظيّة وقواميسنا العرفيّة درءاً للّبس وحفاظاً على أصولنا واستقلاليّتنا .

٥ . قالوا : ((يستخدم الناس أحسن اختيار لهم في حدود الإمكانيات المتاحة))[(١)].

. **قلنا** : لعلّ هذه المقولة تصلح لتكون مبدءاً مأموراً به ، بمعنى أنّ مقتضى الإيمان والعقل الصّحيح أن يفعل العبد أفضل ما يحسنه في حدود الإمكانيات المتاحة له .

أمّا القول بأنّ هذا ما يحدث فعلاً فهو مخالف للصّواب وللواقع المشاهد ، وإذا أردنا أن نكون واقعيين فإنّ هذا الأمر يمكن افتراضه والبناء عليه في مجال حرص النّفس البشريّة ، أي فيما هو دنيوي وفيما هو من هوى النّفس ، فحينئذ يمكن افتراض أنّ النّاس في هذه الحال يستخدمون أحسن اختيار لهم في حدود الإمكانيّات .

أما في معالجة أمور النفس الإنسانية فالعكس موجود ومشاهد ، بل النّصوص القرآنيّة والنّبويّة تدلّ دلالة قطعية على أنّ غالب النّاس في باب الواجبات والالتزام تجاه الغير تغلب عندهم نزعة مخالفة الصّواب والحق وفي هذه الحال فإنّهم لا يستخدمون أحسن اختياراتهم ، والإنسان كثيراً ما يقر بخطئه وأنه كان من الممكن فعل أفضل مما كان .

وهذا المبدأ لو طبق حرفياً لكان مضاداً لمبدأ المحاسبة ، بل هو تبرير وتسويغ لمخالفة للحق ، فيُقال : ليس في الإمكان أبدع ممّا كان ، وهذا خطأ يترتّب عليه أخطاء جسيمة عند التّأمّل والتخلّص من وهم وإيحاء مدرّبي الهندسة النّفسيّة .

---

(١) مذكرة الفقي ص٢٢ .

٦ . قالوا : ((معنى الاتصال هو النتيجة الّتي أحصل عليها))[1] .

. **قلنا** : قد نتّفق على أنّ النّتيجة الّتي تترتّب على عمل ما هي مقياس يساعد على اكتشاف الخطأ ، لكنّها لا تدلّ على وجود الخطأ قطعاً .

ذكر الدكتور الفقي هذه العبارة مبيناً أنّ عدم التوصل للنتيجة المطلوبة يدلّ على خطأ الطريقة ((طريقة الاتصال)) مما يوجب تغييرها .

وإذا كان من ملحوظة أقدّمها بين يدي كلامي هو أنّ الفقي صاحب علم دنيوي كما هو هذا العلم متوجّه في جزء كبير منه إلى تراتيب إداريّة وتجاريّة بهدف الحصول على نتائج عالية في مجال الأعمال الّتي تعتمد على العلاقة مع الآخرين في نموّها ونجاحها ، فمن حق الفقي أن يطلق العنان لعباراته .

لكن ليس من حقّ **عرّابي** هذا الجهل ممن ينشره في بلاد المسلمين وخصوصاً من **يُنسبون للعلم والدّعوة** أن يقدّموا مثل هذه العبارة المطّاطة دون أن يتوجّه لها النّقد والتمحيص ومن ثمّ الرّفض أو التّقييد .

ذلك أنّ الاتّصال أو النّتائج الّتي يُرغب في تحقيقها عن طريق الاتصال بالآخرين نوعان :

---

(١) الفقي ص٣٠ .

الأوّل : دنيوي بحت ،مجاله العلاقات الإنسانيّة كمجال التجارة والاقتصاد ، فهذه وإن كان اعتبار النتيجة مقياساً رئيساً في تقييم الاتّصال هو غير منهجي في الحقيقة إلاّ أنّه يمكن أن يكون مجال بحث ونظر .

الثّاني : شرعي ديني ، أعني الأمور الّتي شرعها الله تعالى على لسان نبيّه ﷺ ، فهذا النّوع لا عبرة بالنّتيجة في تقييم الاتصال البتّة ، بل العبرة في تقييم الاتصال فيها هو موافقتها للكتاب والسّنّة فإن وافقت كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ فلا يهم بعد ذلك تحققت نتيجته أم لا .

ووجه هذا الكلام هو أنّ الله تعالى في مثل هذه الأمور شرع وأمر بالسّبب وقيّده وحصر الأمر فيه فلا يجوز تغييره واستبدال غيره به مما نظن أنّه يوصل للنتيجة بل ولو حدث فعلاً أن حقق نتائج معيّنة فإنّه باطل لأنّه مخالف لشرع الله تعالى .

ولأنّ غالبيّةً ممن يتهافتون على دورات الهندسة النفسية هم من المربين والدعاة يزعمون أنّهم يوظفون مبادىء البرمجة اللغوية من أجل تحقيق نتائج تربوية ودعوية فسأضرب مثالاً بالدّعوة نفسها : فإنّ المربي إذا استفرغ وسعه في وسائل مشروعة لتربية الناس بعامة أو مجموعة خاصة أو حتّى بنيه فلم يحقق نتيجة ما فإنّ هذا لا يعني خطأ تلك الطرق والوسائل الشّرعيّة ، ومن ثمّ لا يسوغ له أن يطرق وسائل أخرى غير مشروعة حتّى لو كانت فعلاً تحقق نتائج مرئيّة ، ذلك أنّ هذا سيكون تصرفاً واجتهاداً مقابل النّص .

والدّليل الشّرعي يؤيّد ما قلناه ويكذّب مقولة الفقي ، وذلك أنّه ثبت عنه ﷺ أنّ من الأنبياء من يأتي يوم القيامة وليس معهم من الأتباع أحد[1]، فهل يعني هذا أنّ الأنبياء سلام الله عليهم كانوا على طرق اتصال خاطئة أدّت إلى فقدان الأتباع ؟.

والنّبيّ ﷺ فعل كلّ ما يسعه ليؤمن عمّه أبو طالب ومع هذا لم يؤمن عمه ومات على الشرك ، فهل طريقته في الاتصال بعمه كانت قاصرة فلم تحقق نتيجة ؟.

ومثل هذا يُقال في كفار قريش الّذين عاندوه حتى ماتوا ، هل يجرؤ أحد أن يتّهم النّبيّ ﷺ بقصور طريقته في الاتصال بالآخرين وعرض ما عنده عليهم ؟ .

إذا صدّقنا الفقي فيما يقول وقعنا في ذلك بلا شك ولا ريب .

والحق أنّ هذا المبدأ يتفق كثيراً مع مبادىء الفكر النّفعي الّذي يقيّم الأفكار والمعتقدات والأفعال بحسب النتائج الملموسة الّتي تتحقق ، وهذا يعتمد على مبدأ التجربة والتجربة فقط ، النجاح هو الحصول على النتيجة المطلوبة ، وهذا كما قلنا في الدنيا ربما ، أما علوم الشّريعة فالنجاح هو موافقة الكتاب والسّنّة .

---

(١) أخرجه البخاري ح ٥٧٠٥ .

٧ . قالوا : ((أنا أتحكّم في عقلي إذاً أنا مسؤول عن نتائج أفعالي))[١].

. **قلنا** : لا يفوت بهذه المناسبة القول بأنّ أكبر وأهم إيجابيّة لمضامين هذا العلم هو توجيه الشّخص للنّظر في نفسه والبحث عن أخطائه وتحميله تبعات أفعاله ونتائج سلوكه من نجاح أو فشل ، وعدم اتخاذ القدر حجة على ترك الاجتهاد والحرص على النجاح ، وهذا أمر بالغ الحسن في الحقيقة .

لكنّ هذه الإيجابيّة أصبحت سلبيّة من الطّرف الآخر من حيث الإغراق في قدرات النّفس الإنسانيّة حتّى ليخيّل للمتدرّب أنّه قادر على كلّ شيء .

ويمكن تلخيص المآخذ على هذا الجانب في نقاط :

الأولى : تربويّة ، وهي أنّه وإن كان تدريب النّفس على تحمّل أخطائها ونتائج أفعالها أمر حسن لما فيه من إطلاق قدرات النّفس وعدم اليأس وتعليق الفشل على العامل الخارجي ، فإنّ من حقّ النّفس أن يُقال لها أحياناً إنّ شيئاً ما من خارج حدود النّفس حال دون المراد ، فهذا من جهة لا يفقد النّفس ثقتها في نفسها [٢]، خصوصاً وأنّ هذا العلم يعلّق النجاح والفشل على النتائج بغض النظر عن المنهج المتّبع .

---

(١) مذكّرة الفقي ص٣٤ .

(٢) انظر إلى جمال المنهج النّبوي في هذا الجانب فإنّ النّبيّ ﷺ قال في الصّحيح : (لا يقولنّ أحدكم خبثت نفسي ، وإنّما لقست) أخرجه البخاري ح٥٧١١ ومسلم ح٤١٨٠ .

ومن جهة أخرى فإنّه يحقق ما قلناه سابقاً من أنّ النتيجة لا تتوقف على فعل السّبب الموصل لها ، بل لابدّ من توفر الشروط المناسبة وانتفاء الموانع .

والثّانية : أنّ هناك إغراقاً ومبالغة في تصوير قدرة النّفس : فتقرأ وتسمع من مدربي وممارسي هذا العلم أنّ الإنسان يستطيع تغيير العالم إذا غيّر نفسه ، هكذا بكلّ بساطة يُلقى مثل هذا الكلام لمتدربين ربّما لا يعي أحدهم ما يُلقى إليه ، وفي ظني أنّ هذا سذاجة أو خبث ، صحيح أنّ هناك أفراداً من البشر مكّنهم الله من تغيير العالم فكانوا أداة إلهيّة لهذا التّغيير لا أنّهم هم الّذين فعلوا : غير أنّ من الواجب ومن المهم للغاية أنّ يعرف الإنسان أنّ قدراته الحسيّة محدودة لا عكس ذلك ، وأنّ الواجب عليه بذل وسعه لتحقيق أعلى معدّلات النجاح داخل حدود قدراته وطاقته لا أن يتصوّر أنّ كلّ واحد منا يستطيع : تغيير العالم .

الثّالثة : أنّ الإغراق في هذا الجانب أدّى إلى إغفال جانب القدر والتّقدير الإلهي ، صحيح أنّ الإسلام حمّل كلّ عاقل بالغ مختار نتائج أفعاله ومسؤوليّتها في الدّنيا ، لكن ليس بهذا الإطلاق الّذي نقرؤه في كتب البرمجة ودوراتها .

إنّ القدر ليس حجّة على المعايب وليس حجّة للمذنب ، لكنّه حجّة في المصائب وحجّة بعد وقوع الخطأ ، بل آدم عليه السّلام احتجّ به فغلب موسى بالحجّة حين قال له موسى : ((**أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض ، فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجياً**

فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى : بأربعين عاماً ، قال : آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال : نعم ، قال : أفتلومني على أن عملت عملاً كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ، قال رسول الله ﷺ : فحج آدم موسى))[1].

هذا في الذّنوب مع أنّ الذّنوب من أشدّ ما يتحمّل فيها المرء مسؤوليّة لأنّ نتائجها ليست فشلاً دنيوياً بل عذاب أليم .

أمّا في مجال الدّنيا ومشاريعها والتطوّر والتدريب والنجاح في تحقيق الهدف أو الفشل فكلّ هذا وإن أُمرنا بتحمّل المسؤوليّة فيها والأخذ بالعزم فإنّ المؤمن مأمور بشيئين :

أحدهما : الاستعانة بالله ، والعلم بأنّ ما يقوم به مجرّد أسباب والله تعالى هو الّذي يقدّر تحقيقها نتائجها أو لا ، وإن كان الله تعالى أجرى العادة بأنّ من تسبّب إلى شيء وصل إليه .

والآخر : أن يؤمن بقدر الله تعالى وأنّه إذا فشل في تحقيق هدف ما وكان هذا الهدف مشروعاً فإنّ عليه أن يعلم أنّ الله تعالى لم يرد ولم يقدّر له هذه المرة فليحاول مرة أخرى أو فليبحث عن مجال آخر فلعلّ هذا الباب مغلوق عليه ، وهكذا .

إنّ الشّرع الحنيف يحقق للمؤمن التّوازن بين عدّة أمور : **الاجتهاد وتحمّل المسؤوليّة ، الإيمان بالقدر والتوكّل على الله والحاجة إليه ، حاجة النّفس إلى الثقة في نفسها ، ومعرفة**

---

(١) أخرجه البخاري ح٣١٥٧ ومسلم ح ٤٧٩٣ .

قدرتها ومحدوديّتها ، وهذه كلّها مجموعة في الوصيّة الّتي علّمها النّبيّ ﷺ لأمّته ونقلها لنا محدّث الصّحابة الصّحابيّ الجليل أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير ، اِحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان**))[1] هل رأيت أو حضرت دورة في البرمجة تعطيك هذا الّذي ذكره النّبيّ ﷺ في أربعة أسطر :

١ . المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير .

((إذن هناك مؤمن قوي ومؤمن ضعيف : هذا تقرير لاختلاف القدرات والملكات))

٢ . احرص على ما ينفعك .

((ومع هذا فيجب على العبد أن يحرص على ما ينفعه ويجتهد فيه لا أن يركن إلى أنه ضعيف))

٣ . واستعن بالله .

((هذا الجانب يخص المؤمن بالله لأنه يعلم أنّه مالم يعنه الله فلا توفيق ولا بركة))

٤ . ولا تعجز .

---

(١) أخرجه مسلم ح ٤٨١٦ .

((توجيه بعدم اليأس وعدم التوقّف بل لابدّ من المحاولة والاستمرار))

٥ . وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان .

((التسليم للقدر بعد الاجتهاد وعدم تحميل النّفس كلّ الخطأ ، بل هناك قوّة خارجيّة هي قوّة الله وقدرته الّتي قد تحول بين العبد ومبتغاه إمّا لصالحه هو وإمّا عقوبة له على ذنب ، ولهذا شُرعت الاستخارة)) .

أرأيت الدّرّ والياقوت في أجمل حلّة وأبهى طبق ؟

هذه الرّوعة وهذا الإيجاز العلمي وهذا التّوجيه التّربوي الرّفيع تركه كثير من المنتسبين للدّعوة من الأئمّة والمعلمين والموجّهين وذهبوا يتتلمذون على مخرجات التّائهين الضّائعين الباحثين عن الهدى ، وأيم الله لو علم روّاد البرمجة العصبيّة من الغرب بمثل هذا الّذي ذكرته أعلاه من قوله ﷺ وحلّلوه لاستغنوا به عن ترّهاتهم وتطويلاتهم و تشعيباتهم الّتي يظهر فيها بجلاء غياب أثر الوحي والنّبوّة .

كان من المفترض بدلاً عن أن يذهب المؤمن ليتعلّم منهم أن يعلّمهم هم ما بأيدينا ، فإنّ النّبيّ ﷺ ترك لنا وورّثنا أقوى وأعلى وأرفع قواعد التّربية والتّهذيب للنّفس ، والعلماء الّذين تلقّوا هذا الإرث النّبوي شرحوه وبنوا عليه بما أجزم أنّه لا يوجد شيء في مناهج التربية الحديثة إلاّ وعندنا أفضل منه وأحسن وأقرب للمراد وأسهل في الفهم والاستيعاب حتى لا يحتاج الواحد إلى تلك **الدّورات باهضة الثّمن الّتي يُستغلّ بها السّذّج والفارغين من علوم النّبوّة .**

٨ . قالوا : ((ليس هناك حظ بل هناك نتيجة ، وليس هناك صدفة بل هناك أسباب ومسببات)) .

قلنا : لا نريد أن نكون أسيرين لألفاظ هذا العلم الغربي المحدث ، فإنّ الحظ بمفهومه العامي أمر مرفوض خصوصاً من حيث بناء الآمال عليه وترتيب أولوياتنا عليه .

وكذلك الصّدفة بمعنى العبث وعدم النظام أمر غير موجود وهو غير مقبول في شرعنا أيضاً لأنّ الله قدّر كلّ شيء .

لكن المقصود هنا ليس هذا ولا هذا وإنّما هو نفي للقدر فعلاً ، بمعنى أنّه لا يمكن أن يحصل شيء إلاّ بتسبّب ولا تحدث نتيجة إلاّ بسببها ، وهذا يؤكّد ما قلناه سابقاً من تأليه الأسباب في علم البرمجة .

ونحن نقول : مع إنكارنا لما أنكرتموه إلاّ أنّ هذا لا يعني اتفاقنا معكم على المقصد ، بل نقول : إنّ الله تعالى قد يقدّر النتيجة بغير سببها لحكمة منه تعالى ، كما أنّه قد يمنع النتيجة عن السّبب ، فكم تاجر يتجر بكلّ سبيل ويتعلّم ويتسبّب للكسب بأرقى وسائل العصر ومع هذا فخسارته كبيرة ، وكم من ناكح يريد الذرّية ويبذل لها كلّ نفيس فلا ينسل .

وكم بطّال لا يعمل يأتيه الرّزق من حيث لا يعلم ، وكم من مريض عقيم يعطيه الله الذرية ويعافيه بلا تداوي ، فالله تعالى مقدّر السّبب والنتيجة وإذا أراد الله عكس ذلك .

ولا نعني بهذا أن يتّكل الإنسان على الحظ والصّدفة بل هذا مذموم في شرع الله الّذي أمر العبد بالتّسبّب والعمل لكل نتيجة وهدف يقصده ، لكن هذا في نفس الوقت لا يجعلنا نصل إلى درجة نؤلّه السّبب ونعبده من دون الله ونعتقد أنّه لولاه لما حصل نتيجة ولا وصلنا إلى مقصد ، بل كلّ ذلك مردّه إلى الله علماً وتقديراً تعالى جدّه .

٩ . قالوا : ((إذا كانت الطّريقة الّتي تعمل بها توصلك إلى نتيجة معيّنة فإنّ استمرارك في الطّريقة نفسها سيوصلك إلى النّتيجة نفسها في كلّ مرّة))[١].

. **قلنا** : يجب أن نتنبّه هنا إلى أنّ هذا العلم يدرسه كثير من المنتسبين إلى الإسلام والدّعوة ويحاولون توظيفه في أمور شرعيّة ، ولهذا يجب أن نتوقّف أمام كلّ تعبير ربّما يتعارض مع أصول شرعيّة .

فهنا لنا ملاحظات على هذه المقولة :

أوّلاً : إنّ العبارة في ذاتها ليست صحيحة ، ذلك أنّ الشّخص إذا اتّبع طريقة معيّنة وأوصلته إلى نتيجة ما فليس معنى هذا أنّ العيب في الطّريقة بل ربّما كان العيب في الظّروف المصاحبة ، وهذا شرحناه سابقاً عندما تكلّمنا عن أنّ السّبب لا يستقلّ بنفسه في الوصول إلى نتيجة بل لابدّ من توافر شروط ملائمة وانتفاء الموانع ، فمن الخطأ تعميم وحصر الخطأ في الطريقة .

---

(١) مذكرة التكريتي ص٢٦ .

ثانياً : لابدّ أن نفصل بين الطّريقة الّتي هي أمر شرعي أمر الله به للوصول إلى نتيجة معيّنة وبين النّتيجة الّتي أمر الله بها ووسّع في اختيار الطريقة الملائمة .

فإذا كانت الطريقة نفسها منصوص عليها وجب اتّباعها سواء أوصلت إلى نتيجة أم لا ، لأنّنا مأمورون تعبّداً بهذا .

مع الجزم بأنّ ما شرعه الله نفعه أكثر من ضرّه وإن بدا لنا خلاف ذلك .

ثالثاً : أنّه يجب ملاحظة أمور شرعيّة إيمانيّة يختصّ بها المؤمن ، فإنّ المؤمن يؤمن بأنّ الله تعالى ربّما لا يحقق له ما أراده من الطريقة ليس لأنّها طريقة لا توصل إلى مقصود وإنّما لكونه شراً يصرفه عنه ، أو لكون الله تعالى عاقبه بحرمانه بسبب ذنوبه من النتيجة والهدف الّذي يطمح إليه .

فإذا عرفنا هذه القيود فلا بأس بعد ذلك أن نضع نصب أعيننا هذه المقولة بعد **فلترتها** بما ذكرناه ، والله تعالى أعلم وأحكم .

١٠ . **قالوا : ((الأكثر مرونة الأكثر تحكماً))**[1] وتعني هذه الافتراضية أن الجزء الأكثر مرونة في أي نظام يتحكم في النظام كله ! فالمقود للسيارة يتحكم في السيارة، وهكذا القائد يكون الأكثر ليونة، وكلما زادت ليونة الشخص ازدادت قوته في السيطرة على النظام ، وفي الحديث الشريف: ((**ما خُيّر – النبي ﷺ – بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً**))[2] وكل صلب مآله الوقوع .

. **قلنا :** لاشكّ أيضاً أنّ المرونة مهمة ، خصوصاً في المواقف الّتي يكون الحل فيها موقوفاً على مصالحة أو تعاون بين الأطراف المختلفة ، وهذا يشمل المواقف الدنيوية البحتة كما في البيع والشراء والتوظيف والتدريب .

ويشمل أيضاً مواقف السّياسة الشّرعيّة فإنّها في كثير من الأحيان تحتاج إلى مرونة ، وإذا كان البعض يستشهد بحديث ((**ما خُيّر**)) المذكور أعلاه ، **فإنّ حديث صلح الحديبية أوضح في المراد وأبين في الاستدلال**[3] .

لكنّ هذا القانون الّذي يُدرس في البرمجة لم يضع لنا حدوداً تنتهي إليها المرونة ، فإنّ مقود السيارة وهو أكثر الأجزاء مرونة وهو أكثرها سيطرة على سير السيارة **قد تكون**

---

(١) مذكورة في عدد من الدورات الّتي يقدمها مدربوا البرمجة ومنها مذكرة الفقي ومذكرة مركز الراشد بجدة .

(٢) أخرجه البخاري ح٣٢٩٦ ومسلم ح ٤٢٩٤ .

(٣) حيث كان النّبيّ ﷺ مجارياً لسهيل بن عمرو فيما أراده من محو اسم النبوّة عنه ﷺ وغير ذلك مما ظنه المسلمون هزيمة وسمّاه الله فتحاً وأنزل فيه سورة الفتح .

مرونته سبباً في كارثة لمن داخل السيّارة ، فحركة يسيرة أحياناً قد تؤدي إلى انقلاب السيّارة وهذا مشاهد .

وأمّا في الأمور الشّرعيّة فإنّ للمرونة حداً يجب أن يُنتهي إليه ويوقف عنده ، **فلا مرونة في المبادىء والثوابت** ، الّتي مر بعضها تحت بعض العناوين .

إنّ ما أخشاه كثيراً هو أن يتحوّل ـ مع مرور الزمن ـ بعض قوانين البرمجة العامة في لفظها إلى عامّة في تطبيقها فيسري ويطغى عمومها على عموم القواعد الشّرعيّة (١) ، وهذا للأسف نراه واقعاً من قبل انتشار البرمجة ، فكم من المتسبين للدّعوة من يتساهل في مواقف شرعيّة ويسكت عن منكرات ويشارك في منكرات والحجّة : لابدّ أن تكون مرناً حتّى يقبل منك الآخرون ويمكن أن تقيم علاقة تمكّنك من الاتصال بهم ومن ثمّ التّأثير فيهم !

ثمّ جاء علم البرمجة ليثبّت هذه النظرة ويصيّرها علماً من علوم الاتصال الحديث الّذي يمكّن الدّاعية من التّأثير في الآخرين .

وهذا بلاشكّ أمر مخالف لمنهاج النّبوّة وللنّصوص الصّريحة الّتي تجعل للمرونة حدوداً شرعية لا يجوز تجاوزها ، ونفس الحديث الّذي يُستشهد به ينصّ على ((**مالم يكن إثماً**)) ، وهذا دليل على ما قلناه ولله الحمد .

---

(١) انظر آفاق بلا حدود ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

علوم أخرى وعلاقتها بالهندسة النّفسيّة

من الواضح مما تقدم ومن تعريف وكلام أصحاب الهندسة النفسية أنّ مجال دراستهم وتطبيقاتهم هو السّلوك الإنساني ومحاولة التحكم فيه وجعله إيجابياً باستخدام اللغة .

لكن من المهم معرفة أنّ هذا العلم يستمدّ من عدة علوم مجتمعة كاللغة وعلم النفس والفلسفة والطب النفسي وغيرها .

وستناول بالنقد هنا علمين يخرجان من مشكاة واحدة ومنهما تستمد البرمجة اللغوية بعض تقنياتها ، وهما **الباراسيكلوجي** وعلم **البايوجيومتري** .

١ . الباراسيكلوجي :

أو علوم الطّاقة ، ومحور هذا العلم : الزّعم بأنّ الإنسان فيه طاقة كامنة يمكن لها خرق العوائد البشريّة إذا أمكن تفجير هذه الطّاقة بطرق معيّنة يذكرونها في مصنفاتهم ومعاهدهم .

يبحث الباراسيكولوجي علم **الخوارق** في أربعة مظاهر مختلفة هي كما يأتي :

١ . **التخاطر** : و هو نوع من قراءة الأفكار ، ويتم عن طريق الاتصال بين عقول الأفراد و ذلك بعيداً عن طريق الحواس الخمسة أي بدون الحاجة إلى الكلام أو الكتابة أو الإشارة ، كما يتم هذا التخاطب من مسافات بعيدة .

٢ . **حدة الإدراك** : والقدرة على رؤية كل ما هو وراء نطاق البصر كرؤية قريب أو صديق يتعرض لحادث بالرغم من بعد المسافة بينهما ، وما إلى ذلك .

٣ . **بعد النظر** : أو معرفة الأحداث قبل وقوعها . كتوقع موت رئيس دولة أو حدوث كارثة وغيرها من توقعات .

٤ . **القوى الخارقة** : في تحريك الأشياء أو ليّها أو بَعْجها بدون أن يلمسها صاحب تلك القدرة وإنما يحركها بواسطة النظر إليها فقط .

وقبل أن نذكر نقد هذا العلم ومرتكزاته أشير إلى أصل هذا العلم فيما يلي :

لاشكّ أنّ البعض منّا قد سمع عن **الفلاسفة** ويعلم شيئاً ولو يسيراً عن الفلسفة و**الفلاسفة** ، وأحب أن أقول إنّ الفلسفة تبحث في حقائق الأشياء وتحاول تفسير كلّ الظّواهر الّتي تعيشها وتراها بتفسير منطقي يقبله العقل ، أمّا في الطبيعيات فقد توصّلوا إلى حقائق جيّدة في كثير من الأحيان وهذا نتيجة الجهد الإنساني في النّظر في ملكوت الله تعالى وخلقه .

ولكنّهم في مجال الغيبيات تخبّطوا تخبّطاً لا حدود له ، لأنّهم يفتقدون المصدر الثقة الّذي يخبر عن حقائق الغيب وتفسير كثير من الظواهر الّتي لا تُقاس بالأجهزة ولا تخضع للقياس أصلاً .

من ذلك أصل الوجود وموجده ونهاية العالم وحقائق ما لا يبصره البصر ولا يسمعه السّمع ، ولهذا تجد في الفلسفة اليونانيّة من التّخبّط في هذا المجال ما يضحك منه عامة المؤمنين فضلاً عن علمائهم .

ثمّ جاء **الفلاسفة** المتنسبون للإسلام كابن سينا والفارابي وغيرهما فكانوا لقربهم من الوحي ومصادر السنة أقرب للصواب من اليونانيين ولكنهم لتأثرهم بالمنطق اليوناني حكّموه على الحقائق الإسلاميّة فانحرفوا بها عن معانيها الشرعية وحرفوا كثيراً من دين الإسلام ولهذا لم يتردد معاصروهم في تضليلهم والحكم عليهم بالزندقة .

ومن المهم معرفته عن مذهب **الفلاسفة** : أنّهم يقولون إنّ النبوّة اكتساب لا اصطفاء ، يعني أنّ الحكيم أي الفيلسوف يستطيع أن يترقّى بتأمّله ونقاء روحه برياضات معينة إلى أن يصل إلى درجة النبوّة ، إذ ينكرون الوحي ويقولون إنّ النّبوّة : علم وعمل فقط .

ولهذا كان من الغايات الّتي يبحث عنها الفيلسوف بلوغ الحكمة ومعرفة الحقائق والوصول إلى درجة النبوّة [1]، ومن هنا أخذوا يفسّرون بعض الحقائق المرتبطة بالنّبوّة تفسيراً يوافق توجّهاتهم وتطلّعاتهم ومن هذه الحقائق : المعجزات .

---

(١) كتاب الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٥ـ٧ .

فإنّ المعجزة هي خرق القانون الكوني المعتاد على يد نبيّ برهاناً على صدقه ونبوّته ، وهذه المعجزات في العادة تكون من الإبهار والإعجاز بحيث يعجز عنها البشر في وقتهم فيكون دليلاً على صدق النّبيّ .

ومن ذلك عصا موسى وإحياء الموتى لعيسى وانشقاق القمر لنبيّنا ﷺ وكذلك الإسراء والمعراج وفوق ذلك كلّه القرآن الكريم المعجزة الخالدة .

وهذه المعجزات لا تحدث للنّبيّ بعلم يتعلّمه أو قانون يستخدمه وإنّما يحدثها الله تعالى بإرادته عند وقوع التّحدّي تأييداً لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم ، بل إنّها أحياناً تحدث بغير علمهم ولا طلبهم لها تحديداً ، كما جعل الله النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وكحادثة الإسراء والمعراج .

وكان من غرض وأهداف الفلسفة أن تصل إلى حالة من العلم والعمل تجري معها على أيديهم **الخوارق** ، ولكنّ هذا سيصطدم بالحقيقة آنفة الذّكر وهي أنّ ذلك يحتاج إلى إحداث إلهي ولا تحدث وفق قانون أو علم : فاضطرّ **الفلاسفة** إلى الزّعم أنّ هذه **الخوارق** تحدث على يد النّبيّ عن طريق قوى النّفس ، فإنّ النّفس الناطقة بها قوّة جبّارة ، إذا انطلقت فعلت ما لاحدود له ، ويزعمون أنّ طريق انفلات هذه القوّة هو الرياضات القاسية كالجوع والإجهاد في العبادة والتأمّل والتفكر ونحو هذا .

ولهذا يقولون إنّ النبوةّ لها ثلاث خصائص :

الخاصة الأولى : أن تكون له قوة قدسية وهي قوة الحدس بحيث يحصل له من العلم بسهولة ما لا يحصل لغيره إلا بكلفة شديدة وحاصل الأمر أنه أذكى من غيره وأن العلم عليه أيسر منه على غيره .

الخاصة الثانية : قوة التخييل والحس الباطن بحيث يتمثل له ما يعلمه في نفسه فيراه ويسمعه .

الخاصة الثالثة : أن تكون له قوة نفسانية يتصرف بها في هيولي العالم كما أن العائن له قوة نفسانية يؤثر بها في المعين [1].

ومعنى هذا أنّ الفيلسوف يحتاج إلى هذه الخصائص الثلاث ليصل إلى درجة النبوة ويكون له قوة التصرف في هيولي العالم أي في القوانين الطبيعية .

ولهذا يزعم **الفلاسفة** أنّ خوارق الأنبياء هي من هذا النّمط أي أنّها قدرات نفسيّة نابعة من طاقة النّفس الكامنة ، وهذه مقولة كفرية قال عنها شيخ الإسلام رحمه الله : ((هذا الكلام وهو قول القائل أن معجزات الأنبياء صلى الله عليهم وسلم قوى نفسانية باطل بل هو كفر يستتاب قائله ويبين له الحق فإن أصر على اعتقاده بعد قيام الحجة الشرعية عليه كفر وإذا أصر على إظهاره بعد الاستتابة قتل وهو من كلام طائفة من المتفلسفة والقرامطة))[2].

---

(١) الصفدية لشيخ الإسلام ١/ ٥ .

(٢) السّابق .

وقد انبرى **شيخ الإسلام** وغيره من أئمّة السّلف لردّ فِرْية **الفلاسفة** الّذين تناقضوا في هذا الجانب من جهة أنّهم ينكرون خوارق العادات وأنّ الله يخرق ويبطل السنن الكونيّة .

وما يثبتونه من **الخوارق** فيقولون : هو جارٍ على القانون الكوني لكنه يحتاج إلى خصائص النبوّة المذكورة .

وعلى العموم فابن سينا هو من روّاد هذه الفلسفة الّتي تثبت للنفس قدرات وعجائب وهو يقول : إنّ خوراق العادات في العالم ثلاثة أنواع : لأنها إما أن تكون بأسباب فلكية وإما أن تكون بأسباب طبيعة سفلية كخواص الأجسام **وإما أن تكون بأسباب نفسانية ، ويزعمون أن المعجزات التي للأنبياء والكرامات التي للأولياء وانواعاً من السحر والكهانة هو من هذا الباب** ويقولون : إن الفرق بين النبي والساحر أن النبي نفسه زكية تأمر بالخير والساحر نفسه خبيثة تأمر بالشر فهما يفترقان عندهم فيما يأمر به كل منهما لا في نفس الأسباب الخارقة .[1]

وقد ذكر العلماء أسباب جنوح **الفلاسفة** إلى هذا القول المخالف للإجماع الديانات السّماوية وهو عميق متعلّق بفكرة إثبات وجود العالم عند **الفلاسفة** .[2]

---

(١) الصّفديّة ١ / ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) الصفدية ١ / ١٦٧ ـ ١٧٢ .

والّذي يهمّنا هنا أن نعلم أصل قول **الفلاسفة** في معجزات الأنبياء وأنّها راجعة إلى قوى نفسيّة ، وأنّ من مقاصد الفلسفة تطلّب مقام النبوّة .

فإذا عرفت هذا الأصل رجعنا إلى علوم **الباراسيكلوجي** : فإنّها كلّها مبنيّة على قدرات هائلة للنفس البشريّة بعضهم ينسبها للعقل الباطن ويظنّون أنّ تفجير هذه الطّاقة الهائلة يحتاج إلى الاسترخاء ويقوم بعضهم برياضات بوذيّة كاليوجا مثلاً ، والمهم هو الاسترخاء العميق الّذي يمكّن الشّخص من إطلاق عنان العقل الباطن وقواه اللامحدودة ـ **زعموا** .

ومن الخصائص الّتي يزعمون التمكّن منها المشي على الجمر دون شعور بل دون احتراق عند بعضهم ، ومنها تحريك الأشياء عن بعد ، ومنها خاصية الجلاء البصري أي الرؤية عن بعد بل رؤية ما هو مغيّب ، ومنها السماع عن بعد أو التّخاطر ، ومنها تجميع الطاقة في جزء من البدن فتحدث للشخص قوة هائلة حتى لا يستطيع عشرة أشخاص أن يحركوه من مكانه وأشياء أخرى من هذا القبيل .

وأحب قبل ذلك بيان أنّ هذه القدرات المزعومة نوعان :

النوع الأوّل : داخل في حدود القدرة البشرية أصلاً، وإن كان يحتاج إلى الرياضة عليه ، كمسألة تحمل الألم في الضرب أو وخز الحديد أو المشي على حبات جمر خفيفة ، فهذا لا كلام في إمكانه وجوازه عادة بل هو معروف مشاهد منذ القدم وإن كان الكلام في الفائدة من تعلّم بعض أنواعه متعيّن .

النّوع الثاني : غير داخل في حدود الطاقة البشرية ومنه ما ذكروه مما يدخل في المظاهر الأربعة سالفة الذّكر فهذا هو مجال الكلام عليه ، فنجمل نقدنا في النقاط التّالية :

أوّلاً : أوّل ما يتوجّه إلى هذا العلم هو حكم تعلّم وتطلّب هذه **الخوارق** ، فإنّه ليس من العلوم النافعة وإلاّ لأجرى الله أسبابه بقوانين طبيعية ، بل إنّ هذا العلم أصلاً غير منضبط ولا قانون له ، وهذا دليل على أنّه ليس علماً ، ولهذا كان من أكبر الإشكالات الّتي واجهت هذا العلم المزعوم ما ذكره أحدهم في أحد المواقع المتخصصة في هذا العلم حيث يقول في تلخيص دراسة علمية عن **الباراسيكلوجي** : ((إن أبرز ما يميز الظواهر والقدرات الباراسيكولوجية عن الظواهر والقدرات المعرفية الأخرى هو صعوبة إخضاعها دائما لشروط المنهج العلمي التجريبي الذي تخضع لكامل شروطه كل التجارب التي يدرسها العلم مختبرياً من حيث الانضباط بأن تكون **متكررة** ، أي قابلية إحداثها وقتما يشاء الباحث أو المجرب داخل المختبر ، والسبب في ذلك أن الظواهر والقدرات الباراسيكولوجية تنفرد في الكائنات الحية ، لذلك فإنّ قابلية التكرار لهذه الظواهر والقدرات ليست مضمونة دائماً ، وخصوصاً في الإنسان ، لأن الإنسان كائن حي معقد بشكل لا يُصدّق ، فكل إنسان له سلوك وردود أفعال معينة تختلف عن الإنسان الآخر ، علماً أن الظواهر والقدرات الباراسيكولوجية هي تلقائية أي عفوية وليست نمطية كالقدرات الطبيعية الأخرى ، هذه الميزة هي التي أدّت إلى اتهام

الباراسيكولوجي بأنّه ضرب من العلم الزائف وغير قائم على أساس منهجي قويم))[1].

ومع أنّ الكاتب ينعى على من يتّهم هذا العلم بأنّه علم زائف إلاّ أنّها الحقيقة التّي لا مناص من الاعتراف بها للسبب الّذي ذكره ، وهو سبب متوجّه إذا عرفنا أصلاً لماذا يجري الله تعالى خرق العادة ، فإنّه تعالى يجريها خلاف المعتاد لنا لأنّ سبب السنة المعتادة وعلّتها يتخلّف في حالة ما فيكون مقتضى الحكمة أن تتخلف العادة ، فهي إذن خلاف قانون الطبيعة الّذي أودعه الله فيها ، فالسنة أصل والخرق استثناء ، والاستثناء هذا لا يجوز أن يكون خاضعاً للعقل البشري الّذي لا يرتقي ليدرك مصلحة خرق الطبيعة وأوقاته الملائمة ، **ومن هنا فإنّ تعلم هذا العلم ومحاولة الوصول إليه سيحوّل الاستثناء إلى أصل ، وسيكون هذا تخريب لمقتضى السّنن الطبيعية الفطرية وهذا هو التّغيير لخلق الله تعالى ، وهو مؤذن بفساد العالم** ، وكم رأينا من مثل هذه المحاولات البائسة لخرق العادة وإخضاعها للقياس والجهاز المعملي مما أدى لجنوح العلم جنوحاً أخلاقياً خطيراً خصوصاً في الغرب حيث لا قيمة للخلق أبداً فماذا حصل ؟ أعتقد أنّ كثيرين ممن لهم اطلاع على العلم في الغرب يعلم ما أحدثه البحث العلمي المنفلت عن الخلق من فساد عريض .

والكلام ليس في وجود هذه الظواهر أحياناً وبنسب متفاوتة ، وإنّما عدّها نعمة وعلماً يُطلب دركه ، إذ ليس كلّ قدرة أوجدها الله تعالى في الطبيعة يجوز تعلّمها وإخضاعها

---

(١) موقع الحصن النفسي : .// / : مقال الكاتب محمد الدريهم نقلاً .

للعلم ، **فالسحر** مثلاً : علم طبيعي يأخذ بأسباب قدرية موجودة خلقها الله تعالى لكنّه محرّم تعلّمه وتعليمه فضلاً عن استعماله ، وهذه قاعدة في دين الله تعالى كما قال شيخ الإسلام رحمه الله في تعلّم التنجيم : ((من جوّز أن يفعل الإنسان بما رآه مؤثرا من هذه الأمور من غير أن يزن ذلك بشريعة الإسلام – فيفعل ما أباحه الله ، ويترك ما حرم الله – وقد دخل فيما حرمه الله ورسوله ، إما من الكفر وإما من الفسوق ، وإما العصيان ، بل على كل أحد أن يفعل ما أمر الله به ورسوله ، ويترك ما نهى الله عنه ورسوله))(1).

وإذا كان كذلك عرفنا أنّ نوال خرق الطبيعة وتطلّبه أمر محرّم لسببين :

أوّلهما : أنّ ما يُذكر من حصوله وتحققه فإنّه لآحاد من النّاس وليس دائماً وهذا طبيعي لأنّه ليس علماً مضبوطاً له قواعد وأصول .

ثانيهما : أنّ ما يحصل من ذلك فإنّه بمساعدة ومعاونة من شياطين الجن للأنفس الخبيثة علّة خبثها أو الجاهلة فتنةً لها وإضلالاً للناس بها ، ومعلوم أنّه لا يجوز الاستعانة بالجان وطلب المساعدة منهم لأنّ ذلك طريق ووسيلة إلى الشّرك بالله تعالى ، كما قال عزوجل : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام:١٢٨] فاستمتاع الجن بالإنس كما قال المفسّرون هو عبادة الإنس لهم ، واستمتاع الإنس بالجن هو قضاء بعض حوائجهم ، ولا يكون هذا إلاّ بنوع من الشّرك والضّلال .

---

(١) الفتاوى الكبرى ٣/ ١٥ـ١٦ وانظر كلامه عن تعلّم الخط في الرّمل في الفتاوى ٣٥/ ١٧٩ .

ثانياً : أنّنا بعد أن عرفنا مذهب **الفلاسفة** في هذا فإنّه لا يبقى لدينا شك في أنّ أصول هذا العلم فلسفيّة ، وأنّ الزّعم بأنّ خرق العادة راجع إلى قوى النّفس باطل كلّ البطلان ، ولا يجوز لمسلم يؤمن بالله وملائكته أن يؤمن بهذا الّذي قاله هؤلاء ، فإنّ مؤدّاه موصل إلى إنكار معجزات الأنبياء كما يقول **الفلاسفة** ومن ثمّ الطّعن والشّكّ في الرّسالات نسأل الله العافية .

ومن المعلوم لدى أهل العلم بالشّريعة أنّ ما يكون من ظواهر خارجة عن المألوف **كالتخاطر والجلاء البصري** المزعوم ونحو هذا تحصل بقوى سلّطها الله على ذلك وهي الملائكة والشّياطين .

فأمّا الملك فيكون مع أنبياء الله تعالى وأتباع الأنبياء ، فيكون على أيديهم أنواع من خرق العادة هذه الّتي يتحدث عنها هذا العلم ، فإنّ الملك قد يخبر الصالح عن أمور يقذفها في قلبه أو وحياًكما يحصل مع النّبيّ وربّما تدخّل الملك تدخلاً حسياً وكلّ هذا شواهده في السنة .

وأمّا شياطين الجن فتكون مع الطواغيت من **السحرة** والكهان والدجاجلة فتخبرهم ببعض الأمور وقد تصور لهم ما هو غائب عنهم ونحو هذا من الأحوال الّتي تحدث للسحرة .

ولهذا فإنّ خوارق العادة تحدث للنبي تأييداً وتحدث للساحر فتنة واستدراجاً .

ولا يوجد طريقة تحدث بها خوارق العادات إلاّ هذان الطريقان ، و**الفلاسفة** يكذبون بالجان وبالملائكة كما يؤمن بها أهل السّنّة ، ولهذا يفسرون المعجزة بقوى

النفس[1]، وقد دحض مقولتهم هذه شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال : ((فمن شاهد وجود الجن ورآهم أحياء ناطقين منفصلين عن الإنسان أو ثبت ذلك عنده بالأخبار الصادقة أو علم من الأدلة اليقينية ما يدل على ذلك كما قد علم ذلك من شاء الله كان قد علم يقيناً أن الجن ليست قوى نفسانية وعلم أن من الغرائب ما يكون عن أفعال الجن وأخبارهم وهذا أمر معلوم لجميع الأمم من العرب والترك والهند وغيرهم والأمور المتواترة عند الأمم عن الكهان تفوق الإحصاء ، **والذي علمناه في زماننا ممن تحمله الجن وتطير به في الهواء وتسرق له أنواع الأطعمة من الحلاوة وغيرها وتأتيه بها وتخبره عن بعض الأمور الغائبة عنه بأمور كثيرة** يطول وصفها في هذا الباب .

وأما أمر الملائكة فهو أجل وأعظم وأخبارهم متواترة عند أهل الكتب وأما آثارهم في العالم فيعلم بالمعاينة والمشاهدة .

فدعوى المدعي بعد هذا أن المعجزات والكرامات والسحر هي قوى نفسانية من أبطل الباطل فإن السحر كثير منه يكون بالشياطين ... ونحن لو ذكرنا ما رأينا وسمعناه من أحوال الجن لطال الخطاب من أحوالهم مع المؤمنين الصالحين ومن أحوالهم مع أهل الكذب والفجور كما قال الله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣] فهؤلاء[2] قوم حصروا الوجود وأسبابه فيما علموه ، ولا علم عندهم بانتفاء ما لم يعلموه ، وغاية

---

(١) كما يقول بذلك أيضاً روّاد علوم الطّاقة .

(٢) أي الفلاسفة .

أحدهم أن ينفي الشيء لانتفاء دليل معين وهذا غاية الجهل ، وهم جهال من وجهين ، **أحدهما** : عدم العلم بكثير من أنواع الموجودات وأحوالها ، **والثاني** : عدم العلم بأسباب الحوادث .

ومما يبين جهلهم في حصرهم وأن ما ذكروه من أن أسباب المعجزات والكرامات والسحر قوىً نفسانية أنهم مخطئون في فاعل **السحر** فخطؤهم في فاعل المعجزات والكرامات أولى وأعظم ، وذلك أن **السحر ليس هو مجرد قوى النفس** باتفاق أهل المعرفة بالسحر بل **السحرة** مستعينون بأرواح مقارنة لهم وكتب **السحر** الموروثة الكشدانيين والهند واليونانيين والقبط وغيرهم من الأمم مملوءة بذكر ذلك))[1].

وبهذا يتبيّن بلا شكّ ولاريب أنّه لا علاقة لقوى النّفس في إحداث ماهو خارق للعادة ، وأنّ ما يحصل للعبد من ذلك فهو إمّا بإعانة الملك إن كان ذا طبيعة رحمانيّة ولا يحصل ذلك بتطلّب وتعلّم كما يقع من كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء .

وإمّا أن يكون بإعانة شياطين الجن إن كان الشخص ذا طبيعة شيطانية كالسحرة والكهان ومن جرى مجراهم من متدربي ومتعلمي البرمجة اللغوية و**الباراسيكلوجي** للأسف الشّديد .

بدليل أنّ هذه **الخوارق** منذ القدم تحصل للبعض من الدجاجلة ولم تكن قط فتنة إلاّ لضعاف النفوس والجهلة من العامة ، فقد حكى لنا أسلافنا في مصنفاتهم عمن يطير في

---

(١) بتصرف من الصّفديّة ١٦٧ـ١٧٢ .

الهواء وتحمله الجن أو يخبر عن مسروقات أو غائبين ولم يكن ذلك قطّ علماً وإنّما كان دليلاً على الانحراف العقدي وربّما الخروج من ربقة الإسلام ، حتى جاءنا في أعقاب الزمن من يريد تقنين الدجل والخرافة والجهل .

ثالثاً : أنّ هذا العلم كما سبق ليس له شواهد تاريخية إسلامية ، وما يذكره البعض من حادثة عمر ((**يا سارية الجبل**))[1] قلنا :

إنّ هذه القصّة لو صحّت القصّة أصلاً فإنّ ذلك قد يكون بمعونة الملك ، أو بعض صالحي الجان ، **ولم يدّعِ عمر رضي الله عنه أو أحد من الصحابة وقد شهدوا هذه الحادثة المزعومة أنّ هذه خاصة نفسية لعمر فلم نعلم أنّ أحداً منهم حاول تعلّم هذا أو اكتساب هذه القدرة** ، بل عمر نفسه رضي الله عنه لو كان له ذلك لما قتله العلج في صلاته دون أن يعلم أو يكون له خاصيّة الانكشاف الغيبي بصراً أو سمعاً أو علماً .

إنّ ما يذكره رواد هذا **الجهل** ما هو إلاّ تدليس وتلبيس فإنّهم يستشهدون إمّا بأمور لم تقع أصلاً يقتطعونها من كتب القصص الخرافية ، أو بأمور موجودة لكنها كانت محلّ إنكار السّلف وأئمّة العلم كالحوادث الّتي تُنقل عن غلاة الصّوفيّة والباطنيّة ، أو بقصص واقعية حقيقية لكن لا علاقة لها بهذا العلم إلاّ بتكلّف وتحريف .

---

(١) حسّن إسناد هذه القصة ابن حجر في الإصابة ٣/ ٩ وإن كان الصحيح أنها ضعيفة لا تثبت كما حققه غير واحد من أهل العلم .

ونحن ذكرنا التفسير الشرعي لمثل هذه **الخوارق** وأنّها بمعونة شيطانية أو ملائكية ، ولهذا اللبس بين الحال الرحماني والحال الشيطاني ألّف شيخ الإسلام رحمه الله رسالته المشهورة ، الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

قال رحمه الله : ((ما كان يحصل للرسول من العلم والقدرة من المكاشفة والتأثير في العالم حاصل بما هو خارج عن قوى نفسه من العلم الذي تنزل به الملائكة والنصر الذي تنـزل به الملائكة))[1].

وقال أيضاً : ((فهذه النصوص وأمثالها صريحة بإثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم بالقول والفعل **وهذا يبطل قولهم إن المؤثر في العالم هو القوى النفسانية أو القوى الطبيعية** ، فإن الملائكة خارجة عن هذا وهذا وحينئذ فما يحصل من خوارق العادات بأفعال الملائكة أعظم مما يحصل بمجرد القوى النفسانية والأنبياء أحق الناس بمعاونة الملائكة لهم وتأييد الله تعالى لهم))[2].

رابعاً : ومن أبطل الباطل ما يزعمه بعض هؤلاء من أنّ من جملة قوى النّفس التّأثير في الغير فيمكن لبعض الناس شفاء الآخرين ، ويمكن لبعض الناس تحريك الأشياء عن بعد أو شيئاً من ذلك ، وهذه دعوى فلسفيّة قديمة ذكرها ابن سينا وردّها شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال : ((قال ابن سينا ولعلك قد بلغك عن بعض العارفين أخبار تكاد تأتي بتقلب العادة فتبادر إلى التكذيب وذلك مثل ما يقال أن نبياً ربما

(١) الصفديّة١ / ٢٠٥ـ٢٠٦ .

(٢) الصفدية ١ / ٢٠٧ .

استسقى للناس فسُقوا أو استشفى فشُفوا أو دعا عليهم فخُسف بهم وزُلزلوا أو هلكوا بوجه آخر ودعا لهم فصرف عنهم الوباء والموَتان أو السيل أو الطوفان أو خشع لبعضهم سبع أو لم ينفر عنه طير أو مثل ذلك مما لا يأخذ في طريق الممتنع الصريح فتوقف ولا تعجل فإن لأمثال هذه أسباباً من أسرار **الطبيعة** ... ثم ذكر أن ذلك قد يكون سببه من قوة النفس)) .

ثمّ ردّه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله : ((ومعلوم أن ما ذكروه لا يفيد الجزم بما قالوه ، وإنما غايته إمكان ذلك وجوازه بأن يقال إذا جاز أن يرى الإنسان مناماً يدل على أمور غائبة أمكن أن يكون العلم بجميع الأمور الغائبة من هذا الباب ، وإذا جاز أن تؤثر النفس في بدنها وفي شيء صغير جاز أن تؤثر في مجموع الهواء والماء والتراب والنار ، **وإذا جاز أن تقوى النفس على بعض الأفعال جاز أن تقوى على الطيران في الهواء والمشي على الماء وقلب قرى قوم لوط وفلق البحر وإنزال المن والسلوى وتفجير اثنى عشر عيناً من الحجر وقلب العصا حية وإخراج القمل والضفادع وإنزال المائدة عليها خبز وسمك وزيتون وأمثال ذلك** [1]، ومن المعلوم أن هذا لا يدل على نوع هذا الممكن بلا ريب فلم قلتم : إن هذا هو الواقع ... و المقصود هنا أنهم ينفون الشيء بلا علم والنافي عليه الدليل كما على المثبت الدليل .

---

(١) قارن هذه القاعدة الفلسفيّة بقاعدة الهندسة النفسيّة الّتي سبق نقدها ص ٨٦، فإنّها من مشكاة واحدة وهو أنّ جنس القدرة واحد وأنّ نسبة المقدور للقادر واحدة .

فهم ليس معهم في كون هذه الآيات حادثة عن **القوى النفسانية** إلا مجرد التجويز والإمكان ، وأيضا فلا دلالة لهم على إمكان كون النفوس تؤثر في مثل هذا أصلاً إلا مجرد قياس بعيد لا يقتضي ذلك فهذا **أول الوجوه** أن يقال : أنتم لا دليل لكم بكون هذه الآثار من قوى النفوس .

الوجه الثاني : أن يقال من هذه الآثار أمور كثيرة تعترفون أنتم بأنه يمتنع كونها من آثار النفوس كما تقدم التنبيه عليه فبطل قولكم أن الآثار المعلومة عند المسلمين واليهود والنصارى من آثار النفوس فإن مجموع ما ذكروه ليس فيه ما يكاد يخرج عن قياس الأمور المعتادة إلا حوادث الأكوان كنزول المطر وشفاء المريض وزلزلة الأرض والخسف وصرف السيل والوباء ورجوع السبع والطير وهذه الأمور يحصل جنسها بأسباب معتادة فإن المطر ينزل بأسباب متعددة وكذلك شفاء المريض وحدوث الخسف والهلاك يحصل بأسباب معتادة كما يحصل نوعه بأسباب معتادة وهذا بخلاف انفلاق البحر اثني عشر فرقاً كل فرق كالطود العظيم وانقلاب العصا حيةً ونزول المن والسلوى وانفجار اثنتي عشرة عيناً من الحجارة ومثل نبع الماء من بين الأصابع وتكثير الطعام والشراب حتى يكفي أضعاف من كان يكفيه وانقلاع الشجرة ثم عودها إلى مكانها ثابتة ، فهذه الأمور وأمثالها لا يصدر جنسها عن سبب معتاد فهذه خارقة للعادة بخلاف ما يكون خارقاً للعادة في قدره لا في جنسه ، وهذا الجنس هم يمنعون حصوله في العالم لا بقوى نفس ولا غيرها والعلم بحصول مثل ذلك إما بالمعاينة وإما بالأخبار الصادقة يبين فساد أصلهم **وهذا مما ينبغي للعاقل أن يتدبره** ، فإن القدر الذي بينوا سببه

من الغرائب ليس من جنس خوارق العادات بل هو من جنس الأمور المعتادة وعلى هذا فيكونون منكرين لجنس **الخوارق** وهذا هو أصلهم الفاسد الذي يعلم فساده بدلائل كثيرة ولكن ابن سينا سلك طريقة أراد أن يجمع فيها بين أصولهم الفاسدة وبين التصديق بنوع من الغرائب وأن يجعل الكرامات والمعجزات من هذا النمط فإن **السحر** هو من الأمور المعتادة كالأسباب التي يحصل بها المرض والموت ونحو ذلك ومنه أمور تخالف العادة والطبيعة ولكن هو مما اعتيد أنه يحصل بالشياطين لكن مقروناً بها يدل على كذبه وفجوره فلا يشبه كرامات الصالحين فضلاً عن المعجزات))[1].

وعليه فلا يصحّ شرعاً ولا عقلاً أن يُقال : إنّ الشخص يستطيع جمع طاقته في عضو من أعضائه أو في بصره بأيّ طريقة كانت بحيث يستطيع أن يرتفع عن الأرض أو يحرك جسماً منفصلاً عنه أو نحوهذا ، بل هذا من كلام **الفلاسفة** البعيدين عن أنوار النّبوّة ، وقد علمنا ما فيه من كلام شيخ الإسلام رحمه الله .

خامساً : هذه الطرق وهذه الغايات من هذا العلم ليس من داخل البيئة الإسلاميّة بل هو تشبه بالديانات والمذاهب الباطلة الّتي نزّه الله الموحّدين والمؤمنين عن رجسها ودجلها وخرافتها ، فأصحابها أقوامٌ لا وحي عندهم ولا سنّة فتراهم يتخبطون في ضلالات الشّيطان ، فتطلّب علم **الخوارق** كالجلاء البصري والكشف ونحو هذا هو من طريقة المغضوب عليهم والضالين من البشر[2]، قال الشاطبي رحمه الله متحدثاً عن

---

(١) الصفديّة ١٧٤ ـ١٨٢ بتصرف .

(٢) وهذا أورث بعض المرضى والممسوسين والمهلوسين أموراً ظنّوها تصديقاً لهذا العلم ، فمنهم

بعض علوم الصوفية : ((ما يرجع إلى النظر في مدركات النفوس من العالم الغائب ، وأحكام التجريد النفسي والعلوم المتعلقة بالأرواح ، وذوات الملائكة والشياطين والنفوس الإنسانية والحيوانية ، وما أشبه ذلك ، **وهو بلاشك بدعة مذمومة ، إن وقع النظر فيه والكلام عليه بقصد جعله علماً يُنظر فيه وفناً يُشتغل بتحصيله بتعليم أو رياضة** ، فإنه لم يعهد مثله في السلف الصالح ، وهو في الحقيقة نظر فلسفي **إنما يشتغل باستجلابه والرياضة لاستفادته أهل الفلسفة الخارجون عن السنة العدودون في الفرق الضالة** فلا يكون الكلام فيه مباحاً))[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : ((**نحن لا ننكر أن النفس يحصل لها نوع من الكشف أما يقظة وإما مناما بسبب قلة علاقتها مع البدن إما برياضة أو بغيرها وهذا هوالكشف النفساني**[2] لكن قد ثبت أيضا بالدلائل العقلية مع الشرعية وجود الجن وأنها تخبر الناس بأخبار غائبة عنهم كما للكهان المصروعين وغيرهم والناس يسمعون من المصروع من أنواع الكلام والأخبار عن الغائبات واللغة الغريبة التي يعلمون باضطرار أنها ليست في قوة ذلك الإنسان وكذلك أهل العبادات الشيطانية من البراهمة والبخشية ونحوهم من

من يدعي رؤية الهالة الّتي تحيط جسم الإنسان ومنهم من يدعي سماع أصوات معينة أو أنه يتخاطر مع أشخاص عن بعد وكل هذا من تلاعب الشّيطان بهم ، أقصد اعتقاد كونها صفات شخصية ومواهب وملكات يُسعى لها ويمكن تعلمها وتعليمها .

(١) الاعتصام للشاطبي ص١٧٠ ، ط ١ ، دار المعرفة ، تعليق محمود طعمه حلبي .

(٢) وتقرير حدوث هذا في الطبيعة لا يعني جواز تعلمه وتطلبه كما أن وجود قوى السحر موجودة يمكن استعمالها لكنه محرم في شريعة الله .

عباد المشركين ومن أشبههم من **المتنسبين إلى أهل القبلة كأنواع من اليونسية والأحمدية والخالدية والدسوقية وأمثال هؤلاء من أهل العبادات المشركية المخالفة للكتاب والسنة** فيسمع منهم حال السماع من أنواع الكلام واللغة الغريبة التي لا يمكن ذلك الشخص أن يتكلم بها ما يعلم أن المتكلم على لسان غيره أو الملقن له ذلك الكلام غيره لا أن مجرد نفسه فعلت ذلك بدون سبب منفصل من الأرواح وإذا كان هذا مما شوهد في النفوس الخبيثة وأن كثيرا من إخباراتها تكون عن إخبار أرواح شيطانية لها فلأن يكون إخبار الأنبياء عن إخبار أرواح الملائكة بطريق الأولى .

وهم يقولون : الشياطين عندنا قوى النفس الخبيثة والملائكة قوى النفس الصالحة ، **قلنا** : جمهور المسلمين لا ينكرون وجود هذه القوى كما تقدم ولكن المقصود هنا أنه يعلم وجود أمور منفصلة مغايرة لهذه القوى كالجن المخبرين لكثير من الكهان بكثير من الأخبار وهذا أمر يعلمه بالضرورة كل من باشره أو من أخبره من يحصل له العلم بخبره ونحن قد علمنا ذلك بالاضطرار غير مرة فهذا نوع من المكاشفات والإخبار بالغيب غير النفساني وأما القسم الثالث وهو ما تخبر به الملائكة فهذا أشرف الأقسام كما دلت عليه الدلائل الكثيرة السمعية والعقلية وإذا ثبت أن الإخبار بالمغيبات يكون عن أسباب نفسانية ويكون عن أسباب خبيثة شيطانية وغير شيطانية ويكون عن أسباب ملكية كان ما ذكروه نوعا من الأنواع الثلاثة وهو أضعفها فكان غاية إيمانهم بالنبوة جعلهم النبي بمنزلة رجل من أضعف صالحي الناس))[1].

---

(١) الصفديّة ١/ ١٨٧ ـ ١٩٢ .

وقال ابن خلدون معرفاً علوم السحر ولطلسمات : ((هي علوم بكيفية استعدادات، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر: إما بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات ، **ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع، لما فيها من الضرر، ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره، كانت كتبها كالمفقودة بين الناس** .. وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم))[1].

وقال : ((والنفوس الساحرة على مراتب ثلاثة: فأوله المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر، والثاني بمعين من مزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ، ويسمونه الطلّسمات، وهو أضعف رتبة من الأولى، والثالث تأثير في القوى المتخيلة ، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوعٍ من التصرف ويلقي فيها أنواعاً من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه، فينظرها الراؤون كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك))[2].

وقال أيضاً : ((ثم هذه الخاصية تكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها، وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة ، ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الافلاك

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٦ .

(٢) السابق ص ٤٩٧ .

والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل[1]، فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له. والوجهة إلى غير الله كفر. فلهذا كان السحر كفراً والكفر من مواده وأسبابه كما رأيت))[2].

وذكر رحمه الله صوراً من السحر مما يُعد الآن من علوم الطاقة حيث قال : ((وشاهدنا أيضاً من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد، ويتكلم عليه في سره، فإذا هو مقطوع متخرّق ، ويشير إلى بطون الغنم كذلك في مراعيها بالبعج، فإذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض ، وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحتّت قلبه ويقع ميتاً وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاه، ويشير إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوبها شيء))[3].

---

(١) من المهم هنا أن التوجه إلى غير الله كما ذكره المؤلف لا يُشترط أن يكون مباشراً واضحاً بل قد يكون من خلال واسطة يخفى معها وجه التوجه والكفر ، فمن يذهب إلى كثير من الكهان ليبعث عن مفقود يرى أنه كثيراً لا يُطلب منه إلا بعض المال ، مع أن الوعيد الشديد جاء فيمن يذهب إليهم ، وسببه ما فيه من التوجه لغير الله وإن كان بصورة غير مباشرة ، أقول هذا حتى لا يُقال ـ بل قيل ـ إننا في دورات وقوانين البرمجة لا نتوجه لغير الله بشيء من العبادات أصلاً بل إننا نضفي عليها طابعاً إسلامياً بالذكر وقراءة القرآن ، وأقول هذا لا ينفع ولا يغير من الحقيقة شيء لأن العبرة موافقة الشرع جوهراً لا شكلاً .

(٢) السابق .

(٣) السابق ص ٤٩٩ .

لكنّ الفلاسفة لم يرتضوا ذلك التفسير للقوى المؤثرة ، قال رحمه الله : ((هذا شأن السحر والطلسمات وآثارهما في العالم، فأما الفلاسفة ففرقوا بين السحر والطلمسات بعد أن أثبتوا أنهما جميعاً أثرٌ للنفس الإنسانية، واستدلوا على وجود الأثر للنفس الإنسانية، بأن لها آثاراً في بدنها على غير المجرى الطبيعي وأسبابه الجسمانية، بل آثار عارضة من كيفيات الأرواح، تارة ، كالسخونة الحادثة عن الفرح والسرور، ومن جهة التصورات النفسانية أخرى ، كالذي يقع من قبل التوهّم ، فإن الماشي على حرف حائط أو على جبل منتصب، إذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا شك ، ولهذا تجد كثيراً من الناس يعودون أنفسهم ذلك بالدربة عليه حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدهم يمشون على حرف الحائط والحبل المنتصب ولا يخافون السقوط .

فثبت أنّ ذلك من آثار النفس الإنسانية، وتصورها للسقوط من أجل الوهم ، وإذا كان ذلك أثراً للنفس في بدنها من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية، **فجائزٌ أن يكون لها مثل هذا الأثر في غير بدنها، إذ نسبتها إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة، لأنها غير حالة في البدن ولا منطبعة فيه، فثبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام))**[1].

هذا هو اعتقاد الفلاسفة والسحرة وعبدة الكواكب والشياطين ، فإذا عُلم هذا الحال فكيف يصحّ لمؤمن أن يترك علوم الشّرع أو علوم الدّنيا مما ينتفع به الناس ويقضي عمره في تطلّب ما لا وصول إليه إلاّ بمخالفة الشّرع ، فإنّ من المعلوم أنّ جهلة النّاس حين طلبوا وتأمّلوا أن يحصل على أيديهم من **الخوارق** كما يحصل على أيدي الأنبياء والأولياء

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٠١ .

لم يمكنهم ذلك إلاّ بالوقوع في مخالفة الشّرع إمّا بسلوك رياضات مبتدعة كالجوع المتعمّد والتأمّل والاسترخاء البوذي أو البرهمي أو الفناء الصوفي للوصول إلى حالة يعتقدونها ولاية وهي حال شيطانيّة فيحصل لهم بعض الكشف النفسي ، ثم يتمادى بهم الأمر طلباً للرياسة والتميّز فيقعون في الدجل والسّحر وعبادة الشياطين ونحو هذا حتى يكادون يخرجون عن الإسلام بالكليّة .

وهذا بالضّبط ما يستجر بعض الجهلة اليوم فيما يُسمّى علم الطاقة وتجميع الطاقة ونحو هذا من الجهل والبعد عن الشّرع .

سادساً : من فروع هذه المسألة وما رتّبوه على مسألة الطّاقة : الاستشفاء بالطّاقة ، إذ يزعمون أنّ بعض النّاس أعطاهم الله تعالى طاقة شفائيّة ، وهم يسمّونها الطاقة الكهرومغناطيسية ، فيقولون إنّ كلّ شخص له طاقة معيّنة لكن البعض يهبهم الله طاقة عالية وأنّ هؤلاء يمكنهم علاج الأمراض المستعصية عن طريق لمس الأجزاء المصابة إذ تتسرب الطاقة من الشخص الأعلى إلى المريض فيحدث له توازن الطّاقة فيُشفى .

يقول الدكتور صلاح الراشد بعد أن ذكر بعض النظريات العلمية الحديثة : ((دعنا نجمع هذه الطفرات الثلاث لنستنتج سر من أعظم أسرار الوجود سوف يكون معلوماً وحقيقة لدى الأجيال القادمة.. هذه الحقائق التي توشك أن تنجلي للناس :

١ – كل شيء في الكون في النهاية طاقة ((والطاقة مكوناتها هيدروجين فقط))، حتى الماء الذي يصنع الحياة كما قال تعالى : + **وجعلنا من الماء كل شيء حي "** هو هيدروجين مضاعف وأوكسجين (([٢]))!

٢- الفكرة عند الإنسان كذلك طاقة، فالفكرة ترسل بالهيدروجين عبر الجو من خلال موجات كهرومغناطيسية (( )). وهذا المعنى يتوافق مع الحديث القدسي :((أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء))، أنت وما تظن! **ظنك يحدد مستقبلك!**[1]

٣- الفكرة ((طاقة التفكير)) تؤثر في أنظمة الكون وفق نظام محكم صنعه الله سبحانه، قال تعالى: + وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعاً منه " ما في السماوات؟!! نعم ما في السماوات، كيف؟!! هذا موضوع ثان له موضعه))[2].

ويقول أيضاً : ((واحدة من الاكتشافات[3] المثيرة في الأحياء البشرية والطب بشكل عام وبالذات العلم الجديد المسمى بعلم المناعة العصبية النفسية ، المختص في العلاقة بين المشاعر النفسية والأفكار ومدى تأثيرها على جهازي المناعة والعصبي، **اكتشافه ميكانيكية الجسد في تجديد نفسه** ، هل تعلم أنك **تصنع** جسداً جديداً كل سنة؟ جسدك كله يتجدد وعلى مدار الساعة .. كل خلية في جسدك تتجدد دورياً ، فأنت تصنع جلداً جديداً كل شهر، وجمجمة جديدة كل ثلاثة شهور، وأغشية معوية جديدة كل خمسة أيام، حتى أصغر مخلوق في جسدك وتسمى الـ ، والتي تملك المليارات منها في

---

(١) هذا كذب على الحديث وصاحب الحديث ﷺ وسبق أن ذكرنا هذا ص .

(٢) نشرة قواك الخفية النشرة ١٥ تجدها على موقع مركز الراشد بجدة على الإنترنت.

(٣) ماذكره في الحقيقة معروف منذ القدم ، بل كان معتمد الغزالي في رده على الفلاسفة شبهاتهم حول إنكار البعث ، انظر تهافت الفلاسفة للغزّالي ص ٢٠٤ وانظر كذلك فتاوى شيخ الإسلام ١٧ / ٢٤٧ـ٢٦١ .

جسدك، والتي تنقل معلومات آلاف وربما ملايين السنين عبر الأجيال، تتجدد كل ستة أسابيع ناقلة معها دقائق المعلومات إلى الجيل الذي يليها.

إذا كان الجسد يتجدد في هذه السرعة، فهل الورم الذي يصاب به البعض ويرى بالأشعة هو غيره بعد ثلاثة شهور؟ الجواب: نعم ، الورم ليس هو بل تغير، لماذا لم يختفي؟ الجواب : أن البنية المعلوماتية غير المحسوسة استمرت في إعطاء الأوامر لتجديد الورم ، هل لو كانت الأوامر مختلفة لما تجدد الورم في بضعة شهور؟ الجواب: نعم!

دعني أعطيك تجربة شخصية ، قبل سنوات بدأت ألاحظ تساقط شعري وملامح الصلع ، صار الشعر يخف مع مرور الأيام ((نسبة عشرون في المئة من الشعر الكلي)). بدأت باستخدام بعض طرق الـ ▯▯▯ المتقدمة في الخيال والتصور، ولمدة سنة تقريباً، فأوقفت تساقط الشعر بل واسترجعت قرابة ((عشرة في المئة)) أي قرابة نصف ما تساقط. آمل أن استمر حتى نرى نتائج التجربة كاملة.

كلام كثير حول هذا الموضوع .. هل ممكن أن تذهب جروح؟ تتغير ملامح؟ على الأقل تفنى أمراض؟ موضوعات نتناولها في نشرات قادمة إن شاء الله. المهم أن تدرك أن **قواك الكامنة في عقلك رائعة وخارقة** لكن ينبغي ألا تعيقها))[1].

بالله عليك هل بقي من الشّرك ووسائله شيء لم يفتحه المغرورون بهذه العلوم ؟.

---

(١) نشرة قواك الخفية نشرة رقم (١).

لقد كان شرك الجاهلية الأولى تعلق العباد واعتقادهم في الغير : سواء كان بشراً أو حجراً أم شجراً ، أما ما يقننه الدكتور الراشد فهو شيء عصري جديد : الاعتقاد في النفس ، الغلوّ في الذات ، إنه عبادة الأنا ، ليس من باب الأنانية لكنه عبادة حقيقية واعتقاد ربوبية الإنسان .

وكان يمكن تخفيف غلواء النص الذي نقلته عن الراشد إلا أن عبارات الرجل تساعد على تأكيد هذا المعنى الآثم الذي يقرره ويسوّقه[1] فكل ما ذكره قد نسبه للشخص نفسه تجريداً للخالق جل وعلا من تفرده بالخلق عياذاً بالله .

وأنقل لك هنا مقالين من منتديات تهتمّ بهذا الهراء تدلاّن على خطورة هذا الأمر على إيمان المسلم وأنّ الأمر جدّ وليس بالهزل .

. **المقال الأوّل** [2]

القدر قاد الشيخ البصير عبد الفتاح الحمداني لاكتشاف قابلياته التي تميزه عن غيره من البشر ، فبعد أن فقد بصره متأثراً بداء الزرقاء ، ذهب إلى لندن للعلاج، وهناك دُهش الاطباء الذين وجدوا انفسهم ازاء ظاهرة غريبة عجزت الأجهزة الطبية المتقدمة

---

(١) أقول هذا عمداً ومنبهاً إلى أنّ الرجل مجرد مسوّق لأفكار ونظريات لاهوتية شرقية أو غربية فليس صاحب نظر أو ابتكار بعكس ما يوهم به الناس عبر الدعاية والترويج له من بعض المنتفعين المتأكلين على حساب دين الناس وآخرتهم ، طبعاً هنا سيُقال : + بل تحسدوننا " ونقول : + بل كانوا لا يفقهون إلا قليلاً ".

(٢) نشرته جريدة الشرق الأوسط عدد يوم ١٤ مارس ٢٠٠١ .

عن تحديد ماهيتها.. ولم يكن المواطن العراقي عبد الفتاح الحمداني يعرف انه يمتلك طاقة كهرومغناطيسية مقدارها ((٩٣))ملم/ فولت، إضافة الى طاقة كهربائية كبيرة تتراوح بين ((٦٠٠ و٨٠٠)) فولت. وأصبحت هذه الميزة التي حبا الله بها الشيخ البصير سبباً في شهرته عالمياً.

وقد التقت الشرق الأوسط مع عبد الفتاح :

- كيف اشتهرت أخيراً في مجال العلاج الروحي؟

- بعد أن وقفت الأجهزة الطبية عاجزة في لندن عن تحديد ما في جسمي ارسلوني الى المعهد **الباراسيكلوجي** في موسكو، وهناك التقيت بالبروفيسور ((ميخائيلوف))، الذي دهش من طاقتي الاستثنائية.. وعلى أثر ذلك قامت الجهات العلمية في بغداد باحتضاني من خلال مركز البحوث الباراسيكولوجية، وكذلك جمعية **الباراسيكلوجي** العراقية، التي أكدت وجود قوة مغناطيسية كبيرة داخل جسمي.. وأنّ باستطاعتي معالجة العديد من الأمراض .

- وكيف استطعت التوصل إلى علاج الأمراض ؟ وهل تم الاعتراف بهذه الطريقة في العلاج ؟

- في لندن، أجريت عدة تجارب على أمراض العقم والكآبة، وكانت النتائج جيدة، واستطعت تطوير هذه المقدرة بعد ذهابي إلى موسكو، حيث التقيت هناك بأشخاص لهم باع طويل في هذا النوع من العلوم ، أما في بغداد، فقد واصلت التجارب في هذا المضمار، وخضعت في عام ١٩٨٩ لعدة تجارب واختبارات، وتم تشكيل لجان علمية

عديدة للكشف على عينات من المرضى، وكنتيجة للنجاح الذي حققته في هذا المجال حصلت على عضوية جمعية **الباراسيكلوجي** التابعة للمجلس الاعلى للجمعيات العلمية في العراق .

- وما هي طبيعة هذه القوة التي تمتلكها.. وكيف تستخدمها في العلاج؟

- **إنها طاقة ذاتية** تعمل على تنشيط خلايا الدم والنسيج العصبي للمريض.. وكذلك تحفيز أجهزة الجسم الأخرى، وهذا يدفع إلى تواصل دماغي بين الهرمونات وأعضاء الجسم مما يؤدي إلى شفاء المريض .

- هل لنا أن نعرف شيئاً عن كيفية علاجك للمريض باللّمس ؟

- لكلّ مريض حالته الخاصة ، ولا يشترط أن يترك المريض الأدوية التي يستخدمها، لأن الدواء غالباً ما يكون نافعاً للشفاء ، فمثلاً في حالة الصداع أضع يدي على رأس المريض ، ولفترة زمنية معينة ، ثم انتقل بعدها إلى مناطق أخرى من تلك التي تسبب الألم ، كالرقبة ، وبعد فترة ينتهي الالم تدريجياً ، وبنفس الطريقة أستطيع معالجة الآم الظهر وعرق النسا والمعدة والأمعاء، بواسطة اللمس ، والضغط الخفيف على مصدر الألم، **بشرط أن يكون المريض مسترخياً استرخاء تاماً ، وخلال عملية اللمس تحدث عملية تفريغ للشحنات المغناطيسية التي أمتلكها لتتصل مع الشحنات الموجودة في جسم المريض ، حتى نصل إلى درجة الصفر**.. وقد سميت هذه الطريقة بطريقة ((الرضاعة)) بيني وبين المريض.. والأمر ببساطة، هو تفريغ المجال الكهرومغناطيسي الحيوي من يدي إلى جسم المريض ، واللمس يكون عن بعد، أو بوضع اليد على

موضع المرض لدى المصاب، وهذا التفريغ يعمل على تنشيط الخلايا في الجسم ، وفعلاً، فقد تحسن أصحاب هذه الحالات تحسناً ملحوظاً.

- وهل تصف علاجاً معيناً لمرضاك يمارسونه اعتماداً على أنفسهم ؟

ـ نعم ، أعلّم مرضاي ، وأوحي لهم بممارسة **الرياضة الروحية، أو ما يسمى بـ ((اليوغا))** ، لدورها الفاعل في التخلص من أمراض مثل الشلل وآلام المفاصل والروماتيزم وغيرها .

- وماذا عن الايدز؟

- الإيدز هو ((نقصان المناعة)) ، ولا نقول فقدانها، لأن ذلك يعني الموت المؤكد ، وأنا أحاول قدر الإمكان التعاون مع الأطبّاء كي أكون أوّل عربي يحاول إنقاذ الإنسان من محنة الإيدز ، فالمجال المغناطيسي يحرك مواطن الضعف في الجسم ،هذا من جانب ، ومن جانب آخر فأنا أحاول تحريك بايولوجيات المريض ، والتركيز عليها ، كالساعة البايولوجية في الرأس ، لأن ذلك معناه أن المريض يمكن أن يكون لديه الاستعداد النفسي ، والمعروف إن الاستعداد النفسي يقوي المناعة.

- ألا يدخل كل هذا في إطار الإيحاء النفسي ؟ أي أنك ربما توحي للمريض بحالة معينة تستفزّ عقله الباطن، وقد يكون تأثير ذلك مؤقتاً ؟

- لا ، إنها نظرية علمية بحتة يتم من خلالها تنظيم وظائف الجسم ، وقبل كل شيء أحاول فهم حالة المريض للوثوق تماماً وأبذل جهدي للسيطرة على المرض .

- هل يحتاج المريض للإيمان بك وبما تفعله ؟

- المريض يجب أن يؤمن بالعلاج ، ليس معي فقط ، بل مع أي طبيب آخر ، فلو لم يقتنع المريض بالعلاج أو بالطبيب الذي يشرف عليه لما كان هناك للعلاج دور كبير ، وكما قلت فالعامل النفسي له الأثر الكبير في تقبل العلاج والتعامل مع المريض .

- وهل سبق أن وجدت نفسك عاجزاً عن علاج حالة ما ؟

- عندما اكتشف ذلك أحاول دراسة الحالة بشكل أعمق وبتركيز أكثر ، فمن المهم معرفة ما أفعله، والمرحلة التي وصلها المرض في جسم المريض، وكما سبق وأكّدت ، فأنا لا أستخدم عقاقير أو أدوات جراحية، لذا فلا ضير من المحاولة علها تكون لفائدة المريض ، والحمد لله فقد تكلل علاجي للمرضى في أغلب الأحيان بنجاح تام ، وقد يحتاج المريض ـ وهذا في حالات نادرة ـ إلى جلسات إضافية للوصول إلى الشفاء التام .

. المقال الثّاني : حوار مع امرأة تدّعي أنها تملك طاقة الشّفاء (١)

: السلام عليكم و رحمة الله

---

(١) تجده على هذا الرابط :

=١٠٣٠٦ ، وقد نقلته كما هو بأخطائه الإملائيّة وحذفت تعليقات وأشكال تكون عادة في مواقع المنتديات على الإنترنت .

انا سيدة رزقت باللمسة الشافية

اترك المداخلة للمشاركين و شطرا

اعالج بالطاقة يعني طاقة اليد او المغنطيس

لست عالمة – انسانة ربت بيت لكن رزقني الله هذه الطاقه

شذى النجيع : ماشاء الله ٠٠ بس ياريت كنت حدك علشان تعالجين اي علة فيني والله يعطي ويجري على ايدي بعض عباده كرامات ٠٠٠ الله يديم النعمة عندك٠٠٠ تحياتي

▯▯▯▯▯▯▯ : السلام عليكم و رحمة الله و بركاته :بجد لا امزح من الامراض التي عالجتها حتي الان : الشقيقة – الكابة – الوسواس– الام الظهر – السياتيك – البواسر و غيره

كما يمكنني ان اعالج عن بعد من النريض بنصف متر

كما اعالج ببعض الاعشاب القليلة متل السانوج

كل هادا و ل يعرفني احد سوي زوجي و اولادي و بعض اقرباءي

و شكرا

شذى النجيع : ماشاااااء الله عليكي ٠٠٠٠الله يديم النعم ٠٠

لمياء : اختي الكريمة : موضوعك شيق هل من الممكن ان تحدثينا عن بعض التجارب التي مررت بها ويسعدنا تواصلك

[illegible] : السلام عليكم

بسيطة تجاربي في الحياة و عادية كنت اعيش في عاءلة بسيطة جدا – و درست حتي الشهادة الثانوية – و لكي اكمل دراستي كان يجب علي الامتقال الي مدينة اخري لكن دخل الولد كان لا يسمح – فاشتغلت ك سكرتيرة و بعدها بستة اشهر تزوجت – ورزقني الله بثلثة اطفال – الله يبارك يعني حياة عادية والحمد لله

لكن كان هناك امر غريب يحصل بعض الاحيان :

انا الصغيرة في اخواتي البنات – كان كل من اراجت الجد و الاستشارة الصحيحة تلجء لي – و كذالك في ساعة المرض – بعد ما تروح للطبيب لايد تورين الادوية هناك قصص كتيرة – قبل ان اشعر بالطاقة – مرضت بنت من بنات اخوات و راحت عند الدكتور قال لها بانها اصيبت باحبات حتي انها نسيت اسمها و من هي – و حدت لها هادا في المدرة كانت تدرس في قسم الباكلورية

و مرة تقريبا خمسة عشر يوم – و دات يوم رفعة اختي السماعة وقالت لي اختي انقديني لا اعرف مادا لابنتي –قلت و لما لم تخبريني

قالت و الله لا اعرف و قال زوجها و ما عسي اختك ان تفعل

فاخدني زوجي بالسيارة و اول ما خطر في بالي و اما ذاهبة عندها ان اضع علي جبينها ماء مع شويه من الخل فلما دخلت قلت لها ناوليني شوبة خل و مان – فناديت بنت اختي فاكانت

عيناها مفتوحتان و كانها لا تسمع – وضعت المنديل مبلل علي راسها و قلت لها : باسم الله الرحمان الرحيم – الله يحفضك من كل مكروه و يدي فوق راسها التفت عند اختي تحكي كل ما جري وتبكي و ادا باابنهة تقول لي خالت متي جات ففرحنا ومزحت مع و قلت لها لازم تادي الواجب للدكتورة و الحمد لله و اعدرو كتابت لانني لم اكن اكتب بالعربية – بس بالفرنسية .

اعالج بالطاقة يعني طاقة اليد او المغنطيس لست عالمة – انسانة ربت بيت لكن رزقني الله هذه الطاقه

ام يوسف : سبحان الله ان شاء الله تستفيدى من هذه الطاقة فى معالجة الاخرين ومساعدتهم .**انتهى المقال** .

<u>أفرأيت أخي كم هو منحدر شديد هذا الّذي يجرّنا إليه المغرورون بهذا **الجهل** الّذي يسمّونه ((**علم الطاقة**)) .</u>

انظر مسارعة الناس إلى التصديق والتفاعل بجهل مع كل من يدعي طاقة الشفاء باللمس ، وكل هذا مبني على نظريّة وهمية اسمها الطاقة وعلاقتها بالصحة والمرض ، نسأل الله الثبات على الإيمان .

سابعاً : يلزم من يصدّق بتخاريف علوم الطّاقة أن يتنصّل من القول بتحريم الكهانة والسّحر، إذ يمكن أن تُفسّر الكهانة والعرافة بأنّ الكاهن أعطاه الله قوّة الجلاء البصري مثلاً ، فينكشف له ما بعد عنّا كما حدث لعمر رضي الله عنه في حادثة : ياسارية الجبل ، فيخبرنا عن أماكن مسروقاتنا .

ويمكن له عبر طاقته الذّاتيّة أن يكون له قوة التوقع والحدس فنستفيد منه في الإقدام على خطوات مستقبلية أو الإحجام عنها كمشروع تجاري أو سفر أو زواج ونحو هذا .

ويمكن أن نستعين بالساحر في إزالة عوائق في طريقنا سواء كانت عوائق ماديّة أو غير ذلك ، فإنّه ليس سحراً بل كلّ ما في الأمر أنّ الله تعالى وهب هذا الإنسان قوة استطاع إطلاقها وتفجيرها فتمكن من تحريك الأشياء من بعد مثلاً ، واستطاع كسر الأبواب المغلقة وليّ الحديد الصّلب بهذه القوة !!

وعليه فإنّ على المسلمين أن يراجعوا كلّ عقائدهم الإسلامية خصوصاً في التوحيد والشّرك وفق هذا العلم العصري البارع **وهو علوم الطاّقة** أو **الباراسيكلوجي** ، فإنّ ما كنّا نعدّه كفراً وشركاً بإجماع الأئمّة كنّا فيه مبالغين ، وظالمين لكثير من النّاس الّذين أعطاهم الله نعمة خرق العادة إمّا بالتخاطر وإمّا بالطاقة الشّافية وإمّا بالجلاء البصري وإمّا بتحريك الأشياء من بعد !!

فهل هذا إلاّ ردّة علميّة ونكسة عقائديّة في المسلمين ؟

لاشكّ أنّه تحوّل خطير أن يصبح تعلّم **السحر** والاستعانة بالشياطين **والكهانة والعرافة** علماً راقياً عصرياً يتهافت عليه المسلمون بل وكثير من أهل الخير ، وإذا كان

خير ما يوعظ به المؤمن كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:١٠٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((**اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يا رسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**))[١].

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((**من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**))[٢].

وعن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**))[٣].

---

(١) أخرجه البخاري ح ٢٥٦٠ ومسلم ح ١٢٩ .

(٢) أخرجه الترمذي ح١٢٥ وأبوداود ح٣٤٠٥ وابن ماجة ح٦٣١ وأحمد ٨٩٢٢ وانظر إرواء الغليل للألباني رحمه الله ح ٢٠٠٦ .

(٣) أخرجه مسلم ح٤١٣٧ .

والمصيبة أنّ غالب من يروّج لهذه الهرطقة هم من المنسوبين للعلم أو الدّعوة فالله المستعان ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

٢ . علم البايوجيوميتري :

هذا العلم يُعتبر جديداً ابتكره وتوصّل إليه عالم مصري اسمه د . إبراهيم كريم هو وزوجته منى كريم ، وهذا التعريف أخذته عن موقعه على الشّبكة العنكبوتيّة :

البايوجيمتري : هو العلم الذي يدخل العامل الإنساني في التكنولوجيا الحديثة و التي تسببت في بناء حضارة لم يسبق لها مثيل من ناحية توفير أساليب الراحة للانسان و لكن على حساب صحة الإنسان سواء على المستوى المادي أو النفسي أو الفكري أو الروحي. فبواسطة علم البايوجيومتري نتغلب على الآثار الضارة لتكنولوجية عصر المعلومات مع الابقاء على هذه العلوم التكنولوجية بل و تطويرها، و نبدّل هذه الحضارة بحضارة لحساب الإنسان و رقيه أيضا على جميع المستويات من المادي الى الروحي .

يبحث علم البايوجيومتري في كيفية **إدخال الطاقة المنظمة في المجالات المختلفة لطاقة الكائنات الحية** باعتبارها أساس الاتزان في الكون **و القادرة على توفير الحماية ضد كل الأضرار** ، هو علم يدرس العلاقة بين عناصر ثلاثة :

الشكل – الطاقة – الوظيفة

و يتخصص علم البايوجيومتري في ادخال التوازن التام بين هذه العناصر .فمن خلال الشكل يمكن التأثير على الطاقة و من ثم الوظيفة. من خلال الشكل يمكن ادخال الطاقة المنظمة في جميع أنواع الطاقات و من ثم اعادة الاتزان للوظيفة. و يستخدم كل من قانون الرنين و الموجات الذبذبية الحاملة المسماة بالأخضر السلبي للقيام بهذه المهمة .

مثل توضيحي مبسط :

لأداء وظيفة الطبخ نستخدم شكل الاناء لتشكيل الطاقة بما يتناسب مع الوظيفة التي نطلبها منها. فلكي نجعل الطاقة الحرارية تؤدي وظيفة الشيّ مثلا يكون الإناء على شكل مسطح لتوزيع الطاقة فلا يحترق الطعام. أما السلق فيحتاج الى تركيز الطاقة في مكان معين بشكل معين و بالتالي يستخدم إناء عميق...و هكذا.

علم **البايوجيومتري** يبحث ليتوصل للأشكال المثالية لمسارات مختلف الطاقات الموجودة في الكون و بالتالي لإمكانية إعادة مسارات الطاقات المختلة ((التي تظهر في شكل أمراض و خلافها من مظاهر اختلال في التوازن)) إلى المسارات المثالية و التي تعيد بدورها الصحة و التوازن في الوظيفة.

إذن من خلال الشكل يمكن تغيير الوظيفة ، و هذه هي لغة الطبيعة من حولنا فكل شئ مخلوق له شكل معين لأداء وظيفة معينة و أية خلل في الشكل ينتج عنه بالتأكيد خلل في أداء الوظيفة.

يستخدم علم **البايوجيومتري** أدوات كثيرة لتحقيق هدفه ((و هو إدخال التوازن في مجالات الطاقة الحيوية ذات الترددات الصغرى و المرتبطة وظيفيا بالجسم المادي)) الذي يتيح لجهاز المناعة أو للطبيب الإلهي داخل الجسم الفرصة ليعمل بأكثر كفاءة و يوفر الحماية ضد الآثار الضارة للتلوث البيئي سواء المرئي أو الغير مرئي كالمجالات **الكهرومغناطيسية** و الإشعاعات الأرضية السرطانية ، فبالإضافة إلى الأشكال الهندسية

يستخدم **طاقة اللون و الصوت و الحركة** و العلاقات الذبذبية المختلفة بينها و التي تترجم أيضا إلى زوايا و نسب و علاقات هندسية.

أسئلة وأجوبة عن هذا العلم :

س : ما هـو عـلـم البايوجيومتري ؟

ج : عـلـم البايوجيومترى هو علم يستخدم طاقة الشكل ، اللون ، الحركة ، والصوت لإدخال التوازن على أى نوع أو مستوى من مستويات الطاقة الحيوية ذات الترددات الصغرى و التي تقوم باستكمال الأنظمة الحيوية و التي ترتبط ارتباطا وظيفيا بالجسم المادي ، فعند حدوث أي خلل عضوي أو نفسي أو عقلي تحدث اضطرابات في مجالات الطاقة المقابلة و العكس صحيح . والأشكال الهندسية التى تتعامل مع الطاقة الحيوية و التى يختص بدراستها فرع العلم المسمى بعلم البصمات الحيوية هى أشكال ذات بعدين أو ثلاثة أبعاد مصممة خصيصاً لهذا الغرض ((توازن الطاقة الحيوية على جميع المستويات)) .

س : هل تستعمل السبائك البايوجيومترية لكل الأمراض ؟

ج : الأشكال الهندسية الموضوعة على هذه السبائك تدخل التوازن على الطاقة الحيوية للإنسان فتزيد مقاومة الجسم للآثار الجانبية الضارة للتلوث البيئى و لمنتجات التكنولوجيا المعاصرة التى يتعامل معها الإنسان يومياً . هى ليست لها صفة علاجية لأمراض محددة إلا أنها حينما تزيد قدرة الجسم على المقاومة يكون لهذا مردود إيجابي على صحة الإنسان العامة.

س : أثمرت التجارب البايوجيومترية على مرض الكبد الوبائى وأمراض أخرى عن نتائج إيجابية جداً ، فهل يمكن الاستغناء بالسبيكة عن العلاج التقليدى فى هذه الأمراض ؟

ج : إن علم البايوجيومتري له جذوره في فيزياء طاقة الترددات الصغرى و في الهندسة المعمارية و ليس في الطب و لكن من خلال كونه علم شمولي فهو يستخدم في مجالات عديدة. و منتجات علم الهندسة الحيوية ليست بديل لأي علاج يتناوله الإنسان. هى تعمل كعامل مكمل للعلاج فتساعد الجهاز المناعى والجسم على سرعة الاستجابة والاستفادة من العلاج الطبي التقليدي. أما التجارب التى تمت على مرض الكبد الوبائى وغيره من الأمراض فقد أجريت بالتعاون وتحت إشراف الجهات البحثية العلمية الطبية المتخصصة فكان يتم إجراء تعديلات دورية على السبائك المستعملة فى البحث تبعاً للنتائج ومتابعة الحالات.

س : ما الفرق بين مختلف المنتجات البايوجيومترية مثل السبيكة والخاتم والأسوارة ؟

ج : ليس هناك أى فرق بين أى من هؤلاء إلا أن كبر مساحة واحدة عن الأخرى يعنى أنها تحمل عدد أكبر من البصمات الحيوية فقط لاغير .

س : مـا هـو حـرف الـ[illegible] ؟

ج : حرف الـ[illegible] هو شكل من الأشكال الهندسية الحيوية التى لها تأثير قوى على اتزان الطاقة الحيوية مما يجعل له قدرة مميزة وكبيرة على حماية الجسم من الأضرار الخارجية.

س : ما الفرق بين السبائك وحرف الـ□ ؟

ج : جميع الأشكال الهندسية المستخدمة فى علـم البايوجيومترى تدخل التوازن على الطاقة الحيوية . ولكن كما قلنا حرف الـ□ له قدرة مميزة وكبيرة على الحماية والتصدى للأضرار الخارجية لذلك يفضل ارتدائه كشكل منفصل لضمان زيادة كفائية في الحالات المستعصية أو لمن يتواجد بصفة مستديمة أمام أجهزة كهربائية أو أي مجالات كهرومغناطيسية.

س : هل هذه الأشكال تستخدم فى حالات الصرع أو الكهرباء الزائدة بالمخ ؟

ج : عند تحقيق التوازن على مستوى الطاقة كثيراً ما تحدث إيجابيات على المستوى المادي فالمرض ما هو إلا زيادة أو نقص في الطاقة فحين تتوازن طاقة العضو المريض تتاح له فرصة أفضل للشفاء

س : مـا هي الطريقة المثلى لاستخدام هذه السبائك ؟

ج : توجد نشرة توضيحية لطريقة الاستعمال مع كل منتج من المنتجات البايوجيومترية ، وعموماً لابد أن تكون الأشكال مكشوفة ((غير مغطاة بالملابس)) ، ويجب طرقها على حافتها يومياً لإزالة الشحنات المتراكمة على المعدن والتى تعيق فاعلية الأشكال، وهناك قاعدة بايوجيومترية صممت خصيصاً لاعادة شحن وتنظيف المعادن بمجرد أن توضع عليها عدة دقائق يومياً .

س : هل هناك أشكال بايوجيومترية مصنوعة مخصصاً للوضع على الأجهزة الكهربائية والمحمول ؟

ج : نعم وهى تعمل على زيادة قدرة الإنسان على مقاومة الأضرار الصادرة عن الأجهزة والمحمول.

س : هل هناك آثار جانبية لاستخدام هذه الأشكال ؟

ج : ليس هناك أى ضرر من استخدامها لأن عمل هذه الأشكال هو إدخال التوازن في الطاقة وليس التأثير بالسلب أو الإيجاب. وأحياناً يحدث فى بدء ارتدائها أن يشعر الجسم ببعض التغييرات كالرغبة فى النوم مثلاً أو كزيادة طفيفة في الأعراض التي يشتكى منها الجسم أصلاً كالصداع أو السعال ويكون هذا مجرد رد فعل لجهاز المناعة الذي أعطي الفرصة عند ارتداء هذه الأشكال للعمل بكفاءة أكبر فتكون هذه التغييرات مجرد مظاهر لعملية التنظيف التى يقوم بها جهاز المناعة ، ولا تدوم هذه الأعراض أكثر من عدة ساعات أو يوم على الأكثر فلا داعى للقلق منها على الإطلاق .

س : هل يمكن أن ترتدى هذه الأشكال فى الحمام وأثناء النوم ؟

ج : نعم ، بل أنه يستحسن عدم خلعها أثناء النوم لأن الإنسان يقضى على الأقل ثمانية ساعات متصلة فى مكان نومه كل يوم ولو تصادف وجود طاقات أرضية ضارة تحت هذا المكان فهو إذن فى أشد الحاجة إلى الحماية أثناء النوم . وينطبق هذا أيضا على أى مكان يقضى فيه الإنسان ساعات طويلة متصلة أثناء النهار كالمكتب وغرفة المعيشة.

س : هل لهذه الأشكال مدة استخدام أو صلاحية معينة ؟

ج : إذا نفذ الشخص تعليمات الاستخدام التى ذكرناها بدقة فالأشكال غالبا لن تتوقف عن العمل الا إذا كان هذا الشخص يتعرض بصفة دائمة إلى إشعاعات وطاقات ضارة . وإذا شعر الإنسان بأن الأعراض التى كان يشكو منها عادت من جديد، فعندها فقط يجب أن يغير ما يرتدى بشكل جديد.

س : هل هناك فرق بين المعادن المستخدمة؟

ج : نحن نعتمد على الشكل لا على نوع المعدن . ولكن المعدن يمكن أن يعطى إضافة للفاعلية ، فالذهب مثلا معدن خامل لا يتأثر كثيرا بالشحنات السالبة والتي يمكن أن تعوق فاعلية الأشكال، تليه الفضة ثم البرونز، وارتداء معدن دون آخر يعود إلى رغبة وذوق مرتدى هذه الأشياء.

س : هل تستخدم هذه الأشكال في مقاومة **السحر**؟

ج : ليس هذا مجال بحثنا ولكن بما أن **السحر** ما هو ألا تأثير سلبي على طاقة الإنسان ، فمن المؤكد أن أعاده التوازن لطاقات الإنسان المختلفة سيساعد على مقاومة هذا التأثير السلبي و ارتداء هذه الأشكال وبالذات حرف أل سيأتي بنتيجة فى هذه الحالات .

س :ما مدى إمكانية تطبيق علم البايوجيومترى فى حياتنا اليومية ؟

ج : هو لغة الأشكال و الألوان و كيفية تأثيرها على المجالات المحيطة بنا في بحر الطاقة الذي نعيش فيه ((و الذي لا ندركه بحواسنا المحدودة)) ، فعن طريق التصميم أو الإضافة لأي موقع أو منتج من الممكن إدخال عنصر الاتزان و قد أثبتت عدة بحوث مع معاهد و جامعات فاعلية هذا العلم في مجالات التصميم و الديكور، الأبحاث الطبية، الزراعة الحيوية ، مزارع الماشية ، الخيول ، الدواجن و النحل ، الأجهزة الإلكترونية و الاتصالات و البث و التصميم الصناعي[1].

أظنّ أنّ الصّورة قد انجلت الآن بخصوص هذا العلم ، فهو يقوم على ركيزتين :

١ . الطّاقة ومنظومة الطّاقة الّتي تنظّم عمل الجسم البشري ، وأنّ المرض والصحّة راجع إلى توازن هذه الطّاقة أو اختلال هذا التّوازن .

٢ . علاقة الأشكال الهندسيّة والألوان والأصوات والمعادن وأثرها في إحداث الخلل أو إزالة الخلل وإعادة التّوازن لهذه الطّاقة .

وهذا يعني أنّ هذا العلم يربط بين الشّفاء وبين مجموعة من الأشكال الهندسيّة وبعض المعادن أو العناصر الّتي يُصنع منها هذا الشّكل أو ذاك .

---

(١) تجده على هذا العنوان : [illegible] ، وأنا أجزم أن لو كان أبو جهل حياً لكان رائداً في في هذا العلم ولدعمه ولكان صاحب معهد متخصّص فيه ، ماذا نقول ؟ شرّ البلية ما يضحك !.

ولهذا يزعم رواد هذا العلم أنّ سبب أكثر الأمراض الّتي تفتك بالبشر هو الأشكال الهندسيّة للمباني الّتي نعيش فيها والسيّارات الّتي نركبها والطاقة المنبعثة من الأجهزة الّتي نستعملها .

وأنّه بهذا العلم يمكن من خلال البحث والتجربة أن نتوصّل ((بل توصّل فعلاً)) إلى أنّ مجموعة من الأشكال الهندسيّة والمعادن والأصوات والألوان كفيلة بإعادة التّوازن للطّاقة ومن ثمّ إحداث الشّفاء المطلوب .

النّقد :

كما قلت سابقاً عند الحديث عن البرمجة ، إنّني لن أجادل في مصداقيّة النتائج الأوّلية الّتي بنى عليها الباحث ابتكاره الّذي حصل على جائزة عليه !!.

ولن نجادل في تحقيق نتائج شفائيّة ملموسة من هذا العلم ، لأنّ هذا ليس موضع نقاشنا ، فنحن لا يسوؤنا أن يتوصّل شخص ما إلى طرق علاجيّة أو أدوية لأدوائنا العضويّة فالنّبيّ ﷺ قال في الحديث الصّحيح : ((**ما أنزل الله داء إلاّ وأنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله**))[1].

لكنّنا سنجادل وبقوّة حين يجنح بنا البحث العلمي أو الرغبة في الابتكار أو الرغبة في نفع أنفسنا والناس إلى أمور مخالفة لديننا وأصولنا الشّرعيّة ((القطعيّة)) الّتي لا جدال في أنّها من أركان هذا الدّين .

---

(١) أخرجه أحمد ح ٣٤٢٧ وابن ماجة ح ٣٤٢٩ .

فقد علمنا من ضرورة الدين الإسلامي أنّ الله تعالى نهى عن الشّرك وأسبابه ووسائله ، وجعل الشّرك شاملاً للشّرك الحقيقي والسّبب الموصل له .

وفي هذا الإطار جاء عنه ﷺ النّهي عن كثير من الأمور الشّركيّة خصوصاً تلك الّتي كان يتعامل بها أهل الجاهليّة .

ومن أكبر وأكثر أبواب الشّرك الّتي وقع فيها الناس قديماً ربط أسباب بنتائج لا علاقة لها بها في الحقيقة وإن كانت تحقق نتيجة ونفعاً ما لمن يعتقدها .

كما جاء عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد فقالوا : يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا ؟ قال : ((**إن عليه تميمة فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال من علق تميمة فقد أشرك**))[1].

وعن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره قال : والناس في مبيتهم فأرسل رسول الله ﷺ رسولاً :((**أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت**))[2].

وغير هذا كثير ، وكلّ هذا إنّما حرُم لكونه فتحٌ لباب الاعتقاد في الأسباب وهو باب خرافة ودجل موصل للاعتقاد في الأشياء ما ليس فيها والوقوع في تأليه هذه الأسباب الموهومة واعتقاد نفعها وضرّها ومن ثمّ عبادتها ووقوع الشّرك بالله تعالى .

---

(١) أخرجه أحمد ح١٦٧٨١ اوانظر السلسلة لصحيحة ٤٩٢ .

(٢) أخرجه البخاري ح ٢٧٨٣ ومسلم ح٣٩٥١ .

فالنّبيّ ﷺ مثلاً يقول : ((**إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك**)) قال في فتح المجيد[1] : ((قوله : **التولة** ، قال المصنف : هى شئ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وبهذا فسرها ابن مسعود راوي الحديث : كما فى صحيح ابن حبان والحاكم قالوا : يا أبا عبد الرحمن، هذه الرقى والتمائم قد عرفناها فما التولة؟ قال : شئ نصنعه للنساء يتحببن به إلى أزواجهن .

وكان من الشرك لما يراد به من دفع المضار وجلب المنافع من غير الله تعالى))[2] .

وهذا العلم **البايوجيومتري** ما هو إلى إعادة تحديث لذلك الشّرك الجاهلي القديم تحت مسميات عصريّة **وتوهّمات** لا صحّة لها .

---

(١) للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ، ويبدو أنّ الدّعاة بحاجة إلى تفعيل هذا الكتاب أكثر في حياة الناس ، إذ مع كلّ هذا التركيز على التوحيد في المناهج الدراسيّة وفي الدروس الشرعيّة وخلو الساحة في المملكة من مظاهر الشرك فإنّ بعض الناس ممن يُنسب للدعوة وللأسف وقع في معتقدات ما يُسمى علم الطاقة والاستشفاء بالطاقة مما هو من الشرك أو وسائله ، فتغيير يسير في المسميات استطاع به الشيطان إدخال الشرك في ثياب العلم ، والواضح أنّه أصبح من المهم الآن التركيز على بيان حقيقة الشرك المنافي للتوحيد أصله وكماله : وبيان لم كانت هذه الأمور الّتي نهى عنها الشرع واعتبرها شركاً : لم كانت بالفعل شركاً حتى يكون المسلم على بيّنة من حقائق الشّرع ولا تخدعه المسميات والألفاظ البراقة .

(٢) فتح المجيد ص ١٤٠ .

فإنّ القياسات والأبحاث الّتي يجريها المبتكر لهذا العلم كلّها لن تعدو أن تكون تجربة وملاحظة : بمعنى أنّه سيقوم بعمليّة ملاحظة لعلاقة ما بين وجود الشخص بمقربة من شكل هندسي معين وبين ما يطرأ على الشخص من صحّة ومرض ، ومن ثمّ سيقوم بعمليّة الربط ، وهذا في الحقيقة لا يكفي أصلاً وهو مخالف للمنهج الإسلامي في البحث العلمي أصلاً من وجهين :

الأوّل : أنّه استقراء ناقص لا يكفي للحكم الشمولي الّذي خرج به الباحث .

الثّاني : وهو الأهم أنّ البناء على نتائج هذا الاستقراء لا يُقبل إلاّ بعد أن يثبت بالدّليل القطعي ماهيّة العلاقة ، فإنّ العلاقة بين مقترنين قد يكون مجرد اقتران لسبب آخر ، وربّما يكون لارتباط أحدهما بالآخر بأن يكون أحدهما سبباً في الآخر .

فإذا كانت العلاقة مجرّد ارتباط لسبب آخر لا يُعلم فمن غير الجائز أن نجعل هذا الاقتران دليلاً على تأثير أحدهما في الآخر .

مثال ذلك من السّنّة : أنّ نزول المطر مثلاً عادة ما يقارن أوقات ونجوم معيّنة ، فهذه المقارنة لا يجوز الاستدلال بها على أنّ وجود النّجم الفلاني سبب لنزول المطر ، ولهذا جاء في الحديث الصّحيح عن زيد بن خالد الجهني قال : صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : قال : ((**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب**

وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب))[1] ، قال في فتح المجيد : ((فإذا قال قائلهم : مُطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا ، فلا يخلوا إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر ، فهذا شرك وكفر، وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية ... **وإما أن يقول : مُطرنا بنوء كذا مثلا ، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده ، لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم** ، والصحيح : أنه يحرم نسبة ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز ، فقد صرح ابن مفلح في الفروع : بأنه يحرم قول : مُطرنا بنوء كذا ، وجزم في الإنصاف بتحريمه ولو على طريق المجاز ، ولم يذكر خلافاً ، وذلك أن القائل لذلك نسب **ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء** ، فيكون ذلك شركاً أصغر))[2] .

والواقع هنا في **البايوجيومتري** أنّ اقتران وجود الأمراض بشكل هندسي معيّن أو العافية بشكل هندسي آخر لا يجوز اتخاذ ذلك ذريعةً لتقنين الاستشفاء بالشكل الهندسي وجعله سبباً[3] ، لأنّنا إلى هذه اللحظة لا نجد دليلاً قطعياً يبرهن على أنّ العلاقة بينهما سببيّة ، فقد يكون الاقتران مع وجوده اقتران مصاحبة لا سببيّة ، **وبهذا يبطل الاتّكاء على هذا في تشريع الاستشفاء بالأشكال الهندسيّة أو العناصر أو الأصوات بالكلّيّة .**

---

(١) أخرجه البخاري ح ٨٠١ ومسلم ح ٤٠١ .

(٢) فتح المجيد ص٣٣٦ .

(٣) وقل مثل ذلك في الألوان والأصوات والمعادن .

وما نسمعه من تبرير أثر هذه الأشكال في المرضى بمسألة الطّاقة وتوازنها هو تعليل ومحاولة لتلمّس وتفسير ظاهرة معيّنة وهي هذا الأثر لبعض الأشكال والألوان أو المعادن ، ونحن نعذر من كان في بيئة غير إسلاميّة أن يطرق عقله مثل هذا التفسير لبعده عن مصادر الوحي الإلهي ، **أمّا نحن في بيئاتنا الإسلاميّة فإنّ الأمر مقطوع به عندنا ومحسوم من حيث تفسيره** ، وسبق أن ذكرنا أنّ لشياطين الجنّ دور في إضلال بني آدم ، ومن هذا ما تحدثه من آثار في أبدان الناس وما توسوس به إليهم من أسباب هذه الآثار سواء كانت إيجابيّة أو سلبيّة ، وتزيّن لهم ما يفكرون فيه من الابتكار والوصول إلى هذه النتائج الغريبة لتبعدهم عن مصادر الإسلام الصّحيحة نقلاً الصّريحة عقلاً ، الّتي دلّتنا على مقدار ما يتلاعب الشّيطان بالإنسان كلّما تطلّب الهدى بغير ضابط ولا قيود من كتاب الله ولا سنّة رسول الله ﷺ ، وقد مرّ معنا كيف فسّر ابن مسعود لزوجته ما تراه وتجده من الأثر الإيجابي لما نهى الله عنه وبأنّه تلبيس من الشّيطان[1].

وإذا فهمنا ما سبق عرفنا بطلان كلّ ما كان من هذا النّوع كالاستشفاء بالألوان أو الأصوات أو المعادن والأحجار المعيّنة ونحو ذلك ممّا جاءت السّنن الصّريحة بالنّهي عنه وعمّا كان من سبيله .

وبهذا نعلم أنّ الأساس الّذي يبني عليه الدكتور إبراهيم كريم وزوجه المصون هذه التّرّهات **أساسٌ باطل في دين الله تعالى** ، ولا يجوز لمسلم يوحّد الله تعالى أن يتعلّم هذا

---

(١) انظر ص ٦٩ من هذه الرسالة .

الجهل فضلاً عن أن يعمل به أو ينشره بين المسلمين لمنافاته لأصل وأساس دين الإسلام ألا وهو التّوحيد، والله المستعان ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.